تاريخ الادب الجاهلي

تاريخ الأدب الجاهلي

الجزء الثاني

وهو القسم الأول من الشعراء القحطانيين

(شعراء كندة)

تأليف

الدكتور علي الجندي

الاستاذ المساعد بكلية دار العلوم

بجامعة القاهرة

وكلية الآداب، بجامعة بيروت العربية

الطبعة الاولى

١٩٦٦

دار

مكتبة الجامعة العربية

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو الجزء الثاني من تاريخ الأدب الجاهلي ، وسبق أن أوضحت في الجزء الأول منهج البحث الذي سأسير عليه في هـذه الدراسة إن شاء الله . وقد استغرق الجزء الأول كلَّه الحديثُ عن القضايا التمهيدية التي لا بد للباحث في تاريخ الأدب الجاهلي أن يصفيها أولاً وقبل كل شيء ، ليسير في بحثه على هدى وباطمئنان ، وليقف القارىء عليها ، فيكون على بيِّنةٍ من الأمر من جميع نواحيه .

وبعد الدراسة التمهيدية – طبْقاً للمنهج الموضوع – يأتي دور البحث في الشعر ، وقد رأيت أن الكلام عن الشعر في العصر الجاهلي – أو أي عصر آخر – يستحسن أن يكون من خـلال دراسة الشعر نفسه ، ودراسة الشعر ذاته لا تكون إلا عن طريق دراسة الشعراء أنفسهم ، وبعد الانتهاء من دراستهم يمكن أن نتبين حالة الشعر في ذلك العصر من كل الوجوه .

وأعتقد أن أحسن وسيلة لاستيعاب الشعراء تكون عن طريق القبائـل ، فبها يمكن حصرهم حصراً تاماً ، ومن فوائد هذه الطريقة أنهـا تمكننا من معرفة آثار كل قبيلة على حدة من ناحية ، والوقوف على مدى ما هنالك من الميول والاتجاهات القبلية في الأدب من ناحية أخرى .

وطبيعة الدراسة تقتضي أن يكون البدء بالقبائـل الجنوبية ، وهم

القحطانيون ، فهم أسبق في الوجود من القبائل العدنانية بناء على ما يذكره المؤرخون ، وقد مر ذلك في البحث التاريخي للقبائل العربية .

ومن المعلوم أن القبائل القحطانية كثيرة العدد ، ويتضح ذلك من دراسة أنسابها وجداولها التي ذُكرت في الجزء الأول من هذه الدراسة . وإذا كان الأمر كذلك فبأيّ هذه القبائل نبدأ ؟ وبعد تفكير رأيت أن أبدأ بكندة ، فقد كان لها شأن عظيم في العصر الجاهلي ، وأقامت لها مملكة في وسط شبه الجزيرة العربية ، فاحتلت مكاناً بارزاً في التاريخ . وبذلك خُصّص الجزء الثاني من هذه الدراسة لشعراء كندة .

والحديث عن كندة في كتب التاريخ مقصور على ملوكها وأمرائها ، وما كان لهم من صلات بالممالك والإمارات التي كانت تحيط بهم في المدة التي وجدت فيها مملكة كندة . ولا نجد في التاريخ شيئاً خاصاً بشعب كندة نفسه . وأغلب الظن أنهم كانوا كسائر القبائل العربية في حياتهم ومعيشتهم ، وقد سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل في الجزء الأول .

أما من حيث الشعر والشعراء في كندة فإن كتب الأدب والتاريخ تذكر بعض الأسماء ، وتورد لكل منهم شيئاً من الشعر . ولكن هؤلاء الشعراء - ما عدا امرأ القيس بن حجر - لم يذكر لكل واحد منهم إلا أبيات قليلة ، فأثبتناها في هذا البحث كما وردت في المصادر الأدبية ، وهذه القِلّة لا تمكّن الباحث من تكوين فكرة تامة عن أصحابها ، لذلك لم يُدرَس هؤلاء الشعراء حتى الآن دراسة شاملة ، ونرجو أن تتكشف آثارهم ، ويتمكن الباحثون من دراستها ، فتكون الفائدة أوسع وأكثر .

وأما امرؤ القيس بن حجر ، فقد كان أوفر شعراء كندة حظّاً من العناية والاهتمام ؛ جاء له ديوان رُوي بروايات كثيرة ، وقام بشرحه ودراسته كثير من الأدباء والعلماء والنقاد ، وربما كان السبب في هذا الاهتمام راجعاً إلى النواحي الفنية في هذا الشعر ، وقد يقال إن مما كان له دخل كبير في ذلك ،

مكانة أسرته ومركزهم الاجتماعي ، فقد كانوا ملوكاً وأمراء في ذلك الوقت. لكن يبدو أن ذلك لم يكن كافياً وحده لإثارة الاهتمام لدى الحفظة والرواة المعاصرين للشاعر والتالين لعصره ، فمما تذكره كتب التاريخ والأدب أن بعض أعمام امرىء القيس نفسه كانوا شعراء ، ومع ذلك لم يكن لهم حظ كامرىء القيس في هذه الناحية . فلا بد حينئذ أنه -بجانب المكانة الاجتماعية التي ولا شك لها تأثير كبير في ذلك - قد تهيأت ظروف وأسباب لامرىء القيس دفعت المهتمين بالأدب والعلم إلى الاعتناء بشعره ونرجو أن يُلقي هذا البحث ضوءاً كافياً على هذه النواحي .

والبحث هنا تاريخي وأدبي ، لذلك كان لا بد أن تستقصَى كل أعمال هذا الشاعر الفنية ، وما كتب عنها في شتى المصادر ، وما قد كان - أو ما يمكن أن يكون - من تعليق أو رأي ، ليكون التاريخ الأدبي للشاعر كاملاً -بقدر الإمكان- من جميع الوجوه ، وقد حاولنا كل ذلك في هذا البحث ، فجاءت دراسته ، دراسة تفصيلية لأن الشاعر لقي اهتماماً كبيراً من جميع الدارسين ، وكان لعمله الفني آثار كثيرة في شتى نواحي العلم والأدب . ولهذا شغل الحديث عن امرىء القيس وشعره معظم هذا الجزء ؛ فبعد الحديث عن الناحية التاريخية لكندة ، وإحصاء شعرائها، وبيان ما ورد لهم من الأشعار، جاء دور امرىء القيس ، واستعراض آثاره الفنية بالتحليل والنقد ، طبقاً للتفصيل السابق .

إن شعر امرىء القيس كما هو معروف جُمع في ديوان خاص به ، والديوان قد روي بروايات كثيرة ، فكان لا بد من الانتهاء إلى رأي فيما ينبغي أن يُتَّخَذ من هذه الروايات أساساً لدراسة الشاعر ، وما انتهى الرأي إليه هو ما ينبغي أن يدرس دراسة تحليلية ويعرض عرضاً يظهر ميول الشاعر واتجاهاته وجوانبه الفنية .

وامرؤ القيس شاعر قديم ، وقد مرت فترة طويلة على شعره قبل أن يثبت بالتدوين ، وحفظه رواة متعددون ، وقد اشترك مع امرىء القيس في

الاسم ، كثير من الشعراء من كندة وغيرها ، وعاصر امرأ القيس عدد من الشعراء ، وجاء بعده شعراء ، واختزن نتاج كل هؤلاء في ذواكر الرواة ، ووجدت عوامل كثيرة ساعدت على خلق الشعر وانتحاله ، فجاء في ديوانه أشعار ، قيل عنها منتحلة ، وأشعار اختلط أمرها على الرواة ، فقيل هي له وقيل إنها لغيره ، وأشعار لم يقبل بعض الرواة أن تكون له ، وهـذا كله لا غنى للباحث عن النظر فيه .

وقـد يبدو لأول وهلة أن هناك كثرة في عرض النماذج والصور الفنية للشاعر ، ولكن بالتأمل والفحص يتبين أنها ليست زائدة عن الحاجة ، بل إن النقص فيها يخل بالبحث ، فهي على قدر ما تتطلبه هذه الدراسة ، وكل منها يتضمن ناحية أو نواحي فنية لا توجد في سواه .

وفي النقد الأدبي ، تعرّض امرؤ القيس لكثير من الآراء والأحكام ، ومن الضروري الإلمام بها ، مضافاً إليها ما يظهر من التحليل والدراسة من نتـائج قد تكون من العوامل المساعدة على تكوين فكرة واضحة عن شخصية امرىء القيس ، وميوله الأدبية ، واتجاهاته الفنية ؛ وتلقي بعض الأضواء على نواحي الحيـاة والأدب في العصر الجاهلي . وأرجو أن يكون هذا البحث قد حقق المقصود منه ، كما أدعو الله دائماً بالتوفيق والنجاح ، إنه نعم المولى ونعم النصير

بيروت في يوم الاثنين ١٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٦٦

علي الجندي

كِنْدَة

تاريخ كِندَة

كندة قبيلة من قبائل العرب القحطانيين ، فقد ورد في كتب الأنساب أنها تنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ (١) . وثور هذا هو كندة. ويقال إنه سُمّي كندة لأنه كند أباه ، أي عقّه (٢) .

ويقول الدكتور جواد علي : « لم يعثر علماء العربيات الجنوبية على اسم كندة حتى الآن في المسند (٣) » . ثم يقول : « والذي أعرفه أن أول من ذكر كندة من الكلاسيكيين ، على وجه لا يقبل الشك أو الجدل ، هو نونوسوس ، دعاها باسم Kindynoi أي كندة (٤) » . ويذكر أن معولنا في تدوين تاريخ كندة على أخبار الأخباريين ، وفي مقدمتهم : ابن الكلبي ، وصاحب كتاب « ملوك كندة » ، ومؤلفات أخرى لا علاقة لها بهذه القبيلة، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، وعمر بن شبة .

ويجمع المؤرخون على أن موطن كندة الأصلي كان في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ، فهم من القبائل القحطانية التي كانت تسكن اليمن في

---

(١) انظر الجدول رقم «٣» من جدول الأنساب : الجزء الأول من كتاب تاريخ الأدب الجاهلي للمؤلف .

(٢) الأغاني ، (دار الكتب) : ج ٩ ص ٧٨ .

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام : ج ٣ ص ٢١٥ .

(٤) المرجع السابق ص ٢١٧ .

الأصل ؛ فيقول ياقوت : « إن كندة مخلاف باليمن هو باسم قبيلة كندة » ؛ وابن خـــلدون يقول : « إن موطن كندة الأصلي كان بجبال اليمن مما يلي حضرموت » . ويقول الهمداني : « بلد كنـــدة من أرض حضرموت [1] » . ويذكر من بلادها : هَيْنَن ، وصُوران ، وعندل . ويقول إن امرأ القيس قال فيها :

كأنِّيَ لم ألهو بدَمُّـــون مرة ولم أشهد الغارات يوماً بعندل [2]

ويذكر اليعقوبي[3] أنه كان بين كندة وحضرموت حروب أفنت عامتهم ، « فلانت كندة بعض اللين ، وكرهت محاربة حضرموت ، ودخل أهل اليمن التشتيت والتفريق ، فلما افترق أهل اليمن، وانتشروا في البلاد، ملَّك كلُّ قوم عظيمهم ، وصارت كنـدة إلى أرض معَدّ ، فجاورتهم ، ثم ملَّكوا رجلاً منهم كان أول ملوكهم ، يقال له : مرتع بن معاوية بن ثور » .

فكندة كانت من القبائل اليمنية الأصل ، وقد هاجرت مثل غيرهـــا من اليمنيين الذين تركوا اليمن، واستوطنوا أماكن جديدة في القسم الشمالي من شبه الجزيرة بين إخوانهم العرب العدنانيين ، فأقاموا لهم مملكة في الشمال مدة من الزمن . وكان هناك في ذلك الوقت : ملوك اليمن في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة العربية ؛ وقياصرة الروم في الشمال ؛ والأكاسرة في بلاد الفرس ؛ كما كان هناك من العرب مما يجاور بلاد الروم والفرس : مـلوك غسان ؛ وملوك اللخميين المناذرة في الحيرة .

ومن الطبيعي أن يكون لملوك كندة صلة بهؤلاء وأولئك بحكم الجوار وما ينشأ عنه من علاقات ، فمما يذكره المؤرخون ، أنه « كما كان الغساسنة عمالاً

---

(١) صفة جزيرة العرب ، ص ٨٥ .

(٢) ورد هذا البيت في ديوانه ص ٤٧٣ عن العقد الثمين ومعجم البلدان . ويدل « ألهو » « أسْمُرْ » وهو أحسن لتفادي الخطأ النحوي .

(٣) تاريخ اليعقوبي ، جـ١ ص ٢١٦ .

للبيزنطيين ، واللخميون عمالاً للفرس ، كذلك كان ملوك كندة في أواسط الجزيرة عمـــالاً لتتابعة اليمن » (١) ، ويرى بلاشير أن أمراء كندة ، كانوا ينحازون حسب مصالحهم تارة إلى بيزنطة وتارة إلى فارس (٢) .

ويذكرون أن ملوك كندة لم يكونوا على وفاق مع ملوك الحـيرة ، فقد حلوا محل المناذرة في حكم الحيرة مدة من الزمن ، ويذكر بعض المؤرخين أن المنذر لما رأى تغلب ملوك كندة على أرض العرب « نَفَسَهم ذلك ، وأوقع بهم الشرور » . (٣) ويبدو أن علاقاتهم بالغساسنة لم تكن حسنة كذلك ، فيروى أن عمرو بن حجر غزا الشام ومعه ربيعـة فقتله الحارث بن أبي شَمِر الغساني (٤) .

فكل من الإمارات العربية الثلاث قد اتخذت لها سنداً من الممالك الثلاث التي كانت تجاورها،وقد أدى التنافس في السيادة والسلطان بين هذه الإمارات العربية الثلاث إلى وجود تنازع واختلاف وتحاسد ، مما أحدث بينهم كثيراً من التطاحن والقتال .

وتروي الأخبـار أن من ملوك كندة المشهورين : حجر بن عمرو ، الذي دام ملكه ثلاثاً وعشرين سنة ، ويقـــال إنه هو الذي حالف بين كندة وربيعة(٥)، وسدد أمور كندة ، وساسها أحسن سياسة ، وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل (٦) . وكان لقب حجر هـــذا آكل المرار (٧) . ويقال إن السبب في هذا اللقب أن حجرا كان يغزو عمانا ذات

---

(١) تاريخ العرب لفيليب حتي ، ج ١ ص ١١٤ .
(٢) تاريخ الأدب العربي : ص ٥٨ .
(٣) اليعقوبي ، ج ١ ص ٢١٧ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٥) المرجع السابق .
(٦) تاريخ أبي الفداء .
(٧) المرار : نبت شديد المرارة . وقال ابن الأنباري:وإنما سمي آكل المرارلأنه غضب ←

مرة ، فبلغ ذلك الحارث بن الأيهم الغساني ، فأغار على أرض حجر ، وأخذ أموالاً كثيرة لحجر ، وقَيْنة [1] من أحب قيانه إليه ، وانصرف . ثم قال الحارث للقينة : ما ظنك بحجر ؟ فقالت : لا أعرفه ينام إلا وعضو منه يقظان ، وليأتينك فاغراً فاه كأنه بعير أكل المرار ، فإن رأيت أن تنجو بنفسك فافعل. فلطمها الغساني ، فما لبثوا أن لحقهم حجر ، فكان كما وصفت ، فرد القينة والأموال . ويذكر أوليندر Olinder أن حجرا آكل المرار مات سنة ٥٢٨ م.

وبعد حجر ملك ابنه عمرو بن حجر وسُمّي **المقصور** ؛ وقيل السبب في ذلك أنه قُصِر على ملك أبيه [2] ، وقيل لأن ربيعة قصرته عن ملك أبيه . وهو الذي قتله الحارث بن أبي شَمِر الغساني .

وتولى بعده ابنه الحارث ، وهو أشهر رجـل من كندة ، إذ كان أشدهم بسالة وإقداماً ، وقد وسع ملك كندة ، وفرض سلطانه على بكر وعلى قبائل أخرى ، وتوصل إلى أن أصبح ملكاً على الحيرة ، وقد اختلف المؤرخون في السبب الذي جعل الحارث بن عمرو الكندي يحكم عرش المناذرة ؛ فقيل إنه لما اعتنق المزدكيةَ قُباذُ ملك الفرس طلب قباذ من المنذر بن ماء السماء اللخمي أن يدخل فيما دخل فيه من مذهب مزدك وزندقته ، فامتنع المنذر، فدعا قُباذُ الحارثَ بن عمرو الكندي إلى ذلك ، فأجابـه ، فاستعمله على الحيرة ، وطرد المنذر من مملكته [3] .

← غضبة لأمر بلغه. فجعل يأكل المرار وهو لا يعلم بمرارته، لشدة غضبه.....وقال قوم : إنما سمي آكل المرار لأنه حين لقي ابن الهَبُولة الغساني جعل يأكل أصل الشجرة المُرة ، وهي شجرة المُرارة ، وإذا أكلتها الابل تقلصت مشافرها ..... والجمل إذا أكل المرار أزبد . (شرح القصائد السبع الجاهليات الطوال : دار المعارف ١٩٦٣ ، ص ٣) .

(١) يذكر ابن الاثير (جـ ١ ص ٢٠٧) ، والاغاني (جـ ١٥ ص ٨٢) أن التي أخذت كانت هنداً زوجة حجر.

(٢) فسر صاحب الاغاني ذلك بأنه أقعد فيه كرها (جـ ٨ ص ٧٨) .

(٣) الأغاني ، جـ ٩ ص ٨ ، وابن الأثير ، جـ ١ ص ٢٠٩ ، والمفضليات (طبع أوروبا) ص ٢٤٧ ، والنقائض (طبع أوربا) ص ١٠٧٢ ، وجواد علي ، جـ ٤ ص ٢٣١ .

وقال الطبري إن تبع بن حسان بن تبع ..... بعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حجر الكندي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها . فسار إلى النعمان بن امريء القيس بن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته ، وهزم أصحابه ، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء ، امرأة من النمر . فذهب ملك آل النعمان، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون (١) .

وقيل إن السبب في تسلط الحارث الكندي على الحيرة يرجع « إلى ضعف قباذ وعدم استطاعته إمداد المناذرة بالمساعدة، فانقض عليها الحارث الكندي واستولى عليها واضطر قباذ أن يصالحه على ذلك ، ويضيف إليه إقطاعاً ، ستة طساسيج من أسفل الفرات مما يلي جانب العرب (٢) .

ويناقش الدكتور جواد علي هذا الموضوع ، فيقول (٣) : «إن القضية في نظري ليست قضية مزدكية ، أو اختلاف دين كما ذهب إلى ذلك الأخباريون بل هي أمور أخرى أبعد من هذا أثراً بكثير ؛ هي قضية ملك وسلطان فالمنذر رجل كفء وذو شخصية قوية ، أوقع الرعب في أرض الروم ، واكره القيصر على إرسال وفد إليه ليفك قائدين من قواده سقطا أسيرين في يديه ، ولإقناعه بالانضمام إليه إن أمكن ، أو تأمين جانبه على الأقل ،وقباذ رجل لاقى في ملكه مصاعب جمة : طُرد من الملك ، وسُجن ، وأريد إهلاكه ، ولكنه هرب من سجنه ونجا ، وبعد جهد وتعب وعمل سري استعاد ملكه ، وحكم دولة لم تكن قواعد الحكم فيها رصينة ساعة توليه الحكم ، ثم حارب الروم ، وحاربه الروم . فرجل مثل هذا لا بد أن يكون قلقاً يخشى منافسة الرجال الأقوياء » .

«فليس بمستبعد إذن أن يكون قباذ قدحسب حساباً لتوسع نفوذ المنذر ،

---

(١) الطبري (دار المعارف ١٩٦١) ، ج ٢ ص ٨٩ .

(٢) جواد علي ، ج ٣ ص ٢٣٢ .

(٣) جواد علي ، ج ٤ ص ٦٩ .

ولاحتمال اتصال الروم به لإقناعه بالانضمام إليهم . فلما ظهر الحارث الكندي في العراق ، طامعاً في ملك المنذر وفي ملك العراق، لم يجد من مصلحته الدفاع عن المنذر ، فتركه وشأنه ، فتغلب الحارث عليه . وليس بمستبعد أيضاً احتمال اتصال الحارث بقباذ ، أو اتصال قباذ بالحارث حين ظهور الحارث في أرض العراق ومنازعته المناذرة على ملكهم . وقد رأينا الطبري يشير إلى اصطدام الحارث بالمناذرة أوّلاً وتغلبه عليهم ، ثم يشير بعد ذلك إلى مراسلة قباذ للحارث طالباً منه الاتصال به ، ثم يشير إلى ضعفِ قباذ وطمعِ الحارث به بعد ذلك اللقاء[1] وكيف أنه أمر أعرابه بالتحرش برجال الحدود ، فلما بلغ قباذَ النبأ أرسل إلى الحارث يقول إن لصوصاً من لصوص الأعراب قد أغاروا به ، وإنه يحب لقاءه . فلقيه . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك . فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، ولكنها لصوص من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد ؟ قال: أريد أن تطعمني من السواد ما أتخذ به سلاحاً . فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهي ستة طساسيج[2] » .

ويستمر الدكتور جواد علي ، فيقول : « وتزعم رواية الطبري هذه أن الحارث بعد أن أعطي الطساسيج الست ، كتب إلى تبّع وهو باليمن : إني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه ستة طساسيج ، فاجمع الجنود وأقبل ، فإنه ليس دون ملكهم شيء ، لأن الملك لا يأكل اللحم ، ولا يستحل هراقة الدماء لأنه زنديق . فجمع تبّع جيشه، وجاء به » . ثم يقول الدكتور جواد عن تلك الرواية أيضاً : « وهي رواية تتحدث بعد ذلك عن فتوحات تبع التي شملت الصين والقسطنطينية ومناطق أخرى ، ومصـــدر هذه الرواية الرواة الذين يرجعون بأنسابهم إلى اليمن ، والذين عرفوا بتعصبهم لليمانيين » .

---

(١) الطبري ، جـ ٢ ص ٩٥ .

(٢) الطبري ، جـ٢ ص ٩٦ . والطساسيج : جمع طسّوج ، وهو الناحية .

وفي نهاية مناقشته لهذه القضية ، يقول الدكتور جواد علي : « فليس لقباذ إذن ، على هذه الرواية ، يدٌ في خلع ملك الحيرة ، وليس للمزدكية صلة ما بالموضوع . ثم إنها تذكر أن ملك الفرس أعطى الحارث ستة طساسيج ، وذلك بعد تحرش الأعراب بالحدود ، أي إنه لم يعطه ذلك اختياراً ، وإنما رهبة وطمعاً في أمن الحدود وسلامتها . ثم إنها تذكر زيادة على ذلك أن الحارث طمع في المزيد ، وقد نال الزيادة بفضل مجيء تبع ومساعدته له . فليس في الرواية إذن مزدكية ولا تبديل دين، وليس بمستبعد في نظري أن تكون هذه القصة ، قصة دخول الحارث في المزدكية ومتابعته دين قباذ ، من وضع أهل الحيرة والمعادين لكندة ، وضعوها وألصقوها بالحارث الكندي لتكون سبة له ، وعاراً عليه ، وعلى كندة، لهذا العمل الذي قام به تجاههم ، وهم كما نعلم يكرهون هذا الكندي ، وينكرون توليه الحيرة ، ولا يدخلون اسمه في قائمة ملوك الحيرة،كما صرح بذلك ابن الكلبي».

من هذا كله يفهم أن الحارث الكندي تولى ملك الحيرة مدة من الزمن ، ولكن الخلاف في السبب الذي توصل به إلى ذلك. ويعتقد أوليندر Olinder أن حكم كندة للحيرة لم يكن طويلاً ، وأنه كان بين سنتي ٥٢٥ ، ٥٢٨ م ، وذلك في أثناء فتنة المزدكية في إيران [١] . ويقول المؤرخون إن قباذ حكم ثلاثاً وأربعين سنة من ٤٨٨ الى ٥٣١ م [٢] .

كما يجمع المؤرخون والرواة على أن كسرى أنوشروان لما خلَف قباذَ على ملك الفرس حارب المزدكية وذويها ، وفي عهده انتهى حكم كندة للحيرة، ورجع الأمر إلى المناذرة .

وقد اختلفت الأقوال في نهاية الحارث بن عمرو ، فقيل إنه كان في الأنبار عندما هاجمه المنذر ، فهرب إلى الثَّوِيَّة ، ثم اضطر إلى مغادرة هذا المكان

---

(١) جواد علي ، ج ٣ ص ٢٣٨ ، Olinder : The Kings of Kinda, p. 65.
(٢) جواد علي ج ٣ ص ٢٣٣ ، وأوليندر والطبري ودائرة المعارف .

خوفاً من قبائل تغلب وبهراء وإياد حين أخذت تتعقبه ، فلحق بأرض كلب ، ونجا ، فانتهبوا ماله وهجائنه ، وقد أخذت تغلب ثمانية وأربعين نفساً من بني آكل المرار فقتلوهم بِحَفْر الأملاك ، في ديار بني مرينا العباديين بين الكوفة ودير هند [١] . وقيل إن الحارث بن عمرو خرج مرة للصيد ، وبعد ان انتهى من صيده ، وجلس للغداء ، جيء له بالشواء ، فالتهمه وهو شديد الحرارة ، فقضى عليه ، وهذه روايه علماء كندة ، أما كلب فتزعم أنها هي التي قتلته ، وقيل إنه مات في بني كلب حتف أنفه [٢] .

وتذكر الأخبار أنه لما ملك الحارث بن عمرو ، فرّق أولاده على القبائل – ويذكر صاحب الأغاني أن ذلك كان بناء على رغبة القبائل نفسها – فملك حجراً في أسد وكنانة ، وملك شرحبيل على بكر بن وائل ، وبني حنظلة ، وبني أُسيّد بن تميم ، والرباب ، وملك سلمة الغلفاء [٣] على تغلب ، وبني سعد ابن تميم ، والنمر بن قاسط ، وملك معديكرب على قيس بن عيلان [٤] .

وقد كان حُجر أكبر أولاد الحارث بن عمرو ، وهو ابن أم قطام بنت سلمة ابن مالك بن الحارث بن معاوية بن كندة ، وحجر هذا هو والد امريء القيس الشاعر المشهور ، ويقال إنه هو الذي انتقل إليه حكم كندة بعد وفاة والده الحارث بن عمرو [٥] . كما كان كذلك ملكاً على أسد وكنانة ، وقد سبق ذكر ذلك . وكانت مواطن أسد في القرن السادس الميلادي في جنوب جبلي أجا وسلمى ، على جانبي بطن الرمة ووادي الرمة ، وأسد هذه من نسل أسد ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس [٦] .

---

(١) جواد علي : ج ٤ ص ٧٢

(٢) الأغاني : ج ٩ ص ٨١

(٣) في الاغاني (ج ٩ ص ٨٢) أن « غلفاء » هو معديكرب أخو سلمة وقيل سمي غلفاء لأنه كان يغلف رأسه – أي يلطخها – بالطيب .

(٤) تاريخ اليعقوبي : ج ١ ص ٢١٦ وابن الأثير : ج ١ ص ٢٤٩ ،

(٥) جواد علي : ج ٣ ص ٢٤٤ ، Olinder, p 76

(٦) راجع جدول الأنساب رقم ٧ في تاريخ الأدب الجاهلي ، الجزء الأول للمؤلف .

ويذكر الدكتور جواد علي وأوليندر أن المؤرخ تيوفانوس روى أنه كانت هناك تحرشات بين رومانوس Romanus حاكم فلسطين في أيام انسطاسيوس وبين حجر بن الحارث بن عمرو الكندي ، وكذلك بينه وبين معديكرب شقيق حجر ، وأنه كان من نتائج هذا أن عقد القيصر انسطاسيوس صلحاً مع الحارث والد الأخوين المذكورين،فخيم بذلك الأمن على فلسطين والعربية وفينيقية . ويظهر من قول هذا المؤرخ أن هاتين الغزوتين كانتا في حياة الحارث [١] .

ويذكر كذلك هذا المؤرخ أن حجراً غار على اللخميين في أيام امرىء القيس والد المنذر بن ماء السماء ، ويظن نولدكه أن هذه الحملة التي وقعت بعد وفاة الحارث ، قصد منها حجر استرجاع ما خسره أبوه وإعادة نفوذ كندة إلى ما كان عليه [٢] .

وقد سبق أن ذكرنا أن الحارث بن عمرو كان قد فرّق بنيه على القبائل ، فكان كل منهم ملكاً على بعضهم ، وظلت الحال كذلك ، إلى أن مات الحارث ، فحدثت الخلافات بين أولاده ، فتضعضعت أحوالهم ، وتفككت أمورهم ، ويذكر اليعقوبي أن الفتنة حدثت بينهم بعضهم وبعض بسبب وقيعة قام بها المنذر ملك الحيرة ؛ ذلك أن المنذر لما رأى « تغلبهم على أرض العرب نَفَسَهم على ذلك ، وأوقع بينهم الشرور ، فاقتتلوا [٣] » . وتروي الأخبار أن كلاً منهم جمع الجموع لأخيه : « فسار شرحبيل ببكر بن وائل ومن معه من قبائل حنظلة وبني عمرو بن تميم والرباب ، فنزلت الكُلاَب [٤] ، وأقبل سلمة في بني تغلب وبهراء والنمر وأحلافها وسعد بن زيد مناة بن تميم ومن كان

---

(١) جواد علي : جـ٣ ص ٢٤٥.

(٢) المرجع السابق .

(٣) اليعقوبي ، جـ ١ ص ٢١٦ .

(٤) والكلاب :موضع به ماء يسمى قدة، ويطلق الكلاب على مكان بين أدناه وأقصاه مسيرة يوم ، وأعلاه مما يلي اليمن ، وأسفله مما يلي العراق (العقد الفريد جـ ٣ ص ٩٨) .

معهم ، وفي الصنائع [1] يريدون الكُلاب . فلما تلاقى الجمعان اقتتلا قتالا شديداً . ثم خذلت بنو حنظلة وعمرو بن تميم والرباب بكرَ بن وائـــل ، وانصرفت بنو سعد وألفافها عن بني تغلب ، وساء أمر شرحبيل ، فجاءإليه من عرف موضعه وقتله [2] . ويُعرَف شرحبيل بأنه «قتيل الكلاب» [3] ، أي يوم الكلاب الأول .

«وقيل إن بني عامر ثارت على شرحبيل فقتلته ... ولم يبق من بني آكل المرار غير سلمة ، فجمع جموع اليمن ، فسار ليقتل نزارا ، وبلغ ذلك نزارا ، فاجتمع بنو عامر بن صعصعة ، وبنو وائل : بكر وتغلب ، وقيل :بلغ ذلك كليب بن وائل ، فجمع ربيعة ، وجعل على مقدمته السفاح التغلبي ، وأمره أن يعلو خزازا ، فيوقد ناراً ليهتدي بها الجيش، وقال : إن غشيك الجيشان فأوقد نارين . وبلغ سلمة اجتماع ربيعة ومسيرها ، فأقبل ومعه قبائل مذحج . فرفع السفاح نارين . فأقبل كليب في جموع ربيعة فالتقوا بخزاز ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت اليمن» [4] .

ويذكر الأصمعي أن يوم خزاز كان للمنذر بن ماء السماء ولتغلب وقضاعة على بني آكل المرار من كندة ، وأن المنذر وأصحابه من تغلب أسروا في هذا اليوم خمسين رجلا من بني آكل المرار ، بدليل قول عمرو بن كلثوم :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا　　　وأبنا بالملوك مصفدينا

---

(١) الصنائع : هم بنو رقية ، قوم كانوا يكونون مع الملوك من شذاذ العرب (الأغاني : جـ ٩ ص ٨٢) . وقال أبو عبيدة في شرح النقائض (طبع أوربا ، ص ٨٨٤)صنائعالملك : الذين يغزون معه يستعين بهم .

(٢) المفضليات (أوربا) ص : ٤٢٨ . والنويري: نهاية الأرب : جـ ١٥ ص ٤٠٦ ،والبلدان جـ ٧ ص ٢٦٩ – وابن الأثير : جـ ١ ص ٥٤٩ ، والعقد الفريد : جـ ٦ ص ٨٧ .

(٣) الأغاني : جـ ٩ ص ٨٢ .

(٤) البلدان : جـ ٣ ص ٤٣٠ ، والنقائض (أوربا) ص ٨٨٧ ، والبكري : معجم مـــا استعجم : ص ١٠٦ ، والعقد الفريد تحقيق العريان: جـ ٦ ص ٩٧، نهاية الارب (دارالكتب) جـ ١٥ ص ٤٢٠

فيقصد بالملوك هنا بني آكل المرار [1] .

وهناك رواية أخرى في سبب يوم خزاز ، لم يرد فيها شيء من أمر كندة وبني آكل المرار [2] . وفي رواية عن الأصمعي أن معديكرب قتل في معركة أوارة [3] .

وأما حجر بن الحارث ، أبو امرىء القيس ، فتذكر الروايات أنه قتل كذلك ، ولكنها تختلف فيما بينها في سبب قتله : فابن الكلبي يروي عن أبيه : « أن حجراً كان في بني أسد ، وكانت له عليهم إتاوة في كل سنة مؤقتة ، فغبر ذلك دهراً ، ثم بعث إليهم الذي كان يجبيهم ، فمنعوه ذلك — وحجر يومئذ بتهامة — وضربوا رسله ، وضرجوهم [4] ضرجاً شديداً قبيحاً. فبلغ ذلك حجراً ، فسار إليهم بجند من ربيعة ، وجند من جند أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم ، وأخذ سراتهم ، فجعل يقتلهم بالعصا — فسموا عبيد العصا — وأباح الأموال ، وصيّرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألا يساكنوهم في بلد أبداً ، وحبس منهم عمرو بن مسعود الأسدي ، وكان سيداً ، وعبيد ابن الأبرص الشاعر » . ثم يذكر ابن الكلبي أن عبيد بن الأبرص قال له أبياتاً من الشعر ، فرقّ لهم حجر ، وبعث لهم ، فأقبلوا ، وفي الطريق إليه تكهّن كاهنهم ، وقال لهم شيئاً من سجع الكهان ، « فما أشرق لهم النهار حتى أتوا على عسكر حجر ، فهجموا على قبته .... فأقبل علباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حجر قد قتل أباه ، فطعنه من خللهم ، فأصاب نسَاه ، فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كنانة وقيس ، أنتم إخواننا وبنو عمنا ،

---

(١) النقائض : ص ٨٨٧ لكن الاصفهاني يذكر أن المناسبة التي يشير إليها عمرو بن كلثوم بهذا البيت كانت في مطاردة الحارث بن عمرو لما كان بالانبار حينما تبعه المنذر ملك الحيرة ومعه تغلب وبهراء وإياد ، التي سبقت الإشارة إليها ، وقد أخذت تغلب من بني آكل المرار ثمانية وأربعين نفساً وقتلوهم ، (الاغاني : ج ٩ ص ٨٠) ؛

(٢) جواد علي ، ج٣ ص ٢٥١ ، وابن الاثير ج ١ ص ٣١٠ .

(٣) جواد علي ج ٣ ص ٢٥١ .

(٤) ضرجوهم : أسالوا دماءهم .

والرجل بعيد النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم ؛ فشدّوا على هجائنه ، فمزّقوها ، ولفّوه في ريطة بيضاء ، وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قيس وكنانة انتهبوا أسلابه ، ووثب عمرو بن مسعود فضمّ عياله ، وقال : أنا لهم جار [1] » .

ويروي أبو عمرو الشيباني،أن حجراً لما خاف من بني أسد،أخذ يتنقل بين بعض القبائل مستجيراً بهم ، فأدركه علباء بن الحارث أحد بني كاهل ، وطعنه في خاصرته ، وهو غافل ، بقصدة [2] رمح مكسورة ، فيها سنانها ، فقتله [3] .

ويروي الهيثم بن عدي أن حجراً لما استجار بعض القبائل جمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه ، وأقبل مدلاً بمن معه من الجنود ، فتآمرت بنو أسد بينها ، ثم ساروا إلى حجر ، وكان قد تحرك بجيشه نحوهم ، فلقوه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان صاحب أمرهم علباء بن الحارث ، فحمل على حجر ، فطعنه ، فقتله [4] .

وقال ابن السكيت إن حجراً كان قد أتى إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه ، ثم أُقبل راجعاً إلى بني أسد ، وكان قد أساء ولايتهم، ولما علموا بموت أبيه طمعوا فيه ، واتفقوا على الخلاص منه ، ونشب القتال بينهم وبين حجر ، فهزموا أصحابه وأسروه ، وحبسوه ، فقتله غلام من بني كاهل ، أخذاً بالثأر ، لأن حجراً كان قد قتل أباه [5] .

وقال ابن الكلبي : « وعدة قبائل من بني أسد يدّعون قتل حجر ،

---

(١) الأغاني جـ٩ ص ٨٢ - ٨٤ .
(٢) القصدة : القطعة .
(٣) الاغاني جـ ٩ ص ٨٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٨٥ .
(٥) المرجع السابق ص ٨٥ - ٨٦ .

ويقولون : إن علباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ، ولم يقتله هو[1] ».

وبموت أولاد الحارث بن عمرو الكندي انتهت دولة كندة ؛ وإذا رجعنا إلى الأخبار والروايات التي تتحدث عن هذه الدولة وملوكها نجد أنها جميعها تتفق فيما بينها على الأحداث التي وقعت لكل ملك من ملوكها ، ولكننا نجد اختلافاً ظاهراً بينها في ذكر الأسباب التي أدت إلى وقوع هـذه الأحداث ، من ذلك مثـلاً : السبية التي أخذت من بيت آكل المرار ، أهي قينتـه أم زوجته ؟ والسبب الذي من أجله تولى الحارث بن عمرو حكم الحيرة ؛ وكيف كانت نهاية الحارث هذا ؟ وكذلك نهاية أولاد الحارث ، وعلى الأخص ابنه حجر . وفي نظري أن السبب في اختلاف الروايات في تأويل هذه الأحداث وغيرها يرجع إلى ميول الرواة وأهواء القبائل ، فكلٌ يريد أن يكسب لنفسه شرفاً ، أو يبعد عنه وصمة ، على حسب صلته بالحدث الذي يرويه أو يتكلم عنه .

وكان انتهاء دولة كندة في القرن السادس الميلادي ، فعادوا بقومهم من اليمامة وهجر إلى موطنهم الأصلي في حضرموت [2]. وبذلك انتهت معالم دولة فتية ، لم تعمر طويلاً ، وكانت تتنافس مع الغسانين والمناذرة في السيطرة على القبائل العربية ، وفي الاتصال بالممالك الكبيرة التي كانت تجاورهم في ذلك الحين.

ويقول فيليب حتي : «ولا تنحصر أهمية كندة فيما أتى أبناؤها من الأعمال ، وما حازوه من مجد وسؤدد ، بل بما لها من الفخـــار العائد إلى كونها أول محاولة قام بها عرب الجزيرة الوسطى لجمع شمل القبائل تحت زعامة واحـدة مركزية ، يتولاها سيد واحد [3] » .

---

(١) المرجع السابق ص ٨٤ .

(٢) Lyall : Ancient Arabian Poetry. P. xv .

(٣) تاريخ العرب ، جـ ١ ص ١١٦

شعراءُ كِندة

ورد في كتب الأدب والتاريخ أن كندة كان من أبنائها شعراء، منهم :-

١ – **سلمة بن الحارث** : بن عمرو بن حجر آكل المرار .

٢ – **معد يكرب بن الحارث** بن عمرو بن حجر آكل المرار .

٣ – **شرحبيل بن الحارث** بن عمرو بن حجر آكل المرار .

٤ – **عبد الله بن الحارث** بن عمرو بن حجر آكل المرار .

وهؤلاء الأربعة هم أعمام امرىء القيس بن حجر بن الحارث ، الشاعر المشهور . وتقول عنهم الأخبار إنهم كانوا شعراء[1] ، ولكن للأسف لم يرد إلينا من شعرهم إلا القليل . وبعضهم لم يرد له شيء . فيقال إنه لما اقتتل شرحبيل بن الحارث وأخوه سلمة بن الحارث يوم الكلاب الأول ، جعل سلمة في رأس أخيه مائة من الإبل ، فقتل أبو حنش التغلبي[2] شرحبيل بن الحارث أخا سلمة . فقال معد يكرب في مقتل أخيه شرحبيل :

ألا أبلغ أبا حنش رسولا   فمالك لا تجيء إلى الثواب

---

(١) شعراء النصرانية ؛ ج ١ ص ١

(٢) أبو حنش: هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر، وهو احد بني ثعلبة بن بكر، وهو فارس العصا، ويقول المرزباني إن المهلهل بن ربيعة لما هرب ونزل في جنب حي من مذحج، فخطبوا اليه ابنته فزوجها منهم على جلود من أدم ، قال ابو حنش:

أنكحها فقدها الأراقم في   جنب وكان الحباء من أدم

تَعلمْ أنَّ خيرَ الناسِ طرّاً   قتيلٌ بين أحجارِ الكلابِ[1]

ويقال إن الشعر لسلمة بن الحارث؛ وذلك أنه حينما قتل أبو حنش شرحبيل ابن الحارث بعث برأس شرحبيل إلى أخيه سلمة ، فطُرِح بين يديه ، فلما نظر إليه سلمة غضب وثار الدم في وجهه ، وقال هذا الشعر . وقال معديكرب يرثي أخاه شرحبيل بن الحارث[2]:

إنَّ جنْبي عن الفراشِ لَنَابِ   كتجافي الأَسَرّ[3] فوقَ الظِّرابِ
من حديثٍ نَمَى إليَّ فما ترْ   قأُ عيني وما أسيغُ شرابي
مُرةٍ كالذعافِ أكتمُها النا   سَ عَلى حَرِّ مَلَّةٍ كالشهابِ
من شُرَحبيلَ إذ تعاوره الأر   ماحُ من بعدِ لذةٍ وشبابِ
يا ابن أمي ولو شهدتك والخيـ   ـلُ تعادَى إليك عدوَ الذئابِ
لضربتُ الكماةَ حولك حتى   تبلغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابي
يا ابن أمي ولو شهدتك إذ تدْ   عو تميما وأنت غير مجابِ
لتركتُ الحسامَ تجري ظُباه   من دماء الأعداءِ يومَ الكُلابِ
يومَ ثارت بنو تميمٍ وَوَلَّتْ   خيلُهم يتقين بالأذنابِ
وَيْحَكمْ يا بني أُسَيِّدَ إني   وَيْحَكُم ربُّكُمْ وربُّ الرِّبابِ
أين مُعطيكم الجزيلَ وَحابيكُمْ   على الفقرِ بالمئين اللُّبابِ

---

(١) راجع شعراء النصرانية جـ ١ ص ٢ والموشح للمرزباني ص ٤٣٢

(٢) شعراء النصرانية جـ ١ ص ٢ والموشح ص ٤٣٢ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٦

(٣) السَّرر : داء يأخذ البعير في كِرْكِرَته، فتسيل ماء ، فإذا برك على موضع خشن تجافى عنه لشدة الوجع . والظراب : الجبال الصغار ، الواحد منها ظَرِب

فارس يضرب الكتيبة بالسَّيْـ ـفِ على نحره كنضح الملاب

فارس يطعن الكماة جريء تحته قارح كلون الغراب

ويغلب على ظني أن هذا الشعر من وضع القصاص ، جيء به في سياق قصة القتال لتصير أكثر تأثيراً ، وقد يكون ذلك لأغراض قبلية ، أو نحو ذلك .

ويذكر الآمدي [١] ضمن من سموا بامرىء القيس أربعة شعراء من كندة ، هم :

٥ – **امرؤ القيس بن حجر** بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ابن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن ثور الأكبر، وهو كندة ابن عفير بن عدي بن الحارث بن أدد: الشاعر المقدم.

٦ – **أمرؤ القيس بن عابس** بن المنذر بن السمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي ، ويقول إن هذا أدرك الإسلام ، وفد على رسول الله ﷺ ، ولم يرتدّ في أيام أبي بكر ، وأقام على الإسلام وكان له عناء في الردة .

٧ – **أمرؤ القيس بن بكر** بن امرىء القيس بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع . جاهلي . وكان شاعراً ، ويقال له الذائد ، لقوله [٢] :

أذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام غويّ جرادا

فلما كثرن وأعيينني تنقَّيت منهن عشراً جيادا

فأعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا

---

(١) كتاب المؤتلف والمختلف ، ص ٩ – ١٠

(٢) وردت هذه الأبيات ضمن الأشعار المنسوبة إلى امرىء القيس بن حجر في الديوان ص ٢٤٨

ويقول إنه كان من ولده إياس بن شرحبيل بن قيس بن أمرىء القيس أحد من وفد على النبي ﷺ .

٨ – **امرؤ القيس بن عمرو** بن الحارث بن معاوية الأكبر بن ثور بن مرتع الكندي. جاهلي، وهو القائل في حرب كانت بين بني الحارث بن معاوية وبني تميم ، وهزمت فيها بنو تميم ، وقتلوا قتالاً ذريعاً ، في قصيدة منها :

أتتنا تميم قضُّها بقَضِيضها ... ومن ساد من أطرافهمْ وتأَشّبوا
فقالوا لنا : إنا نريد لقاءكم ... فقلنا لهم : أهل تميم ومرحب

وقد ورد في معجم الشعراء للمرزباني أسماء شعراء آخرين من كندة ، جاهليين ومخضرمين ، هم :

٩ – **قيسبة بن كلثوم الكندي** ، ويذكر من شعره قوله[١] :

تالله لولا انكسار الرمح قد علموا ... ما وجدوني كليلاً كالذي وجدوا
قد يحطم الفحل قسراً بعد عزته ... وقد يرد على مكروهه الأسد

١٠ – **مسروق بن حجر بن سعيد الكندي**، مخضرم، يقول في رواية دعبل[٢]:

ألا من مبلغ عني شعيبا ... أكُلّ الدهر عِزكم جديد

١١ – **ذو العينين الكندي** واسمه : معاوية بن مالك بن الحارث ، أحد فرسان الجاهلية ، أغار على صرح بني نهد ، فقال بعض النهديين[٣] :

ترامت بذي العينين والموت فاغر ... نقائف أفجاج وأرجاء مهبل

(١) معجم الشعراء للمرزباني ، نشر كرنكو . ص ٣٤٠
(٢) معجم الشعراء للمرزباني ، نشر كرنكو ، ص ٤٧٠
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٩١

فأجابه ذو العينين بقصيدة طويلة منها :

لعمرو أبيك القين يا ابن غزير   لقد كنت عن هذا المقال بمعزل
فإن تك آجال توافى كتابها   لحمّة وقت للنفوس مؤجل
فإنّا رجال قــد عرفتم بلاءنا   وسورتنا في الحرب لم تتبدل

١٢ – **يزيد بن محرق الكندي** [١] .

١٣ – **عمرو بن أبي الجبر بن شرحبيل الكندي** ، مخضرم ، يقول في رواية دعبل :

تُهددُني كأنك ذو رعين   بأنعم عِيشةٍ أو ذو نُواس
فكم قد كان قَبلَك من نَعيم   ومُلك كان في الأقوام راس
تبدل بعد ثروته وأضحَى   تَنقّل من أناس في أناس

١٤ – **أبو العذافر الكندي** [٢] ، وقد ذكره المرزباني في الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين ، ممن غلبت كنيته على اسمه .

* * *

هذه هي أسماء الشعراء الكنديين الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ والأدب ، ولكن للأسف لم يصلنا لثلاثة عشر منهم شعر يمكننا من دراستهم دراسة أدبية ، وأما الرابع عشر فهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو فقد وصل إلينا ديوانه ، وفيما يلي الحديث عنه ، وتحليل شعره ، ودراسته دراسة فنية ، أرجو أن تكون كافية لمعرفة شخصيته وميوله الأدبية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨
(٢) المرجع السابق . ص ٥١٤

امْرُؤُ القَيْسِ بْنُ حُجْرٍ

حياته

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو ابن معاوية بن الحارث بن يَعرُب بن ثور بن مُرتع بن معاوية بن كندة[١] .

وقيل : اسمه : حندج . وقيل : عديّ . وقيل مُليكة[٢] وكُنيته : أبو وهب ، وأبو زيد ، وأبو الحارث . وكان يقال له : ذو القروح ، والملك الضِّلِّيل .

وأمه : فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخت كليب ومهلهل ابني ربيعة التغلبيين . ولا نعرف سنة مولده ، ويظن أولىندر أنه ولد حوالي سنة ٥٠٠ م[٣] . وقيل إنه ولد ببلاد أسد ، وأنه كان ينزل المشقر . وروى ابن قتيبة أن امرأ القيس من أهل نجد ، وأن الديار التي وصفها في شعره كلها في ديار بني أسد[٤] .

وأمّ حُجر أبي امرىء القيس: أم قَطَام بنت سلمة ، امرأة من كندة[٥] . وقيل إن عمة امرىء القيس هي : هند أم عمرو بن هند مضرط الحجارة الملك ، وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار الكندي[٦] .

---

(١) الاغاني : ج ٩ ص ٧٧ .

(٢) المزهر للسيوطي (طبعة ثانية) ؛ ج ٢ ص ٢٦٥ ، وبروكلمان : ج ١ ص ٩٧ .

(٣) جواد علي : ج ٣ ص ٢٥٢ .

(٤) الشعر والشعراء ، نشر احمد شاكر ، ص ٥٢ .

(٥) ديوان امرىء القيس للشنقيطي .

(٦) الموشح للمرزباني ، ص ١١ .

وقال يعقوب بن السكيت إنه كان لحجر والد امرىء القيس جملة أولاد ، أكبرهم نافع ، وأصغرهم امرؤ القيس ، وبين الأصغر والأكبر جملة أولاد ، غير أنه لم يذكر أسماءهم. ومن الروايات التي تتحدث عن حجر ومقتله ، يبدو أنه كان لحجر بنت اسمها هند ، ويقول الهيثم بن عدي إنها لما قُتل أبوها انحازت هي وقَطين حجر إلى عُوير بن شَجْنة [1] .

وتتحدث الأخبار عن امرىء القيس فتتفق كلها على أنه بعد أن نشأ وترعرع ، فارق أباه، وعاش بعيداً عنه إلى أن قُتل أبوه . ولكنهم يختلفون في السبب الذي باعد بينهما : فقيل إن أباه طرده ، لأنه لم يكن راضياً عنه ، وآلى ألا يقيم معه ، أنفةً من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنف من ذلك .

وقال ابن قتيبة: «إن أباه كان قد طرده لما صنع في الشعر بفاطمة ما صنع، وكان لها عاشقاً [2] . وقيل إنه طُرد لأنه تغزل بامرأة من نساء أبيه [3] .

وقال الأصمعي [4] : « حدثني من سمع من عبدالله بن رَألان التميمي — وكان راوية الفرزدق — يقول : لم أر رجلاً ، ولم اسمع به ، كان أروى لأحاديث امرىء القيس بن حجر، وأشعاره، من الفرزدق . وإن امرأ القيس كان صحب عمَّه شُرحبيلا قتيل الكلاب، حتى قُتل شرحبيل وكان شرحبيل مسترضعاً في بني دارم . وكان امرؤ القيس رأى من أبيه جفاء ، فلحق بعمه حتى قُتل أبوه وقُتل عمه ، فانصرف بعد قتلهما إلى قومه . فهذه الرواية تذكر أن السبب كان حدوث جفاء بينه وبين أبيه ، ولكنها لم تذكر سبب هذا الجفاء.

وقد يكون مما يفسر لنا سبب هذا الجفاء ما يرويه أبو نصر أحمد بن حاتم، إذ يقول [5] : « أخبرنا الأصمعيّ أنه قال : بينا امرؤالقيس قاعد ذات يوم ،

---

(١) الاغاني ؛ ج ٩ ص ٨٩ ، والقطين هنا : الخدم والحاشية .
(٢) الشعر والشعراء ، ص ٥٢ .
(٣) السندوبي : ص ٨ .
(٤) ابن الانباري ؛ شرح السبع الطوال الجاهليات ، ص ١٣ .
(٥) ديوانه، ص ١٩٤ .

وهو يشرب مع أبيه وهو غلام حين احتلم ، وأبوه يشرب مع ندمائه وفتية من أهل بيته إذ مر عليهم الساقي بالكأس ، فقال امرؤ القيس :

اسْقيا حُجْراً على عِلّاته   من كُميت لونُها لونُ العَلَق

فسمعه أبوه ، فقال للساقي : الطمْ وجهه ، وأَخرجْه عني ؛ وقال له : إياك أن أسمعك تقول شعراً فأقتلك! وكان حجر يرفع نفسه عن الشعر وولده، فغبر امرؤ القيس بذلك زماناً ، فكان لا يقول الشعر إلا سرّاً مخافةً من أبيه . قال : فبينا أبوه ذات يوم نائم في قُبته ، وقد شرب حتى طابت نفسه ، إذ انتبه وامرؤ القيس يشرب من فضل آنية أبيه ، وهو يقول :

وهِرٌّ تَصيد قلوبَ الرجالِ   وأفلتَ منها ابنُ عمروٍ حُجُر

فوثب إليه أبوه ، فجعل يَجَأ في عنقه حتى أدمَى منخريه ، ثم طفق يلطمه ويقول : ألم أنهكَ عن أن تقول شعراً ، وعن أن تذكرَني في شعرك ، ثم دعا مولى له يقال له ربيعة ، وكان حاجبه ، فقال له : انطلق بهذا إلى موضع كذا وكذا فاقتله ، فإني لا أظنه إلا سيشتمنا .

وأعتقد أن الرواية التي ترجع سبب الطرد إلى قوله الشعر وأنفة الملوك من قوله ، غير مقبولة لما هو معروف عن العرب ، فقد ثبت أنهم جميعاً كانوا يحبون الشعر ويقدرونه حق قدره،وكانوا يحبون الشعراء ويعظمونهم ويرفعون قدرهم ، حتى إنهم كانوا يقيمون الحفلات ابتهاجاً بنبوغ شاعر من أفراد القبيلة وقد كان كثير من عظماء القوم وسادتهم وأمرائهم وملوكهم شعراء ، فزادهم قول الشعر رفعة واحتراماً ، كما كان أعمام امرىء القيس شعراء ولم يقل عنهم أحد شيئاً .

ومن يتأمل في رواية الأصمعي يجد أن الذي كان يؤلم أباه في الحقيقة ليس قول الشعر في ذاته إنما ما كان يتطاول فيه على مقام والده وهيبته عندما كان

الشراب يفعل فيه فعله ،ففي البيتين اللذين وردا في الخبر تجرأ امرؤ القيس وذكر أباه بما لم يكن أبوه يحبه ، فثار عليه وغضب منه في المرة الأولى ، ولكنه في الثانية كاد يتميز غيظاً ، وكان منه ما تحكيه الرواية ، على أن كلا منهما كان في حالة سكر ، فنهي أبيه له عن قول الشعر – كما يُفهم من هذا الخبر – كان عن الشعر الذي يقوله في حالة الشراب ويمس فيه كرامة والده ، خوفاً من أن ينزلق لسانه إلى ما لا يليق ، بدليل قوله : « فإني لا أظنه إلا سيشتمنا » .

وفي نظري أن أمرأ القيس كان بطبيعته – على ما يبدو من سيرته وشعره – ميالاً إلى اللهو والمتعة ، مغرما بشهواته الخاصة ولذاته ، فاستغرق في المجون، ولم يهتم بعظائم الأمور ، وجلائل الأعمال . فربما لمس أبوه ذلك فيه ، فلم يرُقْه سلوكه ، ولم يرض عن أخلاقه ،فحدثت بينهما تلك الجفوة التي تتحدث عنها الأخبار والروايات .

وجاء في أخباره أنه لما ُطرد صار يتجول في الآفاق ، مع صعاليك ، وشذاذ ، وذؤبان ، من أحياء طيىء وكلب وبكر ، وينتقل بهم في منازل العرب ، ويغير بهم على أحيائها ، ويقاسمهم ما يحصل عليه ، أو ما يقع لهم من الصيد ، وتذهب بهم إلى الغدران والرياض ، يذبح لهم ،ويؤاكلهم ،ويعاقرهم الخمر ، وينشدهم الشعر ، وتغنيهم القيان (١) .

وتجمع الروايات على أنه ظل على هذه الحال إلى أن مات أبوه ، وهنا تختلف الروايات عنه وقت أن قتل أبوه .

فالهيثم يروي عن أصحابه أن امرأ القيس لما قتل أبوه كان غلاماقد ترعرع وكان في بني حنظلة مقيما ، لأن ظئره كانت أمرةً منهم (٢) .

هذا ما يرويه الهيثم، ولكني لا أعتقد ان امرأ القيس في ذلك الوقت كان

---

(١) السندوبي : ص ٩ ، وابن الكلبي في الأغاني : ج ٩ ص ٨٧.
(٢) الأغاني : ج ٩ ص ٨٨ .

غلاماً ، بل لا بد أنه كان في مرحلة الشباب التام ، أو الرجولة. فليس معقولاً أن يكون منه هذا السلوك الذي لم يرض عنه أبوه ، وهو غلام. ثم إن موت أبيه لم يكن عقب طرده مباشرة ، بل يغلب على الظن أن ذلك كان بعد الطرد بفترة ربما لم تكن قصيرة .

واليعقوبي يقول إن امرأ القيس عندما قتل أبوه كان غائباً ، فلما بلغه قتل أبيه جمع جمعاً ، وقصد لبني أسد [1] .

وقال ابن الكلبي [2] إن خبر أبيه ومقتله أتاه وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، أتاه به رجل من بني عِجْل ، يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف ، فلما أتاه بذلك قال [3] :

تطاوَلَ الليلُ عليَّ دمّونْ   دمونُ إنا مَعْشر يمانونْ
وإننا لأهلها مُحِبّونْ

ثم قال : ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمه كبيراً ، لا صحو اليوم ولا سكر غداً ، « اليوم خمر ، وغداً أمر » . فذهبت مثلاً . ثم قال :

خليليَّ لا في اليوم مَصْحًى لشارب   ولا في غد إذ ذاك ما كان يُشْرَب

ثم شرب سبعاً . فلما صحا آلى ألا يأكل لحماً ، ولا يشرب خمراً ، ولا يدَّهِن بدهن ، ولا يغسل رأسه من جنابة حتى يُدْرك بثأره ، فلما جنّه الليل رأى برقاً فقال [4] :

أرِقتُ لبرقٍ بِليلٍ أَهَلّْ   يضيء سناه بأعلى الجبلْ

---

(١) اليعقوبي: جـ ١ ص ٢١٧ .
(٢) الاغاني : جـ ٩ ص ٨٧ .
(٣) وردت هذه الأبيات في الشعر المنسوب إليه في الديوان ،ص٣٤١ .
(٤) وردت هذه الأبيات في الشعر المنسوب إليه بالديوان ص ٢٦١ .

أتاني حديثٌ فكذَّبتُه بأمرٍ تزعزَعُ منه القُلَل
بقتل بـني أسَدٍ ربَّهم ألا كل شيء سواه جَلَل
فأين ربيعةُ عن ربِّها وأين تميمٌ وأين الخَوَل
ألا يحضرون لدى بابه كما يحضُرون إذا ما أكلْ

وقيل انه كان بصَيْلَع حينما ُقتل بوه بدليل شعرٍ له . وصيلع موضع من شق اليمن كثير الوحش والظباء .

وقال ابن السكيت (١) : ولما طعن الأسدي حُجْراً ولم ُيجهز عليه ، أوصَى ودفع كتابه إلى رجل ، وقال له : انطلق إلى ابني نافع – وكان أكبر ولده – فإن بكى وجزع َفالْهُ عنه ، واستَقْرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس – وكان أصغرهم – فأيهم لم يجزع فادفع إليه سلاحي وخيلي و ُقدوري ووصيتي ، وقد كان بيّن في وصيته من قتله وكيف كان خبره . فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه ، فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثم استقراهم واحداً واحداً ، فكلهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس ، فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويُلاعبه بالنَّرْد ، فقال له : ُقتل حجر. فلم يلتفت إلى قوله ، وأمسك نديمُه . فقال له امرؤ القيس : اضربْ . فضرب. حتى إذا فرغ قال : ما كنتُ لأفسد عليك دَسْتَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كله ، فأخبره . فقال : الخمرُ عليّ والنساء حرامٌ حتى أقتل من بني أسد مائة وأجز نواصيَ مائة . وفي ذلك يقول :

أرِقتُ ولم يأرَقْ لما بيَ نافعُ وهَاجَ ليَ الشوقَ الهُمومُ الروادِعُ

وفي رواية تنسب إلى الهيثم بن عديّ أن امرأ القيس كان مع والده حجر حينما هاجمته بنو أسد ، وأنه هرب على فرس له ، وتمكن من النجاة (٢) .

---

(١) الأغاني : ج ٩ ص ٨٧ .

(٢) جواد علي : ج ٣ ص ٢٥٤ .

ولكن يغلب على ظني أن امرأ القيس كان غائباً عن أبيه عندما هاجمه الأسديون ، وأنه كان ما زال يتبع الطريق التي رسمها لنفسه ، من التنقل هنا وهناك حيث اللهو والمتعة ، وجميع الروايات ما عدا الأخيرة ، تؤيد ذلك ، وهو الأقرب إلى الواقع ، لأنه يوافق طبيعته وميوله وهواه .

ويبدو أن فن القصص قد اتخذ مجراه في سرد حالة امرىء القيس وقت أن بلغه خبر مقتل أبيه ، فقد لعب الخيال دوره في هذا المجال ، ممزوجاً بالعادات والتقاليد العربية التي كانت شائعة بين العرب في ذلك الحين . فمن مجموع هذه الروايات التي ذكرناها نجد انه لم يعبأ بالنبأ حتى انتهى من لعبه وشربه ، وأن صاحبه ارتاع للخبر ، فشجعه هو على الاستمرار فيما كانا بسبيله حتى انتهيا منه ، وأنه في تلك اللحظات قد أنحى بما يشبه اللائمة على أبيه ، إذ ضيعه صغيراً ، وأهمل رعايته وتربيته ، ثم ألقى بالعبء الثقيل عليه دون أن يتهيأ له . وتعود إليه الحمية العربية فيُقْسم على ترك اللهو والمتعة حتى يقتص لأبيه . وهو في كل هذا يعبر بالشعر عما يحسه وما يحيط به . ولا شك أن لشخصيته ، وما شاع عن طبيعتها وسلوكها أثر كبير في كل ذلك .

* * *

وكما تحكي الأخبار عنه أنه كان قبل موت أبيه دائم التنقل بين الأحياء ، باحثاً عن المتعة واللهو ، تحكي عنه كذلك أنه بعد موت أبيه أخذ يتنقل بين مختلف الأقوام ؛ ولكنه – في هذه الفترة – باحثاً عن العون والمساعدة في سبيل هدف أصيل ، فهو إن كان في الفترة الأولى يسير وفق هوى الصبا ونزعات الشباب ، في غير مبالاة ولا اكتراث ، فهو في الفترة الثانية يطلب النجدة ، والمعونة ، بجدّ وإخلاص لمواجهة صروف الدهر وأحداث الزمان ، إرضاءً للرجولة وطموحاً إلى المجد .

وتقول الروايات إنه بعد مقتل أبيه وتصميمه على الأخذ بالثار من بني

أسد أخذ يستعد لحربهم ، ولكن الخليل بن أحمد يروي أن بني أسد حاولوا أن يتفاوضوا مع امرىء القيس في الصلح ، وإنهاء ما بينهم بالطرق السلمية ، فيقول [١] : « قدم على امرىء القيس بن حجر بعد مقتل أبيه رجال من قبائل بني أسد ، كهول وشبان ، فيهم المُهاجِر بن خِداش ابن عم عبيد ابن الأبرص ، وقَبِيصَة بن نُعَيم ، وكان في بني أسد مقيماً، وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور ، وِرْداً وإصْداراً ، يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمَر بإنزالهم ، وتقدم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً ، فسألوا من حضرهم من رجال كندة ، فقال : هو في شغل بإخراج ما في خزائن حُجر من السلاح والعُدّة . فقالوا : اللهم غَفْراً ، إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلف ، ونستدرك به ، فليبلغ ذلك عنا . فخرج إليهم في قَباء وخُفّ وعمامة سوداء، وكانت العرب لا تَعْتَمّ بالسواد إلا في التِّرات. فلما نظروا إليه قاموا له » . وتحكي الرواية كيف قام خطيب بني أسد ، وأدلى بوجهة نظر القوم ، وكيف كان رد امرىء القيس عليهم ، فتذكر أنهم خيروه بين ثلاث ، يختار إحداها : إما أن يختار واحداً من أشرف بيوت بني أسد فيقتله في أبيه ؛ وإما أن يقبل الفداء من نَعَم بني أسد التي هي ألوف تجاوز الحِسْبة؛ وإما أن يتفق معهم على هُدنة، حتى تضع الحوامل ، وتُهَيأ الجيوش والأسلحة للقتال . فرفض امرؤ القيس الأولين ، لأنه لا كفء لحُجْرٍ في دمٍ ، وأنه لن يعتاض به ناقة أو جملا فيكتسب بذلك سُبَّةَ الأبَد وَفتّ العضد ، وقبل الثالثة قائلا: «وأما النَّظِرَة فقد أوجبتْها الأجنّةُ في بطون أمهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سبباً ، وستعرفون طلائعَ كندة من بعد ذلك ، تحمل في القلوب حَنَقاً ، وفوق الأسنة عَلَقاً [٢] :

إذا جالَت الخيلُ في مأزقٍ تُصافِح فيه المنايا النفوسا »

---

(١) الأغاني : جـ ٩ ص ١٠٣ .

(٢) العَلَق : الدم .

وتقول الرواية إنهم في النهاية نهضوا عنه ، وقَبِيصةُ يقول متمثلاً :

لعلَّك أن تستوخم الوِرد إن غدَتْ كتائبنا في مَأزِق الموت تمطر [1]

فقال امرؤ القيس : لا والله لا أستوخمه ، فرُوَيداً ينكشفْ لك دُجاها عن فُرسان كندة وكتائب حمير » .

* * *

ويقول ابن الكلبي عن أبيه ، ويعقوب بن السِّكِّيت عن خالد الكلابي [2] : إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بكرا وتغلب ، فسألهم النصر على بني أسد ، فبعث العيون على بني أسد ، فنَذِروا [3] بالعيون ، ولجئوا إلى بني كنانة ، وكان الذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم علباء : يا معشر بني أسد تعلمون ! والله إن عيون امرىء القيس قد أتتكم ، ورجعتْ إليه بخبركم ، فارحلوا بليل ولا تُعلِمُوا بني كنانة . ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب ، حتى انتهى إلى بني كنانة ، وهو يحسبهم بني أسد ، فوضع السلاح فيهم ، وقال : يا لثاراتِ الملك ! يا لثارات الهُمام ! فخرجت إليه عجوز من بني كنانة ، فقالت : أبيتَ اللعن ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونك ثأرَك فاطلبهم ، فإن القوم قد ساروا بالأمس ، فتبع بني أسد ، ففاتوه ليلتهم تلك . فقال في ذلك :

إلا يا لَهفَ هندٍ إثر قوم هُمُ كانوا الشفاء فلم يصابوا
وَقاهُمْ جَدُّهم ببني أبيهم وبالأشقَينَ ما كان العقاب [4]
وأفلتهن علباء جريضاً ولو أدركنه صفر الوطاب [5]

---

(١) تستوخم : تستمريء .

(٢) الأغاني : ج ٩ ص ٩٠

(٣) نذروا : علموا فاتخذوا الحيطة والحذر .

(٤) جدهم : حظهم . الأشقين : جمع أشقى أي أكثر شقاء .

(٥) جريضا : أي غُصَّ بالريق . صفر الوطاب : أي خلا جسمه من الدم كناية عن الموت.

ويعني ببني أبيهم بني كِنانة ، لأن أسداً وكنانة ابنَيْ خزَيْمة أخوان » .

ولكن اليعقوبي يروي في هذه الحادثة رواية أخرى ، فيقول إن امرأ القيس كان غائباً ، فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً وقصد لبني أسد ، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ، فذعر القطا عن مجاثمه ، فمر ببني أسد ، فقالت بنت علباء (أي علباء بن الحارث الأسدي) : ما رأيت كالليلة قطاً أكثر ! فقال علباء : لو ترك القطا لغفا ونام. « فأرسلت مثلاً » . وعرف أن جيشاً قد اقترب منهم ، فارتحل ، وأصبح امرؤ القيس فأوقع بكنانة [1] .

وتستمر رواية ابن الكلبي ، فتقول إن امرأ القيس تتبع بني أسد ، فأدركهم ظُهْراً ، وقد تقطعتْ خيلُه ، وقطع أعناقهم العطش ، وبنو أسد جامُّون [2] على الماء ، فنَهَد إليهم ، فقاتلهم ، حتى كثرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحَجَز الليل بينهم ، وهربت بنو أسد . فلما أصبحت بكر وتغلب امتنعوا أن يتبعوهم ، وقالوا له : قد أصبت ثأرك . قال : والله ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ، ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشئوم ، وكرهوا القتال معه ، وانصرفوا عنه [3] .

ويتفق ابن الكلبي والهيثم بن عديّ وعمر بن شبة وابن قتيبة في الرواية بعد ذلك إذ يقولون : « فلما امتنعت بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد خرج من فوره ذلك إلى اليمن ، فاستنصر أزد شنوءة ، فأبوا أن ينصروه ، وقالوا : إخواننا وجيرانُنا » [4] .

وهنا يسوق اليعقوبي رواية أخرى ، فيقول إنه مضى إلى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ، ومن معهم من قيس . فأقام زماناً ، وكان يدمن

(١) اليعقوبي : حـ ١ ص ٢١٧ .
(٢) جامون : مجتمعون .
(٣) الاغاني : جـ ٩ ص ٩١ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

مع نُدامى له ، فأشرف يوماً ، فإذا براكب مقبل ، فسأله : من أين أقبلت ؟ قال : من نجد . فسقاه مما كان يشرب ، فلما أخذت منه الخمر رفع عقيرته ، وقال :

سَقَينا امرأ القيس بنَ حجر بن حارث
كؤوسَ الشَجَى حتى تَعَوَّد بالقهر

وألهاه شُربُ ناعمٍ وقراقرٍ
وأعياه ثأر كان يطلب في حجر

وذاكَ لعمري كان أسهل مشرعاً
عليه من البيض الصوارم والسمر

ففزع امرؤ القيس لذلك، ثم قال: يا أخا الحجاز ، مَن قائل هذا الشعر؟ قال : عبيد بن الأبرص . قال : صدقت . ثم ركب واستنجد قومه فأمدوه بخمسمائة من مذحج ، فخرج إلى أرض معد ، فأوقع بقبائل من معد ، وقتل الأشقر بن عمرو ، وهو سيد بني عمرو ، وشرب في قحف رأسه [1] .

وتقول رواية ابن الكلبي والهيثم وعمر بن شبة وابن قتيبة السابقة إن امرأ القيس بعد أن امتنعت أزد شنوءة عن نصرته ، « نزل بقَيْل يُدعَى مَرثَد الخير بن ذي جدَن الحميريّ ، وكانت بينهما قرابة ، فاستنصره واستمده على بني أسد ، فأمده بخمسمائة رجل من حمْير ، ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم ، وقام بالمملكة بعده رجل من حمير يقال له قَرْمَل ابن الحميم ، وكانت أمه سوداء ، فردَّد امرؤ القيس ، وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف ، وقال :

وإذ ندعو مَرثَدَ الخيرِ ربَّنا
وإذ نحن لا نُدعَى عَبيداً لِقَرْمَل

فأنفذ له ذلك الجيش ، وتبعه شذاذ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد . ومرَّ بتَبَالة وبها صنم للعرب

(١) اليعقوبي : ج ١ ص ٢١٧ .

تعظّمه ، يقال له : ذو الخُلَصَة . فاستقسم عنده بقداحه ، وهي ثلاثة : الآمر والناهي والمتربّص ، فأجالها ، فخرج الناهي ، ثم أجالها ، فخرج الناهي ، ثم أجالها ، فخرج الناهي . فجمعها وكسرها ، وضرب بها وجه الصنم ، وقال له : لو أبوك قُتل ما عُقتَني . ثم خرج ، فظفِر ببني أسد ».

ويذكر ابن الأنباري أن امرأ القيس خرج إلى اليمن مستمداً ، ثم أقبل بجموع من اليمن وربيعة يريد بني أسد ، فأغار عليهم وقتل في بطون بني أسد مقتلة عظيمة ، وقتل علباء وأهل بيته . وأنه قال في ذلك قصيدته التي منها :

قد قرت العينان من مالك ... طُرّاً ومن عمرو ومن كاهل
ومن بني غَنْم بن دُودان إذ ... يُقْذف أعلاهم على السافل
حتى تركناهم لدى مَعرك ... أرجلهم كالخشب الشائل [1]

وهذه الروايات كما نرى تذكر أن امرأ القيس أوقع ببني أسد ، ولكن هناك من المؤرخين من ينفي ذلك ، فمنهم ابن خلدون ، إذ يقول إن امرأ القيس لما أثخن في بني كنانة سار في اتباع بني أسد إلى أن أعيا ، ولم يظفر منهم بشيء ، ورجعت عنه بكر وتغلب ، فسار إلى اليمن يستصرخ ملوكها. وكذلك أبو الفداء ينفي خبر انتقام امرىء القيس من بني أسد ، فيذكر أن بني أسد لما علمت بمجيء بكر وتغلب هربت ، ولما أعجز القبيلتين الطلب تخاذلتا عن امرىء القيس وتركته [2] .

وفي هذه الأخبار التي مرت نجد امرأ القيس ، يحاول أن يجمع الجموع لمهاجمة أسد والإيقاع بها ، ليأخذ بثأر أبيه ، فكان موقفه الهجوم ، ولكن بجموع فيها الكثير ممن تنقصهم حرارة الإيمان بالغرض الذي يحاربون من أجله

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، ص ٦ - ١١ .

(٢) تاريخ أبي الفداء : ج ١ ص ٧٥ .

لأنهم ليسوا من لحمه ودمه ، أو لا يهمهم الأمر في قليل ولا كثير . وبينما امرؤ القيس في هذه الظروف ، إذ به يجد نفسه مضطراً للحرب في جبهة أخرى ، ذلك أن عدو كندة اللدود ، يتحرك للإيقاع بها والقضاء عليها ، ذلك هو المنذر ملك الحيرة ، الذي احتل الحارث الكندي مكانه ، وتربع على عرش الحيرة ، وطرده من الملك ، فترة من الزمن . فكان لذلك أثر خطير في نفوس من كانوا يمدون يد المساعدة والعون لامرىء القيس ، مما زعزع موقف امرىء القيس ، وأضعف شأنه .

فتحكي الأخبار أن المنذر جمع الجموع لامرىء القيس[1]، «ووجّه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتنوخ ، ولم تكن لهم طاقة ، وأمدهم كسرى أنو شروان بجيش من الأساورة ، فسرحهم في طلبه ، وتفرقت حمير ومن كان معه عنه . فنجا في عصبة من بني آكل المرار ، حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع بن حنظلة ، ومع امرىء القيس أدراع خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصّنة ، والخربق ، وأم الذيول ، كنّ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك . فقلّما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يوعده بالحرب إن لم يسلم إليه بني آكل المرار ، فأسلمهم » . وهنا تذكر هذه الرواية أنه نجا ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وهند والأدرع والسلاح ومال كان بقي معه ، حتى نزل في أرض طيىء . وقيل : إنه نزل قبلهم على سعد بن الضباب الإيادي ، سيد قومه ، فأجاره ، وبعد ذلك تحول إلى أرض طيىء ، فنزل بالمُعَلَّى بن تميم ، من بني جديلة ، فلبث عنده ، واتخذ إبلاً هناك . ثم نزل ببني نبهان من طيىء ، فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج ، فنزل بعامر بن جوين ، واتخذ عنده إبلاً ، وكان عامر أحد الخلعاء الفُتّاك فأحس امرؤ القيس أنه همّ أن يغلبه على أهله وماله ، فتغفّله امرؤ القيس ، وانتقل إلى حارثة بن مُرّ من بني ثُعَل .

---

(١) الأغاني : ج ٩ ص ٩٣ .

وتقول هـذه الرواية : قال دارِم بن عقال في خبره [١] : « فلما وقعت الحرب بين طيىء من أجله ، خرج من عنـدهم ، فنزل برجل من بني فزارة يقال له عمرو بن مازن . فطلب منـه الجوار حتى يرَى ذاتَ عيْبِـهِ [٢] . فقال له الفزاري : يا بْنَ حُجر ، إني أراك في خَلَل من قومـك ، وأنا أنـْفَسُ [٣] بمثلك من أهل الشرف . وقد كدتَ بالأمس تؤكل في دار طيىء، وأهل البـادية أهل بَرٍّ ، لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قيس ، أفلا أدلُّك على بلد ! فقد جئتُ قيصرَ ، وجئتُ النعمان، فلم أرَ لضيفٍ نازل ، ولا لمُجْتَدٍ مِثْلَـه، ولا مثلَ صاحبه. قال : من هو؟ وأين منزله ؟ قال : **السموأل بتيماء** ، وسوف أضرب لك مِثْلَه ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ عَيبِك ، وهو في حصن حصين وحسب كبـير . فقال له امرؤ القيس : وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يوصلك إليه ، فصحبه إلى رجل من بني فزارة يقال له ، الرَّبيع بن ضَبُع الفزاري ممن يأتي السموأل فيَحْمِلُه ويُعطيـه .... فوفد الفزاري بامرىء القيس إليـه ، فنزلوا عنده .

ويقولون إنه أقام عند السموأل ما شاء الله ، ثم طلب إليه أن يكتب للحارث بن أبي شَمِر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر . فاستنجد له رجلا واستودع عنده المرأة والأدراع والمال، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه . فمضى حتى انتهى إلى قيصر .

ويروى أن عمرو بن قميئة رافق امرأ القيس في سفره إلى القسطنطينية ، وكان عمرو بن قميئة من قدماء الشعراء في الجاهلية ، وأنه أول من قال الشعر من نزار ، وهو أقدم من امرىء القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره ، فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فمات في طريقه ، وسمّته العرب :

---

(١) الاغاني جـ ٦ ص ٩٦ .

(٢) يرى ذات عيبه : يعني ينظر في أمره ويصلح من شأنه .

(٣) أنفس بك : أضنّ بك .

« عمراً الضائع » لموته في غربته ، وفي غير أرب ولا مطلب [١] .

وروى كذلك أن امرأ القيس صحب في رحلته إلى بلاد الروم جابر بن حني التغلبي كذلك ، ولما اشتدت العلة على امرىء القيس صنع له جابر من الخشب شيئاً كالقر كان يحمله فيه ، وأن امرأ القيس أشار إلى ذلك بقوله :

فإما تريني في رحالة جابر على حَرَج كالقر تخفق أكفاني
فيا رب مكروب كررت وراءه وعانٍ فككت الغل منه ففدّاني [٢]

وأن جابراً هذا ظل معه إلى أن مات . ويقال لعل جابراً هذا هو الذي روى أخبار امرىء القيس وما قاله من شعر في هذه الفترة [٣] .

وعن معاملة القيصر لامرىء القيس تقول الأخبار إنه لما انتهى إلى قيصر ، « قَبِله وأكرمه ، وكانت له عنده منزلة ، فاندس رجل من بني أسد يقال له الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد ، حتى أتى بلاد الروم مستخفياً . ثم إن قيصر ضم اليه جيشاً كثيفاً ، وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصَل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قومُ غَدرٍ ، ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَك بمن بعثتَ معه .

وقال ابن الكلبي : بل قال له الطماح : إن امرأ القيس غَوِيّ عاهر ، وإنه لما انصرف عنك بالجيش ذكر أنك كان يراسل ابنتك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشهّرها بها في العرب ، فيفضحها ويفضحك . فبعث اليه بحُلّة وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجة بالذهب ، وقال له : إني أرسلت إليك بحُلّتي التي كنت ألبسها، تَكرِمةً لك ، فإذا وصلت إليك فالبَسْها باليمْن والبركة ، واكتبْ إليّ بخبرك من منزل إلى منزل . فلما وصلت إليه لبسها ،

---

(١) جواد علي : ج ٣ ص ٢٦٣ . والأغاني : ج ١٦ ص ١٥٨ - ١٥٩ .
(٢) ديوانه ص ٩٠ .
(٣) امرؤ القيس للأستاذ سليم الجندي ، ص ٢٧ - ٢٨ .

واشتدّ سرورُه بها . فأسرع فيه السم وسقط جلده ، فلذلك سُمّي ذات القُروح ، وقال في ذلك :

لقد طَمَح الطمّاح من بُعد أرضِه ليُلْبِسَني مما يُلَبِّس أبؤُسا
فلو أنها نفس تموت سويّة ولكنها نفس تَساقَط أَنْفُسا

قال : فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدعَى أنـْقِرة احتـُضر بها، فقال:

رُبَّ خُطْبَةٍ مُسْحَنْفِرهْ وَطعْنَةٍ مُثْعَنْجِرهْ
وَجفْنَةٍ مُتْحيِّرهْ حلَّتْ بأرض أَنْقِره[1]

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك ، فدفنت في سفح جبل يقال له عَسيب ، فسأل عنها ، فأخبر بقصتها ، فقال :

أجارتنا إن المَزَارَ قريب وإني مقيم ما أقام عسيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

ثم مات ، فدفن إلى جنب المرأة ، فقبره هناك[2] » .

* * *

هذه هي الروايات التي نقلت إلينا أخبار امرىء القيس الشاعر الكندي المشهور ، وقد أثبتنا معظمها بنصوصه ، لتكون صورة أمينـة لهذه الأخبار كما دُونت في كتب الأدب والتاريخ ولنضع أمام القارىء ما قد يكون فيها من اختلاف وتضارب بينها بعضها وبعض، وله أن يستنتج منها ما يشاء ما دام مؤيداً بالدليل والبرهان. وسنبين تعليقنا على أخباره كلها فيما بعد إن شاء الله.

---

(١) مسحنفرة : فيها انطلاق وسعة . مثعنجـرة : يتصبّب منها الدم ويسيل . متحيرة : مملوءة طعاماً ودسماً .

(٢) الأغاني : ج ٩ ص ٩٩ - ١٠١ .

وقد عقّب على هذه الأخبار الدكتور طه حسين[1] ، بعد ان اعترف بوجود امرىء القيس ، بأن «الناس لم يعرفوا عنه شيئاً إلا اسمه هذا ، وإلا طائفة من الأساطير والأحاديث تتصل بهذا الاسم». ويعتقد أن هذه الأساطير شاعت في عصر الرواة المدونين والقصاصين بسبب المكان الذي احتلته كندة في الحياة الإسلامية . ويستشهد على ذلك بمجيء الأشعث بن قيس على رأس وفد من كندة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتداد كندة بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام ، ومقاتلة أبي بكر لها ، ومجيء الأشعث في وفدها ، وزواج الأشعث من أم فروة أخت أبي بكر ، واشتراكه في فتح الشام وحرب الفرس ، وتوليه عملاً لعثمان رضي الله عنه ؛ وأن ابنه محمد بن الأشعث كان سيداً من سادات الكوفة ، وعليه اعتمد زياد حين أعياه أخذ حجر بن عدي الكندي الذي قتله معاوية في نفر من أصحابه ، وأن ذلك قد ترك في نفوس المسلمين عامة واليمنيين خاصة أثراً عميقاً ، مثّل هذا الرجل في صورة الشهيد ، ثم ينتقل إلى ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج ، وخلعه الحجاج ، وما حدث بسبب ذلك من إراقة دماء عشرات الآلاف ، ثم انهزام ابن الأشعث والتجائه الى ملك الترك ، ثم غدر هذا الملك به وتسليمه لعامل الحجاج . ثم ينتهي من ذلك إلى أن «قصة امرىء القيس بنوع خاص تشبه من وجوه كثيرة حياة عبد الرحمن بن الأشعث . » ويوضح وجوه الشبه هذه بقوله : « فهي تمثل لنا امرأ القيس مطالباً بثأر أبيه . وهل ثار عبد الرحمن عند الذين يفقهون التاريخ إلا منتقماً لحجر بن عدي ؟ وهي تمثل لنا امرأ القيس طامعاً في المُلك ، وقد كان عبد الرحمن بن الاشعث يرى أنه ليس أقل من بني أمية استئهالاً للملك ، وكان يطالب به . وهي تمثل لنا امرأ القيس متنقلاً في قبائل العرب . وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث متنقلاً في مدن فارس والعراق . وهي تمثل امرأ القيس لاجئاً الى قيصر مستعيناً به ، وقد كان عبد الرحمن بن الأشعث لاجئاً إلى ملك الترك مستعيناً به . وهي تمثل

---

(١) في الادب الجاهلي : ١٩٥ وما بعدها .

لنا أخيراً امرأ القيس وقد غدر به قيصر بعد أن كاد له أسديٌّ في القصر ، وقد غدر ملك الترك بعبد الرحمن بعد أن كاد له رسل الحجاج. وهي تمثل لنا بعد هذا وذاك امرأ القيس وقد مات في طريقه عائداً من بلاد الروم ، وقد مات عبد الرحمن في طريقه عائداً من بلاد الترك » . ويختم حديثه في ذلك بقوله : « نرجح أن حياة امرىء القيس كما يتحدث بها الرواة ليست إلا لوناً من التمثيل لحياة عبد الرحمن استحدثه القصاص إرضاء لهوى الشعوب اليمنية في العراق ، واستعاروا له اسم الملك الضليل اتقاء لعمال بني أمية من ناحية ، واستغلالاً لطائفة يسيرة من الأخبار كانت تعرف عن هذا الملك الضليل من ناحية أخرى .

***

وعن ذهابه إلى قيصر الروم، يقول لويس شيخو: « وقد جاء ذكر امرىء القيس في تواريخ الروم مثل توتوز ، وپروكوب ، وغيرهما ، وهم يسمونه قيساً . وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستنيانوس أرسل إليه وفداً يطلب منه النجدة على بني أسد ، وعلى المنذر ملك العراق ... وقد ذكر توتوز المؤرخ أن يوستنيانوس قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره ، وإعادة ملكه ، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده » .[1] ويقول بروكلمان واولیندر عن رواية توليته أميراً على قبائل فلسطين ، إن هذا منحول عليه ولكنه حدث حقيقة لابن عمه قيس بن سلمة [2] .

ويقول الدكتور جواد علي عن الطريق التي سلكها إلى بلاد الروم : « لم تشر الأخبار عن سفره إلى القسطنطينية وعن كيفية وصوله إلى قيصر ، ويظهر من شعره على كل حال أنه سلك طريق الشام ، وأنه مر بحوران وبعلبك وحمص وحماة وشيزر . أما بعد ذلك إلى عاصمة الروم ، فلا نعرف عنه شيئاً [3] » .

---

(١) شعراء النصرانية: حـ١ ص ٥ ،٣ دائرة المعارف البريطانية Encyclopoedia Britanica
(٢) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي جـ١ ص ٩٨ Olinder : Kings of Kinda, pp. 94-118
(٣) جواد علي : جـ ٣ ص ٢٦٣ .

وعن مساعدة القيصر يوستنيانوس لامرىء القيس ، يقول الأستاذ فؤاد أفرام البستاني: « وكان ليوستينيانوس سببان يحملانه على إجابة طلب امرىء القيس : أولهما كون الطالب نصرانياً، ونحن نعلم من التواريخ أن يوستينيانوس كان من الغُير على الدين . وثانيهما ؛ وهو الأعم ، كما يظهر من قول پروكوب أن عدو امرىء القيس كان المنذر ، والمنذر كما لا يخفى من عمال الأكاسرة منافسي القياصرة في بسط السيطرة على أطراف جزيرة العرب[1]» .

***

ويغلب على ظني أن الروايات التي تحكي حياة امرىء القيس قد دخل فيها شيء من الفن القصصي ، كما سبق أن ذكرت ذلك . حقيقة قد تكون كندة احتلت مكاناً في الإسلام، ولكنها ليست الوحيدة في ذلك ، فهناك كثير من القبائل العربية غيرها قد كان لها شأن كبير بعد الإسلام . ولئن كان هناك بعض مشابهة بين امرىء القيس وابن الأشعث ، فهناك كثير من وجوه المخالفة بينهما ، فابن الأشعث قد ثار على الولاة طمعاً في الحكم والولاية ، أما امرؤ القيس فقد كانت الثورة ضده وضد أبيه ؛ وبينما كان امرؤ القيس يسعى للأخذ بثأر أبيه ، فإن ابن الأشعث كان يتظاهر بالثأر لقريبه ، فهو في الحقيقة كان قد اتخذ من ذلك ذريعة لهوى في نفسه . وابن الأشعث كان يطمع في شيء لم يكن له من قبل ، أما امرؤ القيس فقد يسعى في استرجاع مُلك كان قد ذهب عنه . وأما أن كليهما قد باء بالفشل ومات دون تحقيق أمنيته ، فذلك راجع – في اعتقادي – إلى أن الذين اتبعوهما بقصد المعونة والمساعدة كان ينقصهم الحماسة والحرارة والقوة الدافعه التي تنشأ عن الإيمان الصادق بأحقية الهدف الذي يسعون لتحقيقه ، فلم يحارب معهما أعوانهما بجد وإخلاص، بدليل أن كثيراً منهم كانوا سرعان ما ينفضون عنهما ، واتفاق كل من امرىء القيس وابن الأشعث في نتيجة سعيهما لا يستلزم أن تكون قصة إحدهما تمثيلاً لقصة الآخر .

ولا أعتقد أن قصة حياة امرىء القيس لون من ألوان التمثيل لحياة عبد الرحمن بن الأشعث، استحدثه القصاص لإرضاء هوى الشعوب اليمنية في العراق،

---

(١) الروائع : رقم ٧ ، المقدمة ص بب.

ولاتقاء عمال بني أمية ، فالمعروف عن النفوس البشرية أنهـا تسترضي ذوى السياده والسلطان ، وهم في ذلك الوقت بنو أميـة وعمالهم ، وإذا لم يكن هناك ميل لاسترضائهم – لعدم الرغبة فيهم – فليس هناك إلاّ مداراتهـم ومصانعتهم ، وعند ذلك تسكت الألسنة ، وخصوصاً من الرواة ، وهم كانوا في العادة بعيدين عن التلـّون بأي لون سياسي بحيث يجعل منهم أصدقاء لفريق وأعداء لآخر . على أن الرواة كان يهمهم كسب رضا الولاة ومحبتهم ، حتى يكونوا لهم مصدر خير ، وأقوى سند . وإذا اضطرتهم المهنـة لقول ما لا يوافق هوى هؤلاء الحكام ، كان ذلك أدعى لقبوله وتصديقه ، لأنهم لن يفعلوا ذلك إلا بدافع الرغبة في إحقاق الحق ، وإلا لنالوا ما يستحقون من العقاب ، فيكال لهم الصاع صاعين ؛ جزاء افترائهم الكذب ، وتعريضهم بالحاكمين . ثم لماذا التمثيل هنا ، وقصة ابن الأشعث وقعت أحداثها بين ظهرانيهم ، وعلى مرأىً منهم ومسمع ؟

وإذا نظرنا في هذه الروايات التي سقناها تحكي أخبار امرىء القيس ، نجد أن فيها أشياء تسترعي الانتباه ، وتثير التساؤل والعجب .

من الواضح أن تلقيبه بذى القروح والملك الضليل كان مستمدّاً من قصته والأحداث التي نزلت به ، ولعل الجروح التي نزلت به كانت قروحـاً حقيقية أدمت جسمه ، من جراء ما دخله من معارك ، أو قروحاً نفسية نتيجة لما ألم به من خيبة الأمل واليأس بسبب الهزائم التي لحقته وفقدان الإخلاص والوفاء لدى معاونيه . وكأنـه كان يضرب في الأرض على غير هدى ، فضاع في المتاهات ، وضل عن قصده وهدفه .

ويبدو أن في طبيعته الميل إلى اللهو والمجون ، وقوّى هذا الميل فيه عدم تنشئه على الجد في شؤون الحياة ، وإهمال تعويده على تحمل الأعباء ، والتفكير في حل المشكلات وتذليل الصعاب . ولا شك أنه قد كان لهذه الطبيعة وتلك النشأة أثر كبير في حياته عندما تصدّى لحمل العبء بعد مقتل أبيه ، فقد ألقي عليه حمل ثقيل لم يتدرب من قبلُ على القيام بمثله .

وتبين الأخبار أن حياته كانت فترتين : فترة قبل موت أبيه ، وفترة بعدها ، أما الفترة الأولى ، فكانت فترة لهو ومتعة ، وتنقلات هنا وهناك ، إلى غير هدف ، وبدون مبالاة ، ومع أنه كان يسير سيرة الصعـــاليك في معيشته ، وتعترف الأخبار أنه كان يصاحب الصعاليك والشذاذ والذؤبان من القبائل – مع ذلك – فإنه لم يعدّ من الصعاليك، ولم يوصف بأوصافهم،ولعل ذلك أيضاً راجع إلى طبيعته التي لم تتعود على الجد ومقابلة المشكلات ، وإلى مكانة أبيه وأسرته الاجتماعية بين العرب أجمعين . وقد أشرت سابقاً إلى أن الفن القصصي قد لعب دوراً في الحديث عن أحواله في هذه الفترة .

أما في الفترة الثانية فقد انقلبت حياته إلى ضد ما كانت عليه في الفترة الأولى ؛ فقد تبدل باللهو الجدّ ، وبالحبل على الغارب – الحملَ الثقيل على الكاهل ، وبالجري وراء اللهو والملذات – السيرَ إلى هـــدف دونه أهوال ومشقات . وبالتفاف الندامى، وقرع الكؤوس ، ونشوة الطرب، ومغامرات الخلعاء والماجنين – تكتّلَ الأعداء ، وقراعَ الكتائب ، وغمرة الأسى ، ومحاولات الأبطال والطامحين .

ولست أدري لماذا خُصّ امرؤ القيس بهذا كله! ألم يكن أصغر إخوته ؟ أين الكبير ومن يليه ؟ فلماذا يحمل العبءَ الأصغرُ منهم دون من هم أكبر منه ؟ أذلك لأنه كان أشجعهم ، وأكثرهم حماسة ، وأشدهم حمية ؟ لئن كان الأمر كذلك ، وهو صاحب الخلاعة والمجون ، فما بال إخوته حينئذ في هذا المضمار ؟ أكانوا يفوقونه في ذلك ، فكان هو خيرهم ، فاختير لحمل العبء من دونهم ؟ هذه وأمثالها خلجات تعتري الباحث ، ولكنه لا يجد لها جواباً من بين ثنايا هذه الروايات والأخبار ! اللهم إلاّ أن يقال : إنه شاعر طبقت شهرته الآفاق ، فلتكن سيرته فيها ما يثير التساؤل والعجب .

من الجائز أن يكون شعوره نحو أبيه شعوراً غير فياض بالحب الشديد بسبب طرده ، وحدوث جفوة بينهما ، وقد يكون من أثر ذلك ظهور عدم الاكتراث عندما بلغه نبأ اغتيال أبيه . ولكن ألم يكن لديه مقدرة على التظاهر

أمام الناس بالجزع والحزن ؟ وسنرى فيما بعد ، إن شاء الله ، الأثر النفسي لذلك، ونتيجته في فنه الشعري – وأغلب الظن أن الخيال القصصي" لعب دوره في تصوير حال امريء القيس عند سماعه هذا النبأ ، بدليل اختلاف الروايات في الحديث عنه ؛ ولعل قصة استمراره في لعب النرد وقت أن سمع الخبر كانت من خيال الراوي بسبب ما شاع عن امريء القيس في سلوكه حينئذ من استهتار وعدم اكتراث .

ومن الجائز أن تتحرك الحمية الجاهلية في نفس امرىء القيس وإن كان لاهياً ، وأن تثور فيه نار العصبية فيهب للأخذ بثأر أبيه ، فهو عربي جاهلي، وأن يدفعه الطموح للمجد والسلطان ، إلى أن يواجه الصعاب ويخوض غمار الحروب ، فهو بَشَر ، ومن غرائز البشر غريزة التملك وحب السيطرة . ومن تتحرك في نفسه مثل هذه المشاعر يبذل كل ما في وسعه لتحقيق ما يصبو إليه .

ومن المعقول أن يستصرخ امرؤ القيس حينئذ بأهله وعشيرته وأصدقائهم، وبمنافسي أعدائه وخصومهم ، فيطلب العون من كل هؤلاء ، وممن يلمس فيهم ميلاً إلى الوقوف بجانبه . ومن أول من يتبادر إلى الذهن مؤازرتهم له إخوته وقرابته الأقربون ، ولكن للأسف لم يرد ذكر لهؤلاء ولا لأحد منهم على الإطلاق في أي من تلك الروايات التي تسرد محاولاته في هذه الناحية.

ومن المحتمل أن يطلب المساعدة من تتابعة اليمن وأن يجد فيهم عطفاً وميلاً للوقوف بجانبه ، ففي ذلك عز لليمنيين على العموم ، وأن يعرض نفسه على القبائل العربية المختلفة ممن يأنس فيهم مودة وقبولاً ، لحمايته كأنه لاجىء، ولمساندته كأنه مظلوم ، أو طموح إلى مجد ، وليس بمستبعد أن يخرج معه نفر من هؤلاء ، فلعلهم يفوزون بشيء إذا كتب له النصر ، وقد يكسبون بعض الغنائم وإن لم ينتصر .

ومن المحتمل كذلك أن يتجه نحو قيصر الروم ، ليشرح له موقفه ، ومن

المعقول إن كان امروء القيس قد وصل إلى القيصر أن يكرمه وينزله منزلاً لائقاً ، فهو على الأقل ضيف ، أو زائر ولكن يغلب على ظني أنه من المستبعد أن يرسل القيصر معه جيشاً كثيفاً وفيه جماعة من أبناء الملوك ، كما تحكي الأخبار ؛ فليس هناك مأرب له قيمته في نظر القيصر بحيث يجعله يزود امرأ القيس بجيش كالذي تصفه هذه الروايات . ولئن قيل إن القيصر كان يقصد بذلك أن يعمل على تلافي أخطار هذه القبائل في المستقبل ، فذلك مردود بأنه كان في الغسانيين كفاية لذلك ، كما كان فيهم الكفاية للوقوف أمام المناذرة ، ولم يكن المناذرة من الخطورة على القياصرة إلى حد أن يعبىء مع امرىء القيس جيشاً بهذه الصفة التي يوصف بها . كما أن امرأ القيس لم يكن يسعى لنصرة النصرانية حتى يساعده القيصر بدافع غيرته الدينية . والمعروف عن المناذرة أنهم كانوا أشد تمسكاً بالنصرانية من امرىء القيس . وأعتقد أن الناحية الدينية لم يكن لها دخل في هذا الموضوع .

وإذا كان إرسال القيصر لمثل هذا الجيش مع امرىء القيس مستبعداً ، فأكثر منه استبعاداً ما تحكيه الأخبار من ان امرأ القيس خالط القيصر مخالطة بلغت درجة بعيدة إلى حد أنه كان يشاركه في الدخول إلى الحمام ومراسلة ابنته ومواصلتها . واعتقد أن هذه القصة من نسج الخيال ، وترجع كذلك إلى ما شاع عنه من سلوك الخلاعة والاستهتار .

وفي نظري أن استعانته بالغسانيين للوصول إلى القيصر عجيبة وغريبة ، حقيقة كانت بينهما قرابة ومصاهرة ، ولكن لا ننسى أنه حدثت بينهما معارك ، وان الحارث بن أبي شمر الغساني كان قد قتل أحد أجداد امريء القيس وهو عمرو بن حجر الذي كان يسمى بالملك المقصور . ويقول أوليندر في ذلك إن «خبر امرىء القيس مع الغساسنة في طريقه إلى قيصر لا نعلم عنه شيئاً» وليس في شعره ما يشير إلى أنه ذهب إليهم رجاء التوسط في الوصول إليه [١] .

---

(١) جواد علي : ج ٣ ص ٢٦٣ و أوليندر ص ١٠٩

وتروي الأخبار أن امرأ القيس لما نزل بطيىء أجاروه ، وزوجوه أمرأة منهم اسمها أم جُنْدَب ،وأنها كرهته ، وأنه هو وعلقمة الفحل حكّماها بينهما حينما ادّعى كل منهما أنه أشعر من الآخر ، فقال كل منهما شعراً في وصف الفرس ، وأنها فضلت علقمة على امرىء القيس ، فقال لها : بم فضلته علي ؟ فقالت : فرس ابن عبدة أجود من فرسك . قال : ولماذا ؟ قالت : سمعتك زجرت وضربت وحركت ، وهو قولك :

فللساق ألهوب وللسوط درة ... وللزجر منه وقع أهوجَ مِنعَب

وأدرك فرسُ علقمة ثانياً من عنانه ، وهو قوله :

فأقبل يَهوي ثانياً من عنانه ... يمرّ كمرّ الرائـــح المتَحلِّب

وتقول الروايات : إن امرأ القيس غضب عليها وطلقها، فخلف عليها علقمة ، فسمىّ علقمة الفحل [1] .

هذا هو ما تقوله الروايات ، ولكن يبدو أن في هذا الخبر ما هو مختلق، فالذي يغلب على الظن أن حياته في ذلك الوقت كانت قلقة وغير مستقرة ، ويستبعد أن يفكر في الزواج ، على أن سلوكه السابق على ذلك الوقت لم يكن سلوك شخص يبحث عن الاستقرار ، ثم إذا كان قد تزوجها وحدث بينه وبينها نفور في الليلة السابقة على مجيء علقمة إليه ، كما تقول الروايات، فمن المستبعد أن يرضى امرؤ القيس بتحكيمها بينهما، ثم إن افتتاحية قصيدته التي قالها بهذه المناسبة كلها حديث هوى وعشق لأم جندب ، ومن المستبعد كذلك أن يقول ذلك إذا كانت زوجته، واذا كانت قد صرحت له بكراهيتها له في الليلة السابقة مباشرة .

على أن سبب تسمية علقمة بالفحل ، لا يرجع إلى أنه خلف امرأ القيس على أم جندب ولكن يبدو أن ذلك كان للتفرقة بينه وبين شخص آخر كان يسمي

---

(١) ديوانه ص ٤٠ .

علقمة الخصي [1] .

ثم إنه من العجيب أن يغضب امرؤ القيس من الحكم ، وهو مبني على سبب فني سليم ، وربما كانت قصة زواجه وطلاقه لكراهية المرأة له مختلقة للرد على ادعاءات امرىء القيس في مغامراته وهيام النساء به ، كما سنرى فيما بعد إن شاء الله .

* * *

وقد اختُلِف في تاريخ امرىء القيس، فالأستاذ الزركلي يقول إنه عاش في الفترة ما بين سنتي : ١٣٠، ٨٠ قبل الهجرة = ٤٨٧، ٥٣٩ بعد الميلاد [2]. ويرى بعض المستشرقين أن ذهاب امرىء القيس إلى القيصر يوستينيانوس كان حوالي سنة ٥٣٠م ، وأنه توفي في أثناء عودته بين سنتي ٥٣٠، ٥٤٠م [3]. أما الاستاذ جورجي زيدان فيرى أن وفاته كانت سنة ٥٤٠م [4] . ويقول الأستاذ فؤاد البستاني : المعروف أن امرأ القيس بينا كان راجعاً من بيزنطة ، أصيب في أنقرة بمرض كالجدري ، فتوفي هناك ، سنة ٥٤٠ م [5] . ويقول لويس شيخو إن وفاته كانت نحو ٥٦٥ ، وأنه أصابه مرض كالجدري في طريقه كان سبب موته [6] .

وإذا رجعنا إلى كتب التاريخ نجد أن يوستينيانوس كان حكمه بين سنتي ٥٢٧ ، ٥٦٥ م . وبهذا يمكن أن نقول إن امرأ القيس وُلدِ في أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس بعد الميلاد ، وتوفي بين سنتي ٥٣٩ ، ٥٦٥ بعد الميلاد .

* * *

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ١٥٢ .
(٢) الاعلام : امرؤ القيس .
(٣) جواد علي : جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية : جـ ١ ص ١٠٧
(٥) الروائع ، ص بج)
(٦) شعراء النصرانية : جـ ١ ص ٣٥ .

ومما سبق يتضح لنا أن الروايات التي تحكي أخبار امرىءالقيس قد لعب الخيال في بعضها دوراً ، كما يبدو منها أن امرأ القيس لاقى الويلات ، لا من أعدائه وحدهم ، بل كذلك ممن تظاهروا بالوقوف بجانبه ومؤازرته . وأغلب الظن أن امرأ القيس مات حزناً وكمداً بعد ما أحدق اليأس به من كل جانب .

●

ديانته

لقد كان سلوك امرىء القيس ، وسيرته ، وما جـاء على لسانه في شعره سبباً في اختلاف الآراء في بيان الديانة التي كان يعتنقها في حياته .

فقيل إنه كان وثنياً ، واستدلوا على ذلك بأن اسمه يوحي بذلك ، وأنه كان يلجأ إلى الأصنام عند الحاجة ، فقـــالوا إن «قيساً» صنم ، فمعنى اسمه عبد الصنم ، وأنه استقسم بالصنم الذي اسمه « ذو الخلصة » . ورُدّ على هذا بأن لفظ «امرىء» لا يفيد معنى العبودية ، ولم يرد في اللغة إلا بمعنى الإنسان أو الرجل ، وقد أطلقه بعضهم على الذئب مجـازاً ؛ كما أن لفظ « القيس » وردت لمعان كثيرة ذكرها أصحاب المعاجم : كالشدة والتبخـــتر ، وقالوا للرخمة أم قيس ، ولم يذكر ابن الكلبي في كتاب الأصنام صنماً يسمى قيساً ؛ وكلمة اللغويين متفقة على أن معنى امرىء القيس : رجل الشدة ؛ ثم إن امرأ القيس لقب له لا عَلَم ؛ وإن مما يدل على بُعد ذلك الاسم عن الوثنية أن كثيراً من المسلمين كانوا يسمون بهذا الاسم ، ولم ينكر النبي ﷺ ، ولا أصحابه ، عليهم أسماءهم ، ولا غيّروها ، منهم امرؤ القيس بن عابس الكندي ، وامرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي ؛ ومما ينفي الوثنيه عنـــه أنه ضرب ذو الخلصة بقداحه (١) .

---

(١) امرؤ القيس ؛ لسليم الجندي ، ص ١٨١ .

وزعم الأب انستاس الكرملي [1] أنه كان على دين المزدكية المتسرب من الفُرْس ، وذلك لأن جده الحارث تابع مزدك على رأيه ، ولأن امرأ القيس اقترف كثيراً من الفواحش ، وأرخى لنفسه العنان في اللهو واللذة . ورُد على هذا الرأي بأن «الحارث لم يَدِن بهذا المذهب اعتقاداً بصحته وحسنه، وانما اتخذه وسيلة ليقوم مقام المناذرة في التقرب لكسرى والتملك على العرب [2]، على أنه حتى إذا كان الحارث قد اعتنق المزدكية عن عقيدة فليس بلازم أن يتبعه في ذلك أبناؤه . ثم أن امرأ القيس يصرح في شعره بأنه قتل كثيراً من الحيوانات في الصيد ، وكثيراً من الناس في الحرب ، والمزدكية تنهي عن قتل الحيوان وأكله ، وعن القتال .

وقد عدّه الأب لويس شيخو من شعراء النصرانية ، وقد وافقه على ذلك الأستاذ فؤاد البستاني إذ يقول [3]: «إن امرأ القيس كان من إحدى البدع النصرانية ، وإن لم يكن يمارس هذه الديانة ، ولذلك أسباب منها :—

١ – إبطال مزاعم القائلين بوثنيته ومزدكيته .

٢ – خلو شعره من أثر الشرك .

٣ – إقراره بوحدانية الخالق في شعره .

٤ – ذكره الشيء الكثير من الأمور النصرانية .

٥ – انتشار النصرانية في كندة وهي قبيلة الشاعر .

٦ – نصرانية آله ، الظاهرة في آثار عمته هند بنت الحارث المعروفة بهند الكبرى التي بنت دير هند ، ووضعت في صدره هذه الكتابة : بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو ... أمة المسيح ، وأم عبده وبنت عبيده.

---

(١) المشرق : ٨ سنة ١٩٠٥ ، ص ٨٨٦ ،

(٢) امرؤ القيس ، لسليم الجندي ، ص ١٨٣ .

(٣) الروائع ص يد – يه .

٧ - خـروج امرىء القيس إلى قيصر ، وهو أمر لم يكن يخطر على بال أحد من العرب الوثنيين .

٨ - ما كتبه المؤرخان توتوز وپروكوب عن علاقات يوستينيانوس بامرىء القيس » .

ومما يستدل به من يقول بنصرانيته ما جاء في شعره من الإقرار بقـــدرة الله وحسابه مثل :

فاليوم أسقَى غير مستحقب إثماً من الله ولا واغـــل

ومن الإشارات النصرانية ، مثل مصابيح الرهبان .

ولكن يمكن أن يرد على ذلك بأن إبطال مزاعم القائلين بوثنيته ومزدكيته لا يستلزم حتماً أن يكون نصرانياً ، كما أنه لم يرد في شعره إقرار بوحدانية ، وإذا ذكر شيئاً من النصرانية في شعره فليس دليـلاً على أنه يدين بها ويقيم شعائرها ، ثم إنه لم يثبت أن النصرانيـة كانت منتشرة في كندة ، ولا يلزم من تدين بعض أقاربه أن يكون هو متديناً مثلهم ، وخروجـــه إلى قيصر واستنصاره به لا يدل بصفة قاطعة على اتباعه ملة القيصر ، حتى ولو كانت العلاقة بينهما أشد ما تكون توثقـاً ، فليس بمستبعد أن تنشأ علاقة وثيقة بين شخصين مختلفين في العقيدة أو المذهب .

والإقرار بالله وقدرته والحساب وغير ذلك مستفيض في كلام العرب : مَن كان منهم على دين إبراهيم ، أو من كان يعبد الأوثان ، فذكر الله وما إلى ذلك لا يقتضي الحكم بنصرانية الشخص ، والوثنيون كانوا يعتقـــدون بوجود الله وقدرته على الخلق والرزق والضر والنفع ؛ وذكر مصابيح الرهبـــان ونحو ذلك لا يستوجب نصرانيته ، والشاعر كان يقضي معظم أوقاته في الفلوات ، ويرى مصابيح الرهبان من بعيد، ولذلك لا يستبعد كثرة تواردها إلى خاطره في الوقت المناسب . ثم إذا كان ما يقال عن زواجه وطلاقه صحيحاً كان ذلك دليلاً على مخالفته لمبادىء النصرانية . وقد «شبه الكلاب حينما تأخذ بنسا الثور

بالوِلدان تشبرق ثوب المقدس ، وفي هذا التشبيه من الغضاضة ما لا يصدر عمن يدين بدين ويحترم رؤساءه[1] » .

هذه آراء الباحثين حول ديانة امرىء القيس ، ولكن يبدو من شعره وما شاع عن سلوكه أنه كان لا يهتم بهـذه الناحية ، فليس هنـــاك ما يدل دلالة صحيحة على اعتناق عقيدة معينة وممارسة شعائرها في حياته عن صدق وإيمان ، فهو يستغل بعض مظاهر من العقائد الموجودة في عصره ، ويستعملها في شعره حينما تحين الفرصة المناسبة ، استعمالاً تعبيرياً لتوضيح ما يريد تصويره ، وذلك عن طريق مشاهداته لمن يقومون بهـذه الشعائر ، لا عن طريق قيامه بها أو اعتقاده لها .

---

(١) امرؤ القيس لسليم الجندي ، ص ١٨٦ .

ديــوانُــه

حظي ديوان امرىء القيس بعدد كثير من الروايات ، والجمع ، والشروح ، والنشر ، والطبعات ؛ فرواه كثير من الرواة ، منهم : الأصمعي ، وأبوعبيدة ، وأبو عمر الشيباني ، والمفضل الضبي ، ومحمد بن حبيب ؛ وصنعه كثير ، منهم : الأعلم الشنتمري ، والوزير أبو بكر عاصم بن أيوب البطليوسي ، وأبو سعيد السكري ، وابن النحاس . وقد أحصى رواياته الدكتور ناصر الدين الأسد[١] فوجدها ست عشرة ، وكتب بحثاً مستفيضاً عنها ، وعن أصولهـا ، وعن النسخ المختلفة التي صُنعت لهذا الديوان .

وقد نشرت معلقـة امرىء القيس ضمن النشرات الكثيرة التي صدرت للمعلقات [٢] .

وكانت الطبعة الأولى لديوانه ما خلا المعلقة في باريس سنة ١٩٣٧ ، نشر المستشرق الفرنسي دي سلان (De Slane) .

وطبع في مصر مع شرح البطليوسي سنة ١٢٨٢ هـ — ١٨٦٥ م . ونشره المستشرق أهلوارد في لندن سنة ١٨٧٠ م ضمن كتاب « العقـد الثمين في دواوين الستة الجاهليين » .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) راجع تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، جـ ١ ص ٦٨ .

وفي سنة ١٣٠٧ هـ - ١٨٩٠ م طبع في مصر مع شرح الوزير أبي بكر البطليوسي .

وفي نفس العام ١٨٩٠ ظهر الجزء الأول من كتاب « شعراء النصرانية » للأب لويس شيخو في بيروت ، وبأوله شعر امرىء القيس .

ثم نشره مرتباً على حروف المعجم الاستاذ حسن السندوبي بمصر سنة ١٩٣٠ م .

وأخيراً قام بنشره نشراً علمياً الاستاذ محمد أبوالفضل إبراهيم سنة ١٩٥٨ م. وقد عُني فيه بتحقيق روايات شعره ، فاستقصى جميع نسخ الديوان المخطوطة، فعثر على ست نسخ : للأعلم ، والطوسي ، والسكري ، والبطليوسي ، وابن النحاس ، وأبي سهل ، وقد وصف كل نسخة من هذه النسخ من حيث الشكل والمضمون . وكان منهجه [1] في تحقيق الديوان أن جمع بين كل هذه النسخ ، لأنه وجدها يكمّل بعضها بعضاً ؛ وتفادياً لتكرار شعر ، أو إسقاط بعضه جعل الديوان ثلاثة أقسام ؛ القسم الأول : رواية الأصمعي ؛ والقسم الثاني : رواية المفضل ؛ والقسم الثالث : زيادات النسخ على هاتين الروايتين ، واتخذ أساس القسم الأول - وهو ما رواه الأصمعي - نسخة الأعلم ؛ وأساس القسم الثاني - وهو ما رواه المفضل - نسخة الطوسي ، أما القسم الثالث ، فقد ذكر فيه زيادات ملحق الطوسي ، والسكري ، وابن النحاس، وأبي سهل، ثم أثبت ، في فصل خاص ، خلافات الروايات ، وفي النهاية أثبت ما وجده في كتب الأدب والتاريخ غير أصول الديوان من شعر منسوب إلى امرىء القيس . أما شرح الديوان فقد أثبت شروح النسخ نفسها ، إلا نتفاً يسيرة زادها في قليل من الحواشي . وهذه النشرة هي التي سنتخذها أساساً لدراسة شعر امرىء القيس في هذا البحث.

---

(١) مقدمة الديوان ، ص ١٧ .

شِعْرُ امْرِئِ القَيْسِ

الأصيل والدّخيل في شِعْرِهِ

قال أبو حاتم السجستاني في آخر رواية الأصمعي لديوان امرىء القيس : « هذا آخر ما صحّ للأصمعي من شعر امرىء القيس ، والناس يحملون عليه شعراً كثيراً وليس له[1] » .

وقال الرياشي : « يقال إن كثيراً من شعر امرىء القيس له ، وإنما هو لفتيان كانوا يكونون معه ، مثل عمرو بن قميئة وغيره[2] » .

وقال ابن رشيق : « وكان امرؤ القيس مقلاً ، كثير المعاني والتصرف ، ولا يصح له إلا نيّف وعشرون شعراً ، بين طويل وقطعة[3] » .

والأصبهاني صاحب الأغاني ، عند ذكر القصيدة التي تنسب إلى امرىء القيس ، والتي منها :

طرَقَتْكَ هندٌ بعد طول تجنُّب   وهْناً ولم تَكُ قبل ذلك تَطْرُقُ

قال : « وهي قصيدة طويلة ، وأظنها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس ، والتوليد فيها بيّن ، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثقات ، وأحسبها مما صنعه دارم لأنه من ولد السموأل ، أو مما صنعه من روى عنه

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ص ١٤٩ .

(٢) الموشح ، ص ٣٧ .

(٣) العمدة ، جـ ١ ص ١٠٥ .

من ذلك (١) » .

من هذا نرى أن امرأ القيس قد دخل شعره ما لم يقله ، وإنما حُمل عليه حملاً وهو ليس له ؛ وأن من الأسبـــاب التي جعلت هذا الدخيل يندسّ بين الأصيل: وجود شعراء كانوا يصاحبون امرأ القيس أو يسيرون معه فاختلطت أشعارهم بأشعاره ؛ والهوى القَبَليّ الذي قد يدفع بعض الناس إلى أن ينسبوا إلى الشخص ما لم يقله ، تحت تأثير العصبية القبلية ؛ وقد يكون من الأسباب أيضاً : وجود شعراء كثيرين من كندة ، كلٌ منهم كان اسمــه امرأ القيس ، وربما يُنسَب إلى أحد منهم قولٌ سواه من هذه الطائفة بسبب تشابه الأسماء.

كما يتبين لنا مما سبق أن الرواة والعلماء والنقاد قد فطنوا إلى هذا كله ، فعرفوه ، وبيَّنوه ، ولم يقبـــلوا إلا ما وثقوا به واطمأنوا إليه ، ورفضوا ما سواه لقيام دليل ثابت على انتحاله ، أو لظهور التوليد فيه ، وعدم مشاكلته لكلام امرىء القيس . ولذلك نجد الثقات من الرواة والنقاد لا يصح عندهم له إلا أشعار قليلة، ولعل هذا هو الذي جعل ابن رشيق يقول إن امرأ القيس كان مقلاً ، ولا يصح له إلا نيّف وعشرون شعراً ، بين طويل وقطعة .

وإني أعتقد أن امرأ القيس ما كان مقلاً ، بل يبدو أن الشعر كان من طبعه ، وأنه كان يحب أن يقول الشعر ، ولهذا يغلب على ظني أنه قال شعراً كثيراً، ولعل القلة التي يقصدها ابن رشيق قلة ما اعتمده الثقات ، وقبلوه على أنه حقيقة لامرىء القيس . فالأسباب التي ذكرناها آنفاً جعلت هؤلاء الثقات يدققون في كل ما يقطعون بصحـــة نسبته لامرىء القيس ، ومن ثم لم يصح عندهم له إلا عدد قليل من الأشعار .

فكل ما روى له الأصمعي ثماني وعشرون ما بين قصيدة طويلة ومقطوعة ولكنه مع هذا كانت له ملاحظات على بعضها؛ فالقصيدة الخامسة في روايته، التي أولها(٢) :

---

(١) الاغاني ، ج ٩ ص ٩٧ .
(٢) ديوانه ، ص ٧٢ .

أَعِنّي على بَرْق أَراه وَمِيضِ يُضيءُ حَبِيّاً في شَماريخَ بيضِ

تُصدَّر بالعبارة الآتية : « وقال أيضاً – ويقال إنها لأبي دؤاد الإيادي ». ولكن الدكتور ناصر الأسد يعقب على ذلك بقوله : « ونحن نرجح أن هذا ليس من كلام الأصمعي نفسه ، وأن الأصمعي لم يكن يشك فيها ، وإنما نسبها إلى امرىء القيس . وليس في الروايات والنسخ الأخرى ما يشير إلى شك الأصمعي فيها . فلعل هذا من كلام الأعلم نفسه[1] ». وفي القصيدة الثانية عشرة قال الأصمعي : «سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : رؤبة بن العجاج أنشد من هذه القصيدة أبياتاً ، قال : وقال أبو عمرو الشيباني – أوْ من قال من الكوفيين – إنها لبشر بن أبي خازم»[2] . وفي القطعة الثانية والعشرين التي فيها :

أَلَا إِلَّا تكن إِبلٌ فمِعزَى كأَنّ قرونَ جِلَّتها العِصِيُّ
وجادَ لها الربيعُ بواقِصاتٍ فآرامٍ وجَادَ لها الوَلِيُّ
إِذا مُشَّتْ حوالِبُها أَرَنَّتْ كأَنّ الحيَّ صَبَّحهُمْ نَعِيُّ
فتُوسِعَ أهلَها أَقِطاً وسَمْناً وحسبُكَ من غِنًى شِبَعٌ ورِيّ[3]

جاء في التعليق على البيت الرابع : « وكان الأصمعي يقول: امرؤ القيس ملك ، ولا أراه يقول هذا ؛ فكأن الأصمعي أنكرها[4] » .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٥١٥ – ٥١٦ .

(٢) ديوانه ، ص ٤٠٤ .

(٣) الجلة : جمع جليل وهو المسنّ من الإبل . جاد لها الربيع : جاء بمطر جود وهو الغزير . واقصات : موضع. والآرام : علامات في الطريق . الوليّ : مطر يلي الوسميّ. مُشَّت: مسحت بالكف لتنزل درة اللبن . أرنت : صاحت . وشبه أصواتها بصوت قوم أتاهم نعي قوم فهم يبكون ويضجون . الأقط : شيء يصنع من اللبن المخيض على هيئة الجبن .

(٤) ديوان امرىء القيس ، ص ١٣٧ .

وكل ما رواه المفضل لامرىء القيس إحدى وأربعون قصيدة وقطعة ، ففي القسم الأول من نسخة الطوسي اثنتان وأربعون قصيدة من رواية المفضل عدا المقطوعة العشرين التي أولها :

أذودُ القوافيَ عَنّي ذيادا ذياد غلام جَرِيٍّ جَوَادا

فقد ذكر الطوسي أنها ليست في رواية المفضل[1] .

وقد احتوى ديوان امرىء القيس ـ الذي نشره الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم[2] ـ على مائة قصيدة ومقطوعة ، جمعها – ونسقها وفق منهجه – من النسخ الست التي اعتمد عليها في نشره للديوان ، ثم أضاف إلى ذلك ملحقاً بالشعر المنسوب إلى امرىء القيس مما لم يرد في أصول الديوان المخطوطة ، وقد ذكر في هذا الملحق سبعاً وخمسين قصيدة وقطعة . والأستاذ الناشر قسم الديوان أقساماً ثلاثة : القسم الأول : رواية الأصمعي من نسخة الأعلم ، وذكر فيه من القصائد والقطع من رقم ١ إلى رقم ٢٨ .

والقسم الثاني : رواية المفضل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي ، وفيه من رقم ٢٩ إلى رقم ٤٧ .

والقسم الثالث : الزيادات عن الروايتين السابقتين ، وفي هذا القسم من رقم ٤٨ إلى رقم ١٠٠ .

والآن ما السبيل إلى دراسة امرىء القيس من خلال ما بين أيدينا من شعر منسوب إليه ؟

أما الأستاذ الدكتور طه حسين – تبعاً لرأيه في الأدب الجاهلي وفي الرواة والقصص ، فيرى أن الشعر المنسوب إلى امرىء القيس والذي يتصل بسيرته إنما هو من عمل القصاص ، ومن ثم لا يعبأ بهذا القسم لأنه يعتقد أنه مختلق

---

(١) ديوان امرىء القيس – المقدمة – ص ١١ – ١٢ .

(٢) طبعة دار المعارف بالقاهرة ، سنة ١٩٦٤ م .

وليس لأمرىء القيس أصلا ، أما القسم الآخر وهو الذي لا يفسر سيرته ولا يتصل بها ، فيرى أن أحق هذا الشعر بالعناية قصيدتان اثنتان فقط :

الأولى : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل .

والثانية : ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي .

ويقول إن ما عدا هاتين القصيدتين فيه الضعف ظاهر ، « والاضطراب فيه بيّن ، والتكلف والإسفاف يكادان يلمسان باليد » [١] .

وظاهر من هذا أن الأستاذ الدكتور طه حسين يهمل الرواة إهمالا تاماً ، ولا يعتد برأيهم ولا بشهادتهم حتى ولو كان الراوي معروفاً بالأمانة والصدق ، مثل الأصمعي والمفضل .

وأما الدكتور ناصر الدين الأسد ، فبعد أن درس روايات ديوان امرىء القيس وجد أن الأصمعي البصري والمفضل الكوفي قد اتفقا معاً على رواية عشرين قصيدة ومقطوعة لامرىء القيس ، وأن هذه القصائد العشرين قد برئت من طعن الرواة الآخرين ، وأن الإجماع بذلك منعقد على صحتها ، ومن ثم يرى أنه يجوز لنا أن نتخذها أصلا صحيحاً – أو أقرب ما يكون إلى الصحة – لديوان امرىء القيس ، فندرسها ونستخرج منها روح الشاعر وخصائصه الفنية ، ونتخذ من ذلك مقياساً فنياً تعرض عليه أشعاره الأخرى ، فما اتفق مع هذا المقياس رجحنا صحته ، وإلا شككنا فيه ودفعناه [٢] .

وإذا رجعنا إلى المقياس الذي انتهينا إليه في الجزء الأول من هذا الكتاب [٣] لتطبيقه هنا نجد أن النصوص التي قبلها أحد الثقات ينبغي أن نقبلها بشرط ألا يتطرق إلى أي نص منها شبهة أو احتمال ، ومن هذه النصوص نستطيع – بعد دراستها – أن نستخلص مقياساً نفحص على أساسه ما سوى

---

(١) في الأدب الجاهلي ، ص ٢٠٢ .
(٢) مصادر الشعر الجاهلي ، ص ٥١٤ .
(٣) راجع تاريخ الأدب الجاهلي ، الجزء الأول ، للمؤلف ، ص : ٣٤٩

هذه النصوص ، فما كان متسقا معه ضممناه إلى النصوص المقبولة ، وإلا رفضناه .

وعلى ذلك نقبل كل نص رواه الأصمعي أو المفضل ، ومن باب أولى ما اتفقا عليه ، بشرط ألا يكون هذا النص محلا للطعن ، أو الشبهة ، وقد يكون هذا الطعن على غير حق ، أو الدافع إليه كيدي بسبب الخصومة الشخصية . ولكن ما دمنا نبحث في أديب معين للوصول إلى رأى نهائي يبين شخصيته ، وميوله، واتجاهاته الفنية، فيجب أن نكون في جانب الحيطة والحذر، فذلك مثله مثل الشهود في قضية ما، ولا يكون الشاهد عدلا ، مقبول الشهادة إلا إذا كان بعيداً عن التهمة والظن .

وبالرجوع إلى الديوان نجد أن أظهر الروايات فيه روايتا، الأصمعي، والمفضل وقد جاء فيهما سبع وأربعون قصيدة ومقطعة ، ولكنها لم تسلم كلها من الشك والاحتمال ، ولذلك إزاء ما أشرنا إليه سابقاً يجب أن نخرج منها كل ما كان للظن فيه مجال . ومن مجموع ما سلم لنا من هاتين الروايتين نستطيع – بعد دراسته – أن نستنتج منه مقياساً فنياً نعرض عليه النصوص الأخرى التي تنسب إلى الشاعر لنرى في كل منها مدى الاتفاق ومدى الاختلاف ، وعلى ضوء النتيجة التي وصلنا إليها يكون الحكم على هذه النصوص بجواز القبول أو بالرفض . فاذا نظرنا فيما احتوت عليه روايتا الأصمعي والمفضل من نصوص منسوبة إلى امريء القيس ، وهي النصوص من رقم ١ إلى رقم ٤٧ ، نجد ما يأتي : –

١ – **القصيدة رقم ٥** : مصدرة بالعبارة التالية :« وقال أيضاً – ويقال إنها لأبي دؤاد الإيادي » . قد تكون هذه العبارة ليست من كلام الأصمعي ، ولكن هذا على كل حال يثير الشك والظن ، ويقوي هذا الاحتمال أن أمرأ القيس كان راوية أبي دؤاد الإيادي [١] ؛ فربما كانت هذه الصلة سبباً في الخلط بينهما .

---

(١) العمدة : جـ ١ ص ١٩٨ .

٢ – **القصيدة رقم ٨** : قال أبو عبيدة عنها إنهـا محمولة عليه . ومع أنها جاءت في كل من روايتي الأصمعي والمفضل وجميع نسخ الديوان الأخرى ،فإن قول أبي عبيدة وهو من الثقات يجعلها عرضة للاتهام .

٣ – **القصيدة رقم ١٢** : قال عنها الأصمعي : « سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : رؤبة بن العجاج أنشد من هذه القصيدة أبياتا ، قال : وقال أبو عمرو الشيباني – أوْ من قال من الكوفيين – إنها لبشر بن أبي خازم الأسدي»[١]. وظاهر أن هذا القول يثير الشك في أصالتها .

٤ – **القصيدة رقم ١٨**:روى منها الآمدي في كتابه«المؤتلف والمختلف»[٢] الأبيات الثلاثة الأولى ، وهي :

يا هندُ لا تَنكحي بُوهةً ... عليـــه عَقيقتُه أَحْسَبا
مُرَسَّعةٌ بـــين أرسَاغِهِ ... بـه عَسَم يبتغي أرْنَبا
ليجعـــل في رجله كعبَها ... حِذارَ المنيةِ أن يَعطَبا

ونسبَها إلى امرىء القيس بن مالك الحميري : وقال :« وهي أبيات تروى لامرىء القيس بن حجر الكندي، وذلك باطل، وهي ثابته في أشعار حِمْير». وظاهر أن لتشابه الأسماء وفي قبيلة واحدة أثراً في هذا .

٥ – **المقطوعة رقم ٢٢** : جاءت في الديوان مكونة من أربعة أبيات ، وقد ذُكِرت آنفا ، مع تعليق الأصمعي عليهـا ، إذ يقول : « امرؤ القيس

---

(١) الديوان ، ص ٤٠٤

(٢) المؤتلف والمختلف ، ص ١٢ والبوهة : البومة ؛ تضرب مثلا للرجل الذي لا خير فيه . عقيقته: شعره الذي وُلد به، يريد أنه لا يتهيأ ولا يتنظف .مرسعة: معاذة.العسم: يُبْس في الرسغ واعوجاج.ليجعل في رجله كعبها:في الديوان« ليجعل في كفه» يريد أنه يتداوى ويتعوذ بكعب الارنب حذر الموت .

ملك ، ولا أراه يقول هذا » . فكأن الأصمعي أنكرها . ويعقب الأعلم على ذلك ، فيقول : «ويقوي ذلك (أي ما يقوله الأصمعي) قولُ امرىء القيس :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشةٍ كفاني ولم أطلب قليلٌ من المالِ

فنفى عن نفسه طلب القليل والرضا به ، وزعم أن الذي يرضيه ويكفيه المُلك والمجدُ المؤثلّ ، فكيف يقول :

فتوسعُ أهلَها أقِطاً وسَمْناً وحسبُك من غنىً شِبَعٌ وريّ

ثم يستمر الأعلم ، قائلا : ويحتمل أن يريد امرؤ القيس أن الإنسان إذا لم يطلب من الدنيا إلا الحياة والعيش دون الرئاسة وعُلوّ الذّكر ، فالبُلغة من العيش تكفيه إن لم يكن غِنىً وكثرة مال . والمعنى : أن الإنسان لا ينبغي أن يقنع بالعيش خاصة دون الرفعة والرئاسة وشرف المنزلة . ويحتمل أن يكون قال هذه الأبيات في غدر الزمان به »[١] .

وهكذا نرى أن هذه الأبيات فيها أكثر من احتمال .

٦ – **القصيدة رقم ٢٩** : جاء في الطوسي عنها[٢] : « روى هذه القصيدة أبو عمرو والمفضل وغيرهما ، وقال الأصمعي : أنشد هذه القصيدة أبو عمرو ابن العلاء لرجل من النمر بن قاسط ، يقال له ربيعة بن جشم .» ثم إن الطوسي يذكر في نسخته مقدمة لها، ويبدو ما في هذه المقدمة مثيراً للعجب والتساؤل وما تتضمنه القصيدة ليس فيه ما يشير إلى شيء مما في هذه المقدمة .

٧ – **القصيدة رقم ٣٢** : قال فيها أبو عبيد البكري : « اختُلف في هذا الشعر ، فرواه الطوسي لامرىء القيس ، وقال ابن حبيب : قال ابن الكلبي: هو لعمرو بن معديكرب ، قاله في قتله بني مازن بأخيه عبدالله وإخراجهم

---

(١) الديوان ، ص ١٣٧ ،
(٢) الديوان ، ص ٤٢٣ .

عن بلادهم ، ثم رجعوا بعد ذلك . وندم عمرو على قتالهم » . ونقل العيني عن ابن دريد : « أن الأبيات لامرىء القيس بن عابس بن المنذر بن امرىء القيس بن السمط بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع ابن معاوية بن كندة الكندي »[1] .

٨ – **القصيدة رقم ٤٠** : قال عنها ابن دريد [2] : « دفعها الأصمعي ، ورواها قوم لابن أحمر » .

٩ – **المقطوعة رقم ٤٣** : تتكون من ثلاثة أبيات ، وجاء عنها في نسخة أبي سهل أن الأبيات منحولة .

فهذه تسع ، تعرضت للطعن أو للشك والاحتمال . والحيطة تقتضينا أن نخرجها من دائرة المقبول للدراسة واستنتاج مقياس منه ، فإذا أخرجناها من سبع وأربعين تبقى لنا ثماني وثلاثون قصيدة ومقطوعة من مجموع روايتي الأصمعي والمفضل ، وهي في نظري تستحق أن تتخذ أصلاً لشعر امرىء القيس حيث لم يتطرق إلى واحدة منها شك أو احتمال من أي راوية مهما كان . وبدراستها يمكن أن نقف على شخصية صاحبها ، وخصائصه الفنية ، وعلى الأساس الذي ننتهي إليه نستطيع أن ننظر في هذه التسع ، وفي النصوص الباقية من المائة التي حواها الديوان ، وما أضافه الناشر مما ورد منسوباً إلى امرىء القيس .

وعلى ذلك سندرس هذه القصائد والمقطوعات الثماني والثلاثين لنرى ما فيها ، ثم نعقب ذلك بدراسة للأشعار التي تنسب إلى امرىء القيس لنبين مدى ما فيها من الموافقة أو المخالفة لما تكوّن لدينا من رأي وشعور نحو الشاعر واتجاهاته الفنية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

تحليل شعره

هذه القصائد والمقطوعات التي بقيت لنا من روايتي الأصمعي والمفضل ، تحتوي على ٥٥٣ بيتاً من الشعر ، وواضح أن ذلك عدد قليل بالنسبة لامرىء القيس صاحب الشهرة الشعرية الضخمة الواسعة ، وصاحب عدد من القصائد الطوال . وهذا يدل – من ناحية – على مدى ما التزمه كل من الأصمعي والمفضل من الدقة والتمحيص في قبول آثار الشعراء وروايتها عن رضا واطمئنان ، ومن ثم فلا عجب أن اشتهرا بالأمانة والنزاهة ، وكانا موضع الثقة والاحترام ؛ كما يدل هذا – من ناحية أخرى – على مدى الحيطة والحذر في دراستنا لآثار هذا الشاعر ، إذ قصرنا البحث – للنتيجة التي نقصدها – على هذين الراويين ، مع وجود روايات اخرى غيرهما ، ليكون البحث في أضيق نطاق صحيح معقول ، بل إننا – كما أشرنا آنفاً – قد أخرجنا من هاتين الروايتين ، كل نص فيه أدنى احتمال يمس أصالته ، فالدليل – كما يقول الفقهاء – إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

وحينما ننظر في تلك الكمية الشعرية لامرىء القيس نجد أنها تصور حالين في حياة هذا الشاعر : حال شباب وفراغ ولهو ؛ وحال رجولة وعمل وجد ؛ ويبدو أن الحال الأولى كانت في الفترة التي سبقت موت والده ، وأن الحال الثانية كانت منذ ذلك الحادث إلى نهاية حياة الشاعر .

ففي الفترة الأولى كان امرؤ القيس يعيش في انطلاق تام ، إذ كان في ريعان الشباب ، مع فراغ من العمل ، فلا مسئولية يتحملها ، ولا همّ يثقل

كاهله ، ولا واجب يتحتم عليه أن يؤديه فقضى هذه الفترة لنفسه وحده : لعب ولهو ، ومرح وعبث ، وجري وراء المتع واللذات ؛ يضرب في الأرض على غير هدى ، وينزل في المكان لغير هدف ؛ إلا أن يرضي نزوات الشباب، ويملأ فراغه بكل ما يستطيع من ألوان المتعة واللهو ولو إلى حد الخــلاعة والمجـــانة .

وقد كان موت والده حدثاً خطيراً ، أقام حداً فاصلاً بين شطري حياة امرىءالقيس ، وجعلهما شطرين لحياة يختلف كلٌ منهما عن الآخر تمام الاختلاف، فتنقلب حياته من شباب وفراغ إلى رجولة وعمل ، ومن عبث ومجون إلى جد وطموح ، ومن جري وراء الشهوات والنزوات إلى جهاد وكفاح للوصول إلى المعالي والأمجاد .

ذلك أننا نجد في شعره صور الشاب الذي لا عمل له يشغله ، بل يعيش في فراغ تام ، إلا ما يصوره خياله من عبث يحقق به رغبات الشباب ، ويملأ به ذلك الفراغ ، كما نجد فيه صور الطموح إلى العلا ، يسعى لتحقيق آماله ، فتظهر له الحياة على حقيقتها، إذ ترتطم سفينته بما يعترضها من صخور وجنادل تعوقها عن السير في خضمها الواسع العميق ، ومن ثم يقف على شيء من أسرار الحياة والإنسان . وكأنما كان نائماً ، يعيش في حلم كله جنات وارفة الظلال ؛ يتنقل بين جنباتها حيثما شـــاء ، ويقطف من ثمارها كلما أراد ، بدون أدنى مجهود ، بل في نشوة وطرب ، فإذا بناقوس الخطر يصكّ مسامعه ، فيهب من نومه مذعوراً ، وتتفتح عيناه على نيران تكاد تلتهمه ، وحِمْلٍ ثقيــل ينتظره ، وينوء به كاهله الذي لم يتعود إلا حَمْل رقيق الثياب ، ودون الوصول إلى غـــايته أهوال وأشواك . فشعره قسمان : قسم اللهو واللعب ، وقسم الجد والعمل .

أما القسم الأول فنجد فيه امرأ القيس يتغنى بالتنقل بين المنازل والديار، وفي جنبات الوديان والجبال ، مصوِّراً مغامراته مع الظباء والغزلان ، من بني الإنسان والحيوان ، وأوقاته التي يقضيها في المتعة واللذة ؛ وأما القسم الثاني

فشعر يصور – كذلك – تنقـله بين مختلف الأحياء والأوطان ، وفي وسط الصحارى والقفار، لا للمتعة واللهو كما كان أولاً،ولكن رغبة في تحقيق آمال طوال عراض ، فتراه هنا يتصل بالناس ليستعين بهم في الوصول إلى هدفه ، ويحـاول أن يبني لنفسه شخصية أخرى غير تلك التي عُرِف بها من قبل ، شخصية من يحمل المسئولية ، ويطمح إلى العُلا والمجد ، وهنا يتجلى له كثير من أحوال النفس البشرية والحياة . ولهذا يجوز أن يطلق على شعره في الفترة الأولى أنه شعر اللهو والفراغ ، وهو أقرب ما يكون إلى الأوهام والأحلام ، وعلى شعره في الفترة الثانية شعر الجد والعمل ، وهو أقرب ما يكون إلى الحقيقة والواقع .

ذلك أن شعره في شطر حياته الأول ليس فيه إلا الحديث : عن النساء وما يتصل بهن من أسباب العشق والهيام ، وما فيهن من صور الجمال ، ومـا يتركنه في نفس العاشق من ذكريات وآلام ؛ وعن رحلاتـه للصيد ومطاردة أنواع الحيوان ، فهذا القسم كله في الغزل والنسيب ، وفي الطرد والقنص ، وفـيما تقع عليه عينه من مظاهر الطبيعة المختلفة ، في أوقات فراغه ، أو في أثناء تجواله هنـا وهناك . أما شعره في النصف الثاني فيتجلى فيه الرضا والسخط ، والحسرة والألم ، فهو خليط من المدح والذم ، والتهديد ، ومحاولة التعالي ، مع ذكريات الماضي ، وواقع الحاضر ، وخبرة المجرب .

وهنـا ينبغي أن يُلاحَظ أنه ليس معنى تقسيمنا لأغراضه الشعرية في شطرَيْ حياته أن كل فترة قد خصّها الشاعر بأغراض شعرية معينة ؛ ولكن معناه أن ذلك كان أوضح ظاهرة في كل من شطرَيْ حياة الشاعر . وفيما يلي تحليل لهذه الأغراض بالتفصيل .

المرأة في شعره

يستعمل الباحثون عادة في مثل هـذا الموضع : « الغزل أو النسيب أو التشبيب» ، ويحاول بعض النقاد أن يفرقوا بين هـذه الاصطلاحات ، فمثلاً يقول قدامة بن جعفر عن الغزل[1] : « هو التصابي والاستهتار بمودات النساء. ويقال في الإنسان إنه غـزِل إذا كان متشكلاً بالصورة التي تليق بالنساء ، وتجانس موافقتهن لحاجته بالوجه الذي يجذبهن إلى أن يملن إليه» . ويقول عن النسيب : « هو ما كثرت فيه الأدلة على التهالك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوعة ... وقد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرياح الهابة ، والبروق اللامعة ، والحمائم الهاتفة ، والخيالات الطائفة ، وآثار الديار الباقية ، وأشخاص الأطلال الدائرة . » والحقيقة أن هذه الألفاظ الثلاثة أصبحت كلها تدل على معنى واحد ، فهي مترادفات تدل كل منها على ما تدل عليه الأخرى، فهي تطلق على كل حديث يتصل بجمال المرأة ويثير ذكرياتها ، وسوف نجد أن امرأ القيس تحدث في شعره عن هذا وأكثر منه ؛ فقد صور مفاتن النساء وأسرار الجمال فيهن، وتحدث عن غرامه بالكثيرات منهن ، ومغامراته معهن ، وما كن يتركن في نفسه من ذكريات ، وما تثيره آثارهن فيه من هموم وآلام ، وما تكوّن لديه من أفكار عن المرأة ، لذلك آثرنا أن يكون العنوان هنا : « المرأة في شعره » .

---

(١) نقد الشعر ، ص ٨٨ .

صور الجمال في المرأة :

يبدو أن امرأ القيس كان مغرماً بالنساء إلى حد كبير، يستهويه الجمال، ويملك عليه فؤاده حيثما وجد، وأينما كان، فأعجب بكل مليحة رآها، وهام بكل جميلة ولو لم يحادثها، فكثرت حبيباته، ولم يقتصر على واحدة منهن يخلص لها،ويسكن إليها، فتغنى في شعره بكثيرات؛ هن: أم الحويرث، وأم الرباب [١]، وعنيزة [٢]، وفاطمة [٣]، وسلمى [٤]، وسليمى [٥]، وبسباسة [٦]، وأم جندب [٧]، وأسماء [٨]، وابنة عفزر [٩]، وهر [١٠]، وسلامة، وقدور [١١]، ورقاش [١٢]، وسعاد [١٣]، وهند والرباب، وفرتني، ولميس، [١٤] . وفي الشعر المنسوب اليه أسماء أخرى غير هذه. ومع أن بعض شارحي الديوان والنقاد والأخباريين حاولوا أن يبينوا حقيقة نسب صاحبات هذه الأسماء، على أنها أسماء حقيقية لنساء معينات فإني أعتقد أن هذه أسماء مستعارة، وغير حقيقية، لأننا نعرف مدى غيرة العربي على عرضه وشرفه من ناحية النساء وبخاصة إذا كانت بنته أو أخته أو أمه . ونعرف كذلك ما يحدث من جراء ثورة العربي بسبب ذلك ومن الطبيعي ، أن يعرف الشعراء خطورة التعرض لشرف اي عربي، وما يعقب ذلك من خطوب جسام، وما كان الشاعر

---

(١) ديوانه ، ص ٩ ب : ٧ .
(٢) ديوانه، ص ٩ ب ١٢ .
(٣) ديوانه، ص ١٢ ب ١٨.
(٤) ديوانه ص ٢٨ب ٥ - ٧ .
(٥) ديوانه ص ٥٦ ، ب ١ ، ص ٦٠ ب ١٤ .
(٦) ديوانه ص ٢٨ ب ٨ .
(٧) ديوانه ص ٤١ ب ١ .
(٨) ديوانه ص ٦١ ب ١٨ .
(٩) ديوانه ص ٦٨ ب ٤٣ .
(١٠) ديوانه ص ١١٠ ب ٤ .
(١١) ديوانه ص ٢٠١ ب ٢ .
(١٢) ديوانه ص ٢٠٢ ب ٣ .
(١٣) ديوانه ص ٢٠٩ ب ١ .
(١٤) ديوانه ص ١١٤ ب ٣ .

– مهما كان – ليعرض نفسه لهذه الأخطار ، بذكر اسم حبيبتـــه الحقيقي أو إفشاء ما بينهما من أسرار . ولذلـــك ربما كان الشاعر يرمز إلى حبيبة واحدة معينة بأكثر من اسم ، مبالغة منه في الإبهـــام ، وحرصاً على الحذر والاحتياط ، بل ربمـــا كان بعض هذه الأسماء وهمياً لشخصيات خيالية ، تحدث عنها الشاعر من قبيل الأماني والأحلام .

وقد احتلت المرأة مكاناً ظاهراً في شعر امرىء القيس ، وقلما تخلو قصيدة أو مقطوعة من ذكرها ، حتى في إبان محنته وآلامه ، مما يدل على أنه كان مشغوفاً بهن ، ميالاً بطبيعته إلى تصوير جمالهن . وكأنمـــا كان يريد أن يصنع للنساء تماثيل تظهر محاسنهن ، وتبرز مفاتنهن ، فهي في أحد تماثيله (١) :

مُهَفْهَفَةٌ بيضَاء غيرُ مفاضة ترائبُها مَصْقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ (٢)

كبِكْرِ مُقَاناةِ البياضِ بصُفْرة غَذَاها نَميرُ الماء غيرَ المُحلَّل (٣)

تَصدُّ وتُبدِي عن أسيل وتتقي بناظرةٍ من وَحْشِ وَجْرَةَ مُطفِلِ (٤)

وجِيدٍ كجيدِ الرِّئم ليسَ بفاحشٍ إذا هي نَصَّتْهُ ولا بمُعطَّل (٥)

---

(١) ديوانه ، ص ١٥ ،

(٢) مهفهفة : خفيفـــة اللحم . غير مفاضة : غير ضخمة البطن ولا مسترخيته ، أي خميصة البطن ضامرته . والترائب : جمع تَريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر . السجنجل : لفظة رومية ، معناها المرآة .

(٣) البكر (هنا) : البيضة الأولى من بيض النعام ، وخصّ البيضـــة الأولى لأن بياضها لا يكون خالصاً . والبكر أيضاً : الدُّرَّة التي لم تثقب ، وبياض الدرة عادة غير خالص وإنما يميل الى الصفرة . والمقاناة : المخالطة . يريد ان هذه المرأة بيضاء بياضاً تشوبه صفرة . النمير : العذب المفيد للبدن . غير المحلل : لم يحل به . ولم ينزل عليه أحد فيكدّر .

(٤) أسيل : خد صاف سهل، جميل . ناظرة : عين . وحش وجرة : يقصد بقرة وحشية. مطفل : ذات طفل ؛ يريد بذلك أن هذه المرأة ليست بصغيرة دون البلوغ ، ولا بكبيرة فانية.

(٥) جيد : عنق . الرئم : الظبي الأبيض . ليس بفاحش : غير كريه المنظر فاحش الطول. نصته : مدّته وأبرزته . معطل : خال من الحلي .

وفَرع يُغَشِّي المَتنَ أسودَ فاحمٍ   أثيث كقنو النخلةِ المتعَثكِلِ[1]

غَدَائرُه مُسْتَشزِرات إلى العُلَا   تَضِلُّ المَدارَى في مُثَنًّى ومُرسَلِ[2]

وكشحٍ لطيفٍ كالجَديلِ مُخَصَّرٍ   وسَاقٍ كأنبوب السَّقِيِّ المذَلَّلِ[3]

وتَعْطُو بِرَخْصٍ غير شَثْنٍ كأنه   أساريعُ ظَبْيٍ أو مَساويكُ إسْحِلِ[4]

تُضِيءُ الظلامَ بالعشاء كأنها   مَنارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتبتِّلِ[5]

وتُضحِي فَتيتُ المسك فوق فراشها

نَئُومُ الضُّحَا لم تنتطِق عَنْ تَفضُّلِ[6]

إلَى مثلها يرنو الحليمُ صَبابةً   إذا ما اسبكَرَّتْ بينَ دِرعٍ ومِجْوَلِ[7]

---

(١) فرع : شعر طويل . المتن : الظهر . فاحم : شديد السواد كالفحم . الأثيث : الكثير النبات . القنو : العذق وهو كباسة النخلة . المتعثكل : المتداخل بعضه في بعض .

(٢) الغدائر : ذوائب الشعر ، مستشزرات إلى العلا : مفتولة إلى فوق ، المدارى : جمع مدرى ، وهي مثل الشوكة تسرح بها المرأة شعرها .

(٣) الكشح: الخصر. الجديل: زمام يتخذ من سيور ، وهو ليِّن. الأنبوب(هنا) : البرديّ السقيّ : النخل المسقي. والمذلل : الذي جمعت أعذاقه لتجنى ، فشبه ساق المرأة بالبرديّ لبياضه ونَعْمته بين النخل المسقى ، وخص المذلل لأنه يكرم على أهله ويتعاهدونه بالسقي.

(٤) تعطو : تتناول. الشثن : الجافي الغليظ. ظبي(هنا): اسم رملة ، والاساريع : دواب بيض تكون في هذه الرملة ، والإسحل شجر يستاك به .

(٥) منارة : مصباح ينير ، وربما كان الشاعر يريد هنا صومعة الراهب لأنه يوقد النار في أعلاها للطارق . ممسى : وقت الإمساء ، أي حينما يُمسي الراهب. متبتل : مجتهد في العبادة ، منقطع عن الناس .

(٦) نئوم الضحا : أي تنام حتى الضحا ، وليس عليها أن تهتم بأمورها فلها من الخدم من يعمل لها كل شيء . لم تنتطق : أي لم تلبس نطاقاً . تفضُّل : لُبْس ثوب واحد . ولم تنتطق عن تفضل : يعني لم تلبس لباس الخادم ، فتتفضل وتنتطق للخدمة .

(٧) الرنو : إدامة النظر مع سكون الطرف . اسبكرت : تمت وكملت . الدرع : ثوب طويل . ومجول : ثوب خفيف لطيف يلبسه الصبيان . يقصد بذلك ثياب الشابات ، أي ليست كبيرة السن ، ولا صغيرة صبية .

فهي تبدو هنا فتاة ممشوقة القد ، رشيقة القوام ، في ميعة الصِّبا ، وريعان الشباب ، بيضاء البشرة ، صافية الأديم ، كلها أنوثة ونضارة ، وقد نشأت في نعمة ورغد من العيش ، وصدرها يشع بالفتنة والجمال ، وتحرك خدها الأسيل في خفة ودلال ، وعينها حوراء واسعة ، ترسل بريقاً كأنما تسدد سهاماً تحميها وتحفظها ، وجيدها رائع المنظر ، ليس بالقصير ولا بالطويل ، ويبدو جماله إذا أشرفت به ، وقد أحاطت به أحسن الحلي ، وأثمن الجواهر ، وشعرها شديد السواد ، طويل يغطي ظهرها ، كثيف نظيف ، تبدو فيه العناية والرعاية ، وتصنع منه أشكالاً ، منها ما هو مرسل ، ومنها ما هو معقود ، وكلها متداخل متشابك ، هذا في ذاك ، ولكن في إبداع وإتقان ، وخصرها نحيل ، قوي متماسك ، ولكن في لين ولطافة ، وساقها أبيض ممتلىء بض ، وجسمها مضيء واضح الحسن والبهاء ، وتعيش في نعيم ورفاهية ، تنام حتى الضحا ، على فراش مضمخ بالمسك والعطور ، يفوح أَرِيجه ، ويتضوع شذاه ، ولها من الخدم من يكفيها القيام بأي عمل ، وإذا ما ارتدت ثيابها زادت فتنتها حتى إنها لتُصبي العاقل الرزين .

وهي في تمثال له آخر (١) :

يُضيءُ الفِراشَ وجهُها لِضَجيعِها كمصباحِ زَيْتٍ في قناديل ذُبَّال (٢)

كأنَّ على لَبَّاتِها جَمْرُ مُصْطَلٍ أَصابَ غَضًى جزلًا وكُفَّ بأَجْذَالِ (٣)

---

(١) ديوانه ، ص ٢٩ .

(٢) الذُّبّال : الصانعون فتائل المصابيح .

(٣) اللبات : جمع لبة وهي موضع القلادة . مصطل : مستدفيء . الغضى : شجر سريع الالتهاب في صفاء وجمره أبقى الجمر . وخص المصطلي لأنه يقلب الجمر ويتعاهده لئلا يخمد . الأجذال : أصول الشجر . وكُفّ بأجذال : حُلِّق حول الجمر بأصول الشجر ، وهو أحسن ما يكون من الوقود .

وهَبَّتْ له ريحٌ بمُختلف الصُّوَى صَبًا وشَمالٌ في منــازل قُفَّال[1]

فهو هنا يسلط الأضواء على الوجه والعنق وأعلى الصدر ، ذلك الجزء من الجسم الذي يقـع عليه نظر الرائي في العادة ، فيبدو - ولو كانت نائمة - كأنه يبدد الظلام، ويغمر المكان بالأنس والبهجة ، وهي تزين صدرها وعنقها، بحلي تتــلألأ من شدة البريق واللمعان ، فتبدو كأنها جمرات تتوهج ، تبعث الدفء في جميع الأرجاء .

وفي لوحة أخرى تظهر [2] :

بأسوَدَ مُلتَفٍّ الغدائرِ واردٍ وَذي أُشُرٍ تَشُوفُه وتَشُوص[3]
منابتُه مثلُ السُّدوسِ وَلَونُه كَشَوْكِ السَّيَالِ فهوعذبٌ يُفِيصُ[4]

فالمنظر هنا شعر منسق منظم ، وثغر باسم عذب ، فنرى الشعر الأسود اللامع ، بغدائره الطويلة الملتفة في منظر حسن بديع ، والفم الحلو العذب ، وقد ظهرت فيه الأسنان المحـددة المحززة رقيقة ، متراصة في نظام جميل ، ناصعة البياض قد انشقت عن لثة ناضرة جذابة . ويلقي مزيداً من الضوء على الريق في لوحة أخرى ، فيقول [5] :

---

(١) هبت له : أي للجمر . الصوى : جمع صوة ، وهي الأكمة الصغيرة ؛ يقصد أن هذا الجمر أوقد بموضع مرتفع تهب عليه الريح فيشتد لهبه . القفال : الراجعون من السفر ، وخصهم لاحتياجهم إلى النار عند النزول .

(٢) ديوانه ، ص ١٧٨ .

(٣) أسود (هنا) : الشعر . الغدائر : الذوائب . وارد : طويل . ذو أشر : يعني بـه الثغر . والتأشير : تحديد في أطراف الأسنان من رقتهـا . تشوفه : تجلوه . تشوص: تحافظ على نظافته دائماً بالسواك .

(٤) منابته : يقصد اللثة . السدوس : الطيلسان . السيال : شجر ، ويقال إنـه نبت . له شوك أبيض أشبه شيء بالأسنان. ومفرده سَيَالة . فهو عذب : يعني ماء الثغر . يفيص : يَبرُق.

(٥) ديوانه ، ص ١١٠ .

إذا ذُقتَ فاهاً قلتَ طعمُ مُدامَةٍ مُعَتَّقَةٍ مما يَجيءُ بِها التُّجُرْ [1]
كأَنَّ التِّجار أَصْعَدُوا بِسبيئةٍ مِنَ الُخصِّ حتى أنزلوها على يُسُرْ [2]
فلما استطابوا صُبَّ في الصحن نِصفُه
وَشُجَّتْ بماءٍ غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ [3]
بمـــاءِ سحابٍ زَلَّ عن مَتْنِ صخرةٍ
إلى بَطْنِ أخرى طيِّبٍ مَاؤُها خَصِرْ [4]

فريقها في هذه اللوحة عذب حلو، مَن ذاقه انتشى، وسَكِر؛ كأنما ارتشف من خمر معتقة، ذكية الرائحة، ممزوجة بماء صافٍ بارد.

وفي منظر آخر يرينا سرَّ فتنتها، وجاذبيّتها، فيقول فيها [5]:

مِنَ القاصراتِ الطَّرفِ، لوَ دَبَّ مُحْوِلٌ
من الذَّرِّ فوقَ الإِتْبِ منها لأَثَّرا [6]

---

(١) المدامة: الخمر القديمة، وأصلها: من دام يدوم، أي مكث طويلا. معتقة: قديمة. التجر: التّجار. شبه ريقها بالخمر المعتقة في رقتها وطيب رائحتها، وكلما قدمت الخمر كانت أرق وأذكى رائحة.

(٢) التجار: جمع تاجر. أصعدوا بسبيئة: ارتفعوا من مكان بعيد، والسبيئة: الخمر المشتراة. الخص: موضع بالشام به أطيب الخمر: يُسُر: موضع بالحزن، وكان امرؤ القيس نزل به. وإنما شبه ماء الفم بالخمر، ووصف الخمر بأكمل صفاتها ليرجع ذلك الى المشبه وهوالريق.

(٣) لما استطابوا: أي أخذوا أطيب الماء. الصحن: القدح الواسع. شجت بماء: مزجت وخلطت به، وكانوا يمزجون الخمر القوية بالمـــاء. ماء طرق: مطروق، أي طرقته الحيوانات وكدرته. يقصد أنَّ الصحن ملىء نصفه بالخمر ثم أكمل بالماء العذب الصافي.

(٤) ماء سحاب: ماء عذب لأنه نزل من السحاب. زل عن متن صخرة: صافٍ نقي لأنه يجري من صخرة إلى أخرى. خصر. بارد.

(٥) ديوانه، ص ٦٨.

(٦) قاصرات الطرف: لا يرفعن بصرهن من شدة الحياء والعفة. المحول: الذي أتى عليه الحول، وهو كناية عن الصغير. الإتب: ثوب رقيق، له جيب وليس له كمّان.

أي لا ترفع عينها إذا نظرتْ كأن طرفها كسير ، وذلك من شدة حيائها ، مما يزيدها جمالاً وسحراً ، وهي بضة الجسم ، رقيقة البشر ، ولو وقع على قميصها ذر صغير لأثـّر في جسمها ، وذلك من فرط نعمتها ورفاهيتها . وفي نفس هذا المنظر يوضح عيشتها المترفة ، بأنها [1] :

نَزِيفٌ ، إذا قامت لِوجهٍ تمايَلتْ   تُراشِي الفؤادَ الرَّخْصَ ألا تَخَتَّرا [2]

فهي منعَّمة ، مرفَّهة ، لا تقوم بأي عمل ، اعتادت على الراحة التامة ، حتى أصبح بنيانها غضاً طرياً ، لا يتحمّل شيئاً ، وإذا اضطرت لفعل أمرٍ لنفسها ترنحت في نهوضها ، وتمايلت في مشيها كالسكران ، وتبدو متكلفة ، متحاملة على نفسها ، وكأنما تعطي فؤادها اللين رشوة حتى لا يفتر ويضعف قبل أن تنتهي مما تريد .

أما ما تعيش فيه من الرعاية وسط مظاهر النعمة والثراء ، فنراه في هذه الصورة [3] :

غرائرُ في كِنٍّ وَصَوْنٍ ونعمةٍ   يُحلَّيْنَ ياقوتاً وشَزْراً مُفَقَّرا [4]

وَرِيحَ سَناً في حُقَّةٍ حِمْيريَّـــةٍ   تُخَصُّ بِمَفْرُوكٍ مِنَ المِسْكِ أَذْفَرا [5]

---

(١) ديوانه ، ص ٦١ .

(٢) نزيف : سكران ، قـد نزف السكر عقله . لوجه : لأمر تتوجه هي بنفسها لفعله . تراشي : تعطيه رشوة . تختر : تفتر وتكسل .

(٣) ديوانه ، ص ٥٩ .

(٤) الغرائر : الغوافل عن الدهر وما فيه . كِنّ : حفظ ورعاية . نعمة : نعيم وغنى وثراء . الشذر : قطع الذهب . المفقر : المصوغ على هيئة فقار الجرادة ، وهو مربع .

(٥) السنا : نوع من الطيب . الحقة الحميرية : المنسوبة إلى ملوك حمير ، ولأنها خاصة بالملوك فلا يكون فيهـا إلا أطيب أنواع الطيب . المفروك : المسك الذي فُتـّقت نافجتهُ ، فانتشرت رائحته وقويت . أذفر : قوي الرائحة .

وبَاناً وأَلْوِيّاً من الهند ذاكياً   ورَنْداً ولُبْنَى والكِباءَ المقتَّرا (١)

فهي نقية القلب خالصة السريرة ، لا تعرف المكر ولا الخداع ، كلها براءة وصفاء ، مكرّمة ، منعمة ، مدلّلة ، حليّها الياقوت والذهب الثمين ، وعطورها من أرقى الأنواع التي لا توجد إلا في بيوت الملوك والأمراء : سناً ذكيّ ، ومسك شذيّ ، وبان، ورند، ولبنَى ، وأجود أنواع العود ، وأطيب أصناف البخور .

فامرؤ القيس – في لوحاته التي يعرض فيها جمال المرأة – يعنى بإظهار مفاتنها الجسمية ، وحياتها التي لا يراها إلا أن تكون حياة ترف ورفاهية .

وملكة الجمال في نظره : فتاة في ريعان الشباب ونضرته ، قد نما عودها واكتمل ، وأينع ثمره ونضج ، وجميع ما فيها يثير الدهشة والعجب : بشرة بيضاء صافية تنافس الدر ، وجسم بض مترف ، يتأثر إن وقع على غلالته صغار الذر ، ووجه فيه شكل البدر ، وثغر فيه سُكْر الخمر ، وعين حوراء ناعسة الطرف ، وخد أسيل ناضر ، وشعر أثيث فاحم تتجلى فيه روعة الخَلْق والفن ، وجيد وسيم ، وصدر بديع ، وخصر هضيم ، وبنان لين أبيض طويل ، وساق ربّا ممتلئة . وهي تعيش في ترف ونعيم ، الخدم رهن إشارتها ، وقيامها من مكانها عمل فوق طاقتها . وفي لفتاتها رقة ودلال ، وفي حركاتها سحر وجمال ، حليها أغلى الجواهر ، وطيبها أرقى العطور . ولا تُرى إلا رشيقة أنيقة ، جميلة المنظر ، حسنة الهندام .

مغامرات الصِّبا :

وفي هذا الركن من معرض الفن لشاعرنا نجد لوحات تظهر فيها مغامرات اللهو والعبث ، فنرى فيها ما وقع في الليل ، وما وقع في النهار ، وما كان

---

(١) الألويّ : أجود العود وأطيعه . الرند : شجر طيب الرائحة . اللبنى : نوع من الطيب. الكباء : كل ما يتبخر به . المقتر : المدخّن عند مباشرة النار له .

في البيوت ، وما كان في الخلاء ، وما حدث سراً بعيداً عن العيون والرقباء، وما حدث جهراً على مرأى ومسمع من سواه . وهذا مما يؤيد ما قلته سابقاً أن أسماء الحبيبات التي ذكرها لم تكن حقيقيـة ، بل هي أسماء مستعارة . ويغلب على الظن أن معظم ما يحكيه الشاعر عن هذه المغامرات كان من قبيل الأحلام والأوهام ، نسجها خيال شخص يعيش في فراغ ، ليس له عمل يشغله، او طموح يدفعه ، فكان يقضي وقته في خيالات ، كلها ترهات وأباطيل ، ولا أساس لها من واقع ، أو حقيقة ، ومن الممكن أن نلمس ذلك بسهولة في معظم نماذجه التي نعرض أهمها فيما يلي :

١ - يوم دارة جلجل :

تروي الأخبار أن الفرزدق حدث عن جده [1] : « أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عم له يقال لها عُنَيزة ، وأنه طلبها فلم يصل إليها ، وأراد أن يتزوجها فلم يُقضَ له ، حتى إذا كان يوم الغدير - وهو يوم دارة جلجل - احتمل الحي متقدمين ، وخلّفوا النساء والخدم والعُسَفاء [2] ، فلمـا رأى ذلك امرؤ القيس تخلّف عن رجال قومه ، فكمن في غيابة من الأرض، حتى مرت به فتياتٌ ، فيهن عنيزة ، فلما وردن الغدير نَحَّيْنَ العبيد ، وتجردن ، ودخلن الغدير ، فخـاتلهن امرؤ القيس ، فأخذ ثيابهن فحملها ، وأقسم ألاّ يعطيَ جاريةً منهن ثوبها حتى تخرج كما هي ، فتأخذ ثوبها ، فأبين ذلك حتى تعالى النهار ، وخشين أن يقصُرْن عن المنزل الذي يردنه،فخرجت إحداهن، فوضع لها ثوبها فأخذته ، وتتابعن على ذلك حتى بقيت عنيزة ، فناشدته أن يطرح لها ثوبها ، فأبى عليها ، فخرجت ، فنظر إليها مقبلة مدبرة ، فأخذت ثوبهـا فلبسته . فأقبلن عليه فقلن : عذبتنا وجوعتنا ! فقال : إن نحرت لكُنّ راحلتي أتأكلن منها ؟ قلن : نعم . فعرقبها ونحرها ، وأجّج الخدمُ

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ص ١٠ .
(٢) العسفاء : جمع عسيف ، وهو الأجير .

ناراً ، فجعل يقطع لهن اللحم فيرمينه على الجمر ، ويسقينهن من زُكْرة [1] كانت معه ، ويغنّيهن حتى شبِعن وطرِبْن . فقالت إحداهن : أنا أحمل طِنْفِستَه ، وقالت أخرى : أنا أحمل زُكرته ، وقالت أخرى : أنا أحمل حشيته وأنساعه ، وبقيت عنيزة لم يحمّلْنها شيئاً ، فقال لها : يا بنت الكرام ، ليس لك بُدّ من أن تحمليني معك ، فإني لا أطيق المشي ، فحملته على غارب بعيرها ، فكان يجنح إليها فيدخل رأسه في خدرها ، ويقبّلها ، فإذا امتنعت أمال خدرها ، فتقول : يا امرأ القيس ، عقرّتَ بعيري ، فانزل . فسار معهن حتى إذا كان قريباً من الحي نزل ، فأقام حتى جَنّ عليه الليل ، ثم أتى أهله ليلاً » . أما لوحة امرىء القيس في ذلك اليوم ، ففيها [2] :

ألا رُبَّ يومٍ لك منهنَّ صالحٍ ولاسيَّما يومٌ بدارةِ جلجلِ [3]
ويوم عقرتُ للعَذارَى مطيتي فيا عجباً من رَحلها المتحمَّلِ [4]
فظَلَّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمٍ كهُدَّاب الدِّمَقْس المفتَّلِ [5]
ويومَ دخلتُ الخِدرَ خدر عُنَيزة
فقالت لك الويلاتُ إنك مُرْجِلي [6]

(١) الزكرة : زق صغير يجعل فيه الشراب .

(٢) ديوانه ص ١٠ .

(٣) الدارة : الدار . دارة جلجل : موضع يقال له الحمى .

(٤) يا عجباً : اعجبوا عجباً ، أو يا عجبي . المتحمل : المحمول . كأن الشاعر يتعجب من عقر ناقته ، حتى حمل رحلها على أخرى .

(٥) يرتمين بلحمها : يتهادينه بينهن . الدمقس : الحرير الأبيض . الهداب : الهدب . شبه شحم هذه الناقة — وهؤلاء الجواري يترامينه بغَزْل الإبريسم المفتول .

(٦) الخدر : الهودج . مرجلي : ستضطرني للمشي على رجليّ .

تقول وقد مال الغبيطُ بِنـا معاً

عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل[1]

فقلتُ لها سِيري وأرخي زِمامَه

ولا تبعديني من جناك المعَلِّل[2]

وهو هنا يظهر في الصورة ، وقد أخذته نشوة الاجتماع بفتيات يمزح معهن فيعقر ناقته ليقدمها طعاماً لهن ، ثم ينتهز الفرصة فيرجو حبيبته أن تحمله ، فتسمح له بالركوب على مؤخرة الناقة خلف الهودج ، وبين الحين والحين تحدث منه مداعبات ، فتُظهر التبرم والضيق .

٢ – يوم الكثيب[3] :

ويوماً على ظهر الكثيب تعذَّرَتْ

عَلَيَّ ، وآلَتْ حَلْفَةً لم تحلَّل[4]

أفاطمَ مَهْلاً بعضَ هذا التَّدلُّل

وإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي فأَجمِلي[5]

---

(١) الغبيط : قتب الهودج .

(٢) سيري : هوِّني عليك ولا تبالي . الجنى : الثمر ، ويقصد هنا مجالستها ومحادثتها ومداعبتها . المعلِّل : الذي يعلِّلني ، أي يشغلني ويلهيني .

(٣) ديوانه ، ص ١٢ .

(٤) الكثيب : رمل مرتفع . تعذرت : تصعبت وتمنعت ، أو انتحلت الأعذار . آلت : حلفت . لم تحلل : لم يستثن من يمينها .

(٥) مهلا : قليلا قليلا . بعض هذا التدليل : كُفي بعض تدلّلك عَني ، وأقلّي منه . أزمعت : عزمت ونويت . صرمي : قطيعتي . أجملي : أحسني .

وإن كنتِ قد ساءتكِ منّي خليقةٌ
فَسُلِّي ثيـــابِي مِن ثيابك تَنْسُلِ [(١)]

أغرَّكِ منّي أنَّ حُبَّكِ قاتلي وأنكِ مهما تأمري القلبَ يَفعَلِ
وما ذَرَفت عيناكِ إلّا لتضربي بِسَهْمَيْكِ في أعشار قلب مُقَتَّلِ [(٢)]

وفي هذه الصورة يبدو راجياً متوسلاً ، تتمنّع عليه الحبيبة ، وتُقْسِم ألا تنساق معه في تياره ، فيضرع إليها أن تخفف من تدللها عليه ، ويتمنى أن تُحسِنَ معاملته إن كانت قد عزمت على قطيعته ، فتكون الفرقة في رق ولطف ، لا بجفاء وغلظة . ثم يستمر في الرجاء قائلاً : وإن كان فيّ خلق لا يعجبك ، فرُدِّي إليّ قلبي الذي استوليت عليه . وبيّن لها أن حبه لها قد بلغ منه مبلغه وكاد أن يقتله ، وأن فؤاده أصبح طوع هواها ، وأنها حينما تذرف من عينيها الدموع إنما توجه سهاماً إلى قلب قد فتّته الحُبُّ ومزّقه الهيام .

٣ – **بيضة خدر** [(٣)] :

وبَيْضَة خِدْرٍ لا يُرام خِباؤها تمتَّعتُ مِن لَهْوٍ بها غيرَ مُعْجَل [(٤)]
تجاوزتُ أَحراساً وأهوالَ معشر عليَّ حِرَاصٍ لو يُشِرُّون مَقتَلِي [(٥)]

---

(١) خليقة : خلق أو صيغة . سُلّي : انزعي .

(٢) ذرفت : سال دمعها بسهميك : بعينيك . أعشار قلب مقتل : قلب مقطع محطم ، وقيل إنه مأخوذ من تقطيع الناقة عشرة أعشار في المَيْسِر .

(٣) ديوانه ، ص ١٣ .

(٤) بيضة خدر : مصونة ، مكتونة ، وشبه المرأة بالبيضة لبياضها ورقّتها ، وأضافها إلى الخدْر إشارة إلى الرعاية التامة والمحافظة الشديدة عليها . غير معجل : على مهل .

(٥) يشرون : يظهرون ، يقصد أنهم كانوا حريصين على إظهار قتله وإعلانه من شدة غيظهم وحنقهم على من يحاول الاقتراب منها ،

إذا ما الثريا في السماء تَعَرَّضتْ　　تَعَرُّضَ أثناءِ الوشاحِ المفصل [(١)]
فجئتُ وقد نَضّتْ لنومٍ ثيابها　　لَدَى السِّتْرِ إلّا لِبْسَةَ المتفضّلِ [(٢)]
فقالتْ يمينُ الله مالَكَ حِيلةٌ　　وما إن أرى عنك الغَوايةَ تَنْجلي [(٣)]
خرجت بها أمشي تجرُّ وراءنا　　على أَثَرَيْنا ذَيْلَ مِرْطٍ مُرَحَّلِ [(٤)]
فلمّا أجزْنَا ساحةَ الحيِّ وانتحى　　بنا بطنُ حِقْفٍ ذِي رُكامٍ عَقَنْقَلِ [(٥)]
هصرتُ بِفَوْدَيْ رأسِها فتمايلتْ　　عَليَّ، هَضيمَ الكَشحِ ريّا المخَلْخَلِ [(٦)]
إذا الْتَفتَتْ نَحْوِي تضوَّعَ رِيحُها　　نَسِيمَ الصَّبا جاءتْ بريّا القَرَنفُلِ [(٧)]

وهو هنا يبدو كأنما يقتصّ لنفسه من جراء ما لحقه في المنظر السابق ، فيصور نفسه بأنه قد استطاع أن يخترق النطاق المحْكَم المضروب حول عقيلة من عقائل قوم يبالغون في رعايتها والمحافظة عليها ، فأحاطوها بكل

---

(١) أثناء : جميع ثِنْي ، وثِنىً ، وثنىً . الوشاح : خرز يعمل من كل لون . الذي فُصِّل بالزبرجد ، أو يجعل بين كل خرزتين فيه لؤلؤة . وتعرضت الثريا : تصوبت للمغيب ، فهي إذا كانت على وشك المغيب تتعرض ، كما أن الوشاح إذا طرح تلقاك بناحيته .

(٢) نضت: خلعت ، ونزعت . اللبسة : هيئة اللباس . المتفضل : الذي يلبس الفضُل وهو الثوب الواحد الذي يلي الجسد . لدَى الستر : عند الستر .

(٣) حيلة : احتيال . مالك حيلة : أي ليس لك وجه مجيء إلينا . الغواية : مصدر غَوَى يغوي غيّاً وغَواية ، وهي الضلالة والفساد . تنجلي : تنكشف وتذهب .

(٤) خرجت بها أمشي : أي خرجت بها من البيوت لأخلو بها. المرط: إزار خز. والمرحّل: الموشيّ ، وهو ضرب من البُرود وشيه مثل جدنات الرحال .

(٥) أجزنا : قطعنا . الساحة : الفِناء . حقف : رمل منعرج. ركام : بعضه فوق بعض . عقنقل : منعقد متداخل ،

(٦) هصرت : جذبت وثنيت . بفودَيْ رأسها : بجانبي رأسها ، والفودان: جانبا الرأس. هضيم : ضامر . الكشح : الخاصرة . ريا : الممتلئة لحما المكتنزة . المخلخل : موضع الخلخال .

(٧) تضوع : انتشر . النسيم : تحرك الريح بلين ورقّة . الريا : الرائحة .

مظاهر الإعزاز والتكريم ، وجعلوا لهـا حرّاساً أشداء ليفتكوا بكل من حام حولها ، فيُرينا في هذا المنظر أنه قد استطاع أن يتجاوز هؤلاء الحراس، ويتخطى ما دونها من أهوال ، ووصل إليها ، بعد أن مضى من الليل وقت طويل ، وما كانت ترتدي إلاّ غلالة النوم ، فلما رأته تعجبت من احتياله ودهائه ونجاته من هذه الأهوال والأخطار . والشاعر لا يكتفي بإظهار هذا الموقف له ، بل يزيد على ذلك ، بأنه لم يقف عند هذا الحد ، وإنما تمادى أكثر وأكثر ، فأخذها وخرج بها بعيداً عن منازل العشيرة ، وقد هداها تفكيرها إلى إخفاء معالم أثرهما بجر ثيابها وراءهما ، إلى أن وصلا إلى مكان أمين حصين ، وقد تضوّع أريجها في الأرجاء ، فهب النسيم عطراً شذياً .

٤ – مع زوجة :

وفي منظر آخر تعيِّره امرأة بالكبر ، وأنه لا يعرف اللهو ، فيكذِّبها ، ويدّعي أن النساء يصبون إليه لجماله وحسنه ، وأنه يفتن الزوجات ، وأن زوجته جدّ سعيدة به [١] :

ألا زعمتْ بَسْبَاسَةُ اليومَ أنني كَبِرتُ وألّا يُحسِنَ اللهوَ أمثالي [٢]

كذَبتِ،لقد أُصْبِي على المرءِ عِرْسَهُ وَأمنعُ عِرسِي أن يُزَنّ بها الخالي [٣]

فهو جميل وسيم يفتن النساء ، وهو منيع عزيز لا يطمع الخالي في عِرْسه، وهي نفسها في منتهى السعادة لما اجتمع فيه من حسن المنظر ، وقوة البأس ، ثم يستطرد في سرد بعض قصص له في هذا المجال إلى أن يعرض صورة له مع زوجة قال فيها [٤] :

---

(١) ديوانه ص ٢٨ .

(٢) بسباسة : اسم امرأة ، أو اسم مستعار لصاحبته سلمى التي يتحدث عنها في القصيدة .

(٣) أصبي : أذهب بفؤادها. العرس : الزوجة . يُزَن : يُتهَّم. الخالي: الذي لا زوج له.

(٤) ديوانه ، ص ٣١ .

سموتُ إليها بعد ما نام أهلُها سُمُوَّ حبابِ الماءِ حالاً على حالِ[1]
فقالت سَباكَ اللهُ إنك فاضحي ألستَ ترى السُّمَّار والناسُ أحوالي[2]
فقلت يمينَ الله أبرحُ قاعداً ولو قَطَّعوا رأسي لديكِ وأوصالي[3]
حلفتُ لها بالله حلفة فاجر
لناموا ، فما إنْ من حديثٍ ولا صالِ[4]
فلما تنازعنا الحديثَ وأسمَحتْ هصرتُ بغُصْنٍ ذي شماريخ ميّالِ[5]
وصِرْنا إلى الُحسنَى ورَقَّ كلامُنا
ورُضتُ ، فذَلَّتْ ، صَعْبَةً ، أي إذلالِ[6]

---

(١) سموت إليها : نهضت وذهبت ووصلت إليها . حباب الماء : طرائقه . سمو حباب الماء : يعني كنت في ذلك كحباب الماء وهو يعلو بعضه بعضاً في رفق ومهل . حالاً على حال : أى شيئاً بعد شيء حتى صرت إلى الذي أردت .

(٢) سباكِ الله : باعدك الله وفضحك ، وقيل المعنى : أذهب الله عقلك . وإنما قالت ذلك له ضجراً وخوفاً من الفضيحة .

(٣) يمين الله أبرح : أي لا أبرح . يقصد أنه لن يغادر المكان . الأوصال : جمع وُصل ، وهو كل عضو ينفصل عن الآخر .

(٤) فاجر (هنا) : كاذب . الصالي : الذي يصطلي بالنار . يقول : لما خوّفتني من السمّار أقسمت لها كاذباً أن ليس منهم أحد إلا نائماً .

(٥) تنازعنا الحديث : حدثتني وحدثتها ، وأصله من النزع بالدلو وهو جذبها . أسمحت : انقادت وسهُلت بعد صعوبتها وامتناعها . هصرت : جذبت . بغصن : بجسم . ذي شماريخ : له شعر يشبه شماريخ النخل لغزارته وتداخله . ميال : ليّن ، يميل ويتثنى في رقة وخفة .

(٦) صرنا إلى الحسنى : أي إلى ما نحب من الأمور . رق كلامنا : كان بصوت منخفض كأنه همس لئلا يشعر بنا أحد . رُضْتُ : ليّنت بالكلام والمداراة . فذلّت : انقادت وسهلت، بعد امتناع وصعوبة .

فأصبحتُ معشوقاً وأصبحَ بعلُها عليه القتامُ سيىءَ الظَّنِّ والبالِ [1]
يَغُطُّ غطيطَ البَكْرِ شُدَّ وِثاقُه ليقتُلَني والمرءُ ليس بقَتَّال [2]
أيقتلني والمشرفيُّ مُضاجِعي ومسنونةٌ زرقٌ كأنياب أغوال [3]
وليس بذي رمح فيطعُنَني به وليس بذي سيفٍ وليس بنَبَّال [4]
أيقتُلُني وقد شغفتُ فؤادَها كما شَغَفَ المهنوءةَ الرجلُ الطَّالِي [5]
وقدعلمتْ سَلْمَى - وإن كان بعلَها - بأن الفتى يَهْذِي وليس بِفَعَّال [6]

فهو - رَدّاً على من عابته وعيرته - يحكي لها قصص مغامراته كأنما يقص محارب حكايات ما خاضه من معارك النصر حينما يلفح وجهه هجاء ، أو تحيق به هزيمة ، وكأن الشاعر هنا يختم دفاعه بهذه الصورة التي يعتقد أنها تثبت رسوخ قدمه في ميدان اللهو والعبث ، فيصور نفسه بأنه تسلل إلى مخدع تلك الزوجة خفية ، ولم تسمع له حركة كأنما كان يمشي على صفحة ماء ، فلما رأته ارتاعت ، ودعَت عليه ، وظهر عليها الضجر والخوف من الفضيحة والعار ، فلم يعرهـا أي اهتمام ، وصمم على البقاء معها مهما حدث له ، ولو مزقوه شر

---

(١) معشوقاً : محبوباً . القتام : الغبار . سيىء الظن : ساءه ما رآه منها ، أو ما لاحظه على سلوكها ، وشعورها نحوه .

(٢) يغط : يردد صوتاً كصوت المختنق . البكر : الفتيّ من الإبل ، وهو صعب عند الرياضة . شد خناقه : وضع حبل في خناقه ليراض به ، فيسمع له غطيط . ليس بقتال : لا يقدر على ذلك مني لأنه ليس من أهل السلاح والقتال .

(٣) المشرفي : السيف المنسوب إلى المشارف ، وهي قرى بالشام . مسنونة زرق : سهام أو رماح أسنتها حادة صافية. الأغوال : الشياطين ؛ وخص الشياطين لأنه شاع عندهم انها شنيعة الخلق ، عظيمة الخطر .

(٤) النبَّال : صانع النبال ، ويقصد هنا النابل وهو صاحب النبل الرامي بها .

(٥) شغفت فؤادها : بلغ حبي شغاف قلبها . المهنوءة : الناقة المطلية بالقطران .

(٦) يهذي : يتكلم بالهراء والهزل .

ممزق ، ثم أخذ يهدئ من روعها ، فأقسم لها – وهو يعلم حق العلم أنه كاذب في يمينه – أن ليس هناك أحد إلا نائماً ، وجاذبها أطراف الحديث ، حتى سكنت إليه ، ثم خلب لبّها ، فتمكن حبّه في قلبها ، وتغير شعورها نحو زوجها ، حتى كرهته ، وبيّنت له نفورها منه ، فأصبح الزوج حزيناً ، كاسف البال ، وكان لا يُرى إلا مهموماً كئيباً ، تخرج منه زفرات مكتومة كلها غيظ وحنق ، وتمنى أن يقتص من غريمه بقتله وتمزيقه ، ولكن أنّى له ذلك ، والعشيق مدجج بالسلاح وقد شغفها حبّاً ، والزوج جبان ، والزوجة تعلم أن زوجها لا يعرف القتال .

٥ – بيت عذارى :

وفي نفس القصة يعرض الشاعر لمن عابته صورة أخرى له في بيت عذارى، فيقول (١) :

وبيت عَذاري يومَ دَجْنٍ وَلَجْتُه ... يُطِفْنَ بجَمَّاءِ المَرافِقِ مِكْسالِ (٢)

سِبَاطِ البَنانِ والعَرانِينِ والقَنا ... لِطافِ الخُصُورِ في تَمامٍ وإكمالِ (٣)

نَوَاعمَ يُتبِعْنَ الهَوى سُبَلَ الرَّدَى ... يَقُلْنَ لأهلِ الحِلْمِ ضُلاًّ بتِضْلالِ (٤)

---

(١) ديوانه ، ص ٣٤ .

(٢) الدجن : إلباس الغيم السماء . ولجته : دخلته . جماء : غائبة عظم المرفق لكثرة لحمها ونعمتها . مكسال : بطيئة عن العمل لغضارتها ونعمتها .

(٣) سباط البنان : لينات الأصابع ، مُلْس ، طوال ، غير كزّة . العرانين : الأنوف ، وهي كذلك سباط مُلْس غير كزة. القنا : القامات. في تمام وإكمال : تامة الخلق مكتملة القوام.

(٤) يتبعن الهوى سبل الردى: هواهن يؤدي إلى الهلاك ، فمن هَوَيَهنّ هلك ، لعزة قومهن، وقيل إنهن لا يكففن عن الهوى مخافة الفضيحة ، ولو أدى ذلك إلى الهلاك . أهل الحلم : العقلاء البعيدون عن نزوات الصبا والفساد. ضُلاّ بتَضْلال : يوجهن اللوم إلى أهل النّهى ، ويضلّلن قولهم وفعلهم . وقيل معناه : من نظر إليهن هوَيَهن ، وضلّ بسببهن .

صرفتُ الهَوَى عنهن مِن خَشية الرَّدَى

ولستُ بمقليّ الخِـلال ولا قَالِ [1]

وهو – كما نرى – في هذه الصورة يظهر في منظر مخالف لما سبق ، منظر المتمنع ، الذي يجد الأسباب كلها ميسرة ، والسبل أمامه ممهـدة ، ولكنه يحسب حساباً لما قد يلحقه من عار إذا افتضح أمره ، فينصرف سالماً، حفاظاً على كرامته وأمانته !

ففي هذه النماذج نرى الخيال الشعري يلعب دوراً كبيراً في هذه الصور . قد يكون في صورة عنيزة يوم دارة جلجل ، وفي صورة فاطمة يوم الكثيب شيء من الحقيقة ، فليس ببعيد أن يحاول هو هذا العبث الذي رأينـاه في الصورتين ، وأن يُقابَل من عُنـيزة بالإعراض والصد ، وأن يُلقى من فاطمة بالمعارضة في قوة وإصرار . أما صورة بيضة الخدر ، فقـد اندفع لتأليفها بسبب ما لقي من فاطمة ، ليثبت لها ذكاء فطرته ، وسعة حيلته ، وقـوة تأثيره في الغيد الحسان . كما أن الذي أثار خياله ليصنع صورة الزوجة تعييره بكبر السن، فألّف هذه الصورة ليبين رسوخ قدمه في ميدان الفحش والعبث وأنه يحقق مآربه بما لديه من وسائل الإغراء ، وقوة السلاح . وأمـا بيت العذارى فأغلب الظن أن خياله جمح به إلى وكر عاهرات محترفات ، وهنـا يصور نفسه في مظهر الحريص على السلامة والكرامة .

ذكريات المرأة :

وفي هذا الجزء من ركن المرأة نرى صور الفراق والارتحال ، ومـا آلت إليه حال المنازل والديار ، وما يثيره كل هذا من مشاعر وإحساسات .

وعادة كانت العاطفة الفنية تثور عند الشاعر حينما تقع عينه -- حقيقة أو

---

(١) خشية الردى (هنا) : خوف الفضيحة . مقليّ : مكروه . الخلال (هنا) الصحبة والمصادقة. يقصد أنه لم يقاطعهن لأنه كرههن، ولا لأنهن كرهنه، ولكن خشية الافتضاح والعار.

حلماً – على آثار الديار التي كانت موطن الأنس والبهجة ، فأصبحت مكان الوحشة والأسى وفي إحدى صوره للأطلال ، يظهر فيها مسافراً مع صاحبين ثم يصل إلى موطن الذكرى ، فيصيح بصاحبيه (١) :

قِفــا نَبْكِ من ذِكرَى حبيب ومنزل
بِسُقْطِ اللِّوَى بين الدَّخول فَحَوْمَلِ (٢)

فتُوضَحَ فالمِقْرَاةِ لم يعفُ رَسمُها ... لِمَا نَسَجَتْها من جنوبٍ وشَمْأَل (٣)

تَرَى بَعْرَ الأَرْآمِ في عَرَصَاتِها ... وقِيعَانها كأنه حبُّ فُلْفُلِ (٤)

وقوفاً بها صَحْبِي عليَّ مَطِيَّهُمْ ... يقولون لا تَهْلِكْ أسىً وتَجَمَّلِ (٥)

وإنْ شفائي عَبْرَةٌ إنْ سَفَحتُها ... فَهل عند رَسْم دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ (٦)

يطلب من صاحبيه أن يكفّا عن متابعة السير ، ويقفا بجانبه ، فقد هاجت لديه الذكريات عندما رأى آثار الديار التي يعرفها حق المعرفة ،

---

(١) ديوانه ص ٨ .

(٢) السقط : منقطع الرمل . اللوى : حيث يلتوي الرمل ويرق ، ويقال إنه خص منقطع الرمل وملتواه لأنهم كانوا لا ينزلون إلاّ في صلابة من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد البيوت وأمكن لحفر النؤي ، وإنما تكون الصلابة حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويدق . الدخول وحومل : بلدان .

(٣) توضح والمقراة : موضعان . لم يعف : لم يدرس ولم يذهب . الرسم : الأثر . جنوب: ريح تهب من جهة الجنوب . شمال : ريح تهب من جهة الشمال .

(٤) الأرآم : جمع رئم ، وهي الظباء البيض . العرصات : جمع عرصة ، وهي الساحة . والقيعان : جمع قاع وهو الموضع يستنقع فيه الماء .

(٥) واحد الصحب صاحب . وواحد المطيّ مطيّة وهي الناقة ، وسميت مطية لأنه يركب مطاها أي ظهرها ، أو لأنها يُمطَى بها في السير أي يُمَدّ . الأسى : الحزن . تجمّل : تصبّر وتحمّل .

(٦) عَبرة : دَمعة . والعُبْر والعَبَر : سُخْنَة العين . سفحتها : صببتها . رسم : أثر . دارس : ذهبت معالمه . معول : جدوى ونفع .

فالموضع هو هو بالتحديد ، وقد كانت له فيه لحظات لاينساها ، ولا يستطيع أن يمر به مروراً عابراً ، فقد خارت قواه عندما رآه ، وثارت لوعته لما آل إليه ، فبعد أن كان موطن الجمال ، ومثار الحب ، ومهد النشوة والمرح ، صار مسكن الوحوش ، ومصدر الهم ، ومنبع اللوعة والحزن ، ولكن مهما بدت في الظاهر ، فهي في نفسه ما زالت كما كانت ، وتنهمر الدموع من عينيه فيتأثر الصاحبان من موقفه ، وقد كانا بجانبه ، ويحاول كل منهما أن يهدىء من روعه ، ويخفف من أساه ، فيرد عليهما أن انهار الدموع يزيل آثار الأسى كما يجرف السيل أنواع القذى ، ولكنه يتساءل : وهل يُجدي ذلك عند رسوم وأطلال !

ومرة أخرى نراه في منظر مع صاحبين كذلك يطلب منهما الوقوف ، ولكنه يفصح لهما عما في نفسه فيقول [١] :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرْفانِ
ورَسْمٍ عَفتْ آياتُـــهُ منذ أزمان [٢]

أتتْ حِجَج بعدي عليها فأصبحت كخطِّ زَبُور في مَصاحفِ رُهْبان [٣]

ذكرتْ بها الحيَّ الجَميعَ فَهيَّجتْ عَقَابيلَ سُقْمٍ من ضَمير وأشجان [٤]

---

(١) ديوانه ، ص ٨٩ .

(٢) عرفان : ما عرف من علامات الديار . عفت : تغيرت . آياته : معالمه .

(٣) حجج : سنوات. زبور : كتاب. يصف قِدَم الديار ، وبُعد أهلها حتى تغيرت معالمها، وأصبحت مثل خط الكتب في الخفاء والدقة وصغر الأجزاء .

(٤) الجميع : المجتمعون ، ولعل ذلك وقت مرتبعهم . هيجت : أثارت . العقابيل : البقايا ، ولا واحد لها . ويقال هي وجع في الفؤاد . سقم : ألم. أشجان : أحزان . من ضمير : أي خفي مكبوت ، يقصد أنه كان منطوياً على ما بقي من سقم لفراقهم إلى أن هيجته الدار فأظهره ، ولم يستطع إخفاءه .

فَسَحَّتْ دُموعي في الرداء كأنها ... كُلًى مِنْ شَعِيبٍ ذات سَح وتَهْتَان[1]

فهو هنا يطلب منهما أن يتوقفا عن متابعة السير ، ليجد فرصة يسح فيها دموع الحزن ، فقد أثارته ذكرى الحبيب ، وبقايا ديار طال عهده بها ،ومرّت منذ هجرها سنوات ، كادت تبليها وتمحو آثارها ، ولكن عندما رآها ذكـّرته بمن كان فيها ، وهيجت أشجانه ، فانفجر باكياً ، وسالت الدموع حتى بلت ثيابه .

وفي صورة أخرى نراه يطلب من صاحبيه أن يذهبا معه إلى الربع ليسأله عن أهله ، فيقول [2] :

أَلِمَّا عَلَى الرَّبْعِ القديم بعَسْعَسا ... كأني أُنادي أو أُكلِّمُ أَخرَسا[3]

فلو أنّ أهلَ الدَّار فيها كعهدِنا ... وجدتُ مقيلا عندهم ومُعَرَّسا[4]

فلا تنكروني إنّني أنا ذاكُمُ ... ليالِيَ حلَّ الحيُّ غَوْلًا فَأَلْعَسَا[5]

وحينما يصل إلى الأثر البالي يناديه ويكلمه ، ولكنه لا يحظى منه بردّ ، فلا مجيب ولا سميع ، وتعاوده الذكريات حينما كانت الديار عامرة ، تدب فيها الحياة ، وتتوفر فيها أسباب الراحة والبهجة ، وكأنما يستبد به الحنين واللهفة للقاء من كان فيها من الأحبة ،فيتشبث بالمكان ، ويعيد التوسل والرجاء أن يسمحوا له باللقاء ، فهو هو ، ذلكم الحبيب الذي جمعته وإياهم هذه الديار.

---

(١) سحت : سالت وصُبّت ، كما يَسُحّ المطر . شَعيب : مزادة. وكِلاهما : رُقَع تكون في أصول عُراها ، وأكثر ما يسيل الماء منها . تهتان : سيلان .

(٢) ديوانه ص ١٠٥ .

(٣) أَلِمّا : انزلا . الربع : المنزل . عسعس : اسم موضع. أخرس : لا يسمع ولا ينطق.

(٤) عَهْدنا : علمنا ومعرفتنا . المقيل : النزول في القائلة ، وهي وسط النهار . المعرّس : النزول في أول الليل أو في آخره .

(٥) إنني أنا ذاكم : أنا الذي عرفتموه وصاحبتموه . الحي : القوم . حل : نزل وأقام . غول وألعس : موضعان ، يقال قضوا فيهما زمن الربيع .

وذات مرة تتمثل في مخيلته ديار كان قد غشيها، وقد غاب عنه أسماء أصحابها، فيتساءل. فتجيبه الذاكرة، فيطلب من صاحبيه أن يغيرا طريقهما، ويعرِّجا معه إلى حيث يلبي هاتف الذكرى، ويقضي حق الصحبة القديمة، كما كان يفعل السابقون، ثم يرسم هذه اللوحة [1] :

لِمَن الديارُ غَشِيتُهـــا بسُحامِ ... فعمايَتَيْن، فَهَضْبِ ذي أَقْدام [2]
فَصَفَا الأَطِيطِ فَصَاحَتَيْن فَغَاضِرٍ ... تَمْشِي النِّعاجُ بها مَعَ الأَرْآم [3]
دارٌ لهنـــدٍ والرَّباب وفَرْتَني ... ولَمِيسَ قبل حوادث الأَيّام [4]
عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لأَنَّنا ... نبكي الديارَ كما بَكَى ابنُ خِذَام [5]

وفي إحدى اللوحات نراه يغشى الديار وحده، فيفقد وعيه، ويستسلم للأسى والبكاء [6] :

غَشِيتُ ديارَ الحيِّ بالبَكَرات ... فَعارِمَةٍ فَبُرْقَةِ العِيَرَات [7]
فَغُولٍ فَحِلِّيتٍ فَنَفْءٍ فَمَنْعِجٍ ... إلَى عاقِلٍ فالجُبِّ ذي الأَمَرات [8]

---

(١) ديوانه، ص ١١٤ .

(٢) غشيتها : نزلت وأقمت بهـــا . سحام : اسم موضع أو جبل . عمايتان : جبلان . هَضْب : جمع هَضْبة، وهي قطعة من الجبل مرتفعة . ذو أقدام : جبل .

(٣) صفا الأطيط، وصاحتان، وغاضر : كلها مواضع . وقد وصف هذه الديار بأنها قديمة العهد بالأنيس، وأصبحت مسكناً للنعاج والآرام .

(٤) هند والرباب وفرتني ولميس : كلها أسماء صواحب . حوادث الأيام : أحداث الزمن .

(٥) عوجا : اعطفا رواحلكما . المحيل : الذي تحوّل عما كان عليه وتغير . لأننا : لعَلَّنا . ابن خذام : رجل ذكر الديار قبل امرىء القيس، وبكى عليها . ويقال عنه أيضاً : ابن خدام، وابن حُمام . (راجع تاريخ الأدب الجاهلي الجزء الأول ـ ص ٥٢) .

(٦) ديوانه ص ٧٨ .

(٧) البكرات: جُبَيلات بطريق مكة، كأنها شبهت بالبكَـرات من الإبل . البرقة : أرض فيها حجارة ورمل . العيرات (هنا) : مواضع الأعيار . عارمة : موضع .

(٨) غول وما بعدها : أسماء لمواضع . الأمَرات : جمع أمَرَة، وهي الجُبَيَل الصغير.

ظَلِلْتُ رِدائي فوقَ رأسِيَ قاعِداً   أُعدُّ الحصَى ما تنقضي عَبَراتي [1]

فهو يظهر في هذه الصورة ، عندما وصل إلى الديار ، قد هاج حزنه وملأه الهم ، لمّا رآها مقفرة متغيرة موحشة ، فجلس وغطّى رأسه بردائه ، واستسلم للبكاء ، وغاب عن وعيه فأخذ يعبث بالحصى ويقلبه بين يديه كأنما يعده . وذلك من فعل المحزون المتحيّر .

وتأخذه الهزة من أثر الموقف المروِّع الذي يراه ، والشعور بالأسى يملأ جنبات نفسه ، فينطلق لسانه داعياً بالخير للطلل [2] :

ألَا عِمْ صباحاً أيها الطّللُ البالي
وهل يَعِمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي [3]

وهل يعِمَنْ إلَّا سعيد مُخلَّد   قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوْجالِ [4]

وهل يعِمَن من كان أحدثُ عهدِه   ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال [5]

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي خالٍ   ألحَّ عليها كُلُّ أسْحَمَ هطّالِ [6]

---

(١) تنقضي : تنتهي .

(٢) ديوانه ، ص ٢٧ .

(٣) عم : فعل أمر من وَعَم يَعِمُ بمعنى نَعِم يَنعَم . عم صباحاً : دعاء في الصباح بالنعيم ، وكأنه يعني بدعائه هذا أهل الطلل . العُصُر الخالي : الزمن الماضي . من كان في العصر الخالي : من انقضى من زمن سعادته وفات ؛ وكأنه يعني بذلك نفسه .

(٤) سعيد مخلّد: سعادته دائمة لا تنتهي، يعني أن الذي يشعر بالنعيم هو السعيد على الدوام، ولا تنقضي سعادته . الأوجال : جمع وجل ، وهو الخوف والفزع .

(٥) أحدث : أقرب . عهده (هنا) : وقت سروره وبهجته . أحوال : جمع حَوْل وهو العام .

(٦) عافيات : ذهبت معالمها . الأسحم : السحاب الأسود . هطال : دائم المطر . ألح عليها: لزمها واستمر .

فتراه في هذه الصورة ، واقفاً يبتهل ، واجماً يفكر ، متحيّراً يتساءل ، حزيناً يتألم ... من هول ما يرى ! يدعو للطلل بالنّعيم والسلامة . ثم يعلوه الوجوم ، ويرنو في دهشة وحيرة ، ويتساءل : هل يمكن أن يشعر بالنعيم من ذهب أهله فتغيرت حاله بعدهم ؟ وهل يمكن أن يشعر بالنعيم مهموم يعيش في وجل ؟ وهل يمكن أن يشعر بالنعيم من عفّى عليه الزمن ؟ وأنّى للماضي أن يعود !

وهذه صورة تجمع بين منظره وهو يدعو ، ومنظره وهو يشاهد موكب الفراق (١) :

ألا انْعَم صَباحاً أيها الرَّبْعُ وَانطِقِ
وحدِّث حَديثَ الرَّكْبِ إن شئتَ واصْدُقِ (٢)

وَحدِّثْ بأن زالتْ بليلٍ حُمُولُهمْ
كنخلٍ من الأعراضِ غيرِ مُنبَّقِ (٣)

جَعلْنَ حَوايا واقْتعَدْنَ قَعائداً
وحفّفْنَ من حَوكِ العراقِ المُنمَّقِ (٤)

وفوقَ الحَوايا غِزلَةٌ وَجآذِرٌ
تَضَمَّخْنَ من مِسْكٍ ذكيٍّ وزَنْبقِ (٥)

---

(١) ديوانه ، ص ١٦٨ .

(٢) الركب : الراكبون ، ويقصد هنا المرتحلون .

(٣) الحُمول : الإبل التي يُحتمل عليها . الأعراض : جمع عِرْض ، وهو (هنا) الوادي . غير منبق : غير مُزْهٍ ؛ وإزهاؤه : خروج ثمرِه وبُسْرِه إذا لَوَّن قبل أن يُرطِب .

(٤) حوايا : جمع حَوِيَّة ، وهو مركب من مراكب النساء . من حوك العراق : مما يحاك في العراق . المنمق : المزين المزخرف .

(٥) غزلة : جمع غزال . جآزر جمع جؤذُر وهو ولد البقرة الوحشية . تضمخن : تلطّخن وتطيّبن .

فأتبعتُهم طَرْفي وقد حالَ دونَهم   غَوارِبُ رَمْلٍ ذي ألاءٍ وشِبْرِقِ [(١)]

فتراه هنا يحيي الطلل ، ويدعو له ، ويستعيد معه تسجيلاً للمنظر ساعة الارتحال ، فيبدو الركب ، في الليل ، وقد تهيأ الموكب للرحلة ، ثم بدأت الإبل في السير ، فأخذت تشق الوديان في قطار ضخم طويل ، وقد مهدت الهوادج للظعن ، فجهزت بفاخر الأثاث والرياش ، وفيها الغيد الحسان ، مضخمات بأطيب العطور ، أما صاحبنا ، فقد وقف – وقلبه يكاد ينخلع – وقد أحدّ البصر ، يتابع الموكب ... إلى أن غاب عن الأنظار .

وفي صورة أخرى لموكب الرحلة نراه يحدث صاحبه عن مناظرها ، فيقول [(٢)] :

تَبَصَّرْ خليلي ، هَل تَرَى من ظعائنٍ
سَوالِكَ نَقْباً بَيْنَ حَزْمَيْ شَعَبْعَبِ [(٣)]

عَلَونَ بأنطاكيَّةٍ فوقَ عِقْمَةٍ   كجِرْمَةِ نَخْلٍ أو كجنة يَثْرِبِ [(٤)]

فلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رأى من تَفَرُّقٍ   أَشَتَّ وأَنأَى مِن فِراقِ المحصَّبِ [(٥)]

---

(١) طرفي : عيني . غوارب رمل : أوائله . الألاء : جمع ألاءة ، وهي الشجرة العظيمة. الشبرق : شجر ، أكثر ما يكون في الرمل .

(٢) ديوانه ، ص ٤٣ .

(٣) الظعائن : جمع ظعينة ، وهي المرأة في الهودج . النقب : الطريق في الجبل . الحزم : ما غلظ من الأرض . شعبعب : اسم ماء .

(٤) عَلَون بأنطاكية : علون الخدور بثياب عُملت بأنطاكية . وتلك الثياب فوق عِقْمة، وهي ضرب من الوشي . جرمة النخل : ما يقطع من البلح . شبه ما على الهوادج من ألوان الوشي بالبلح الأحمر والأصفر مع خضرة النخل . الجنة : البستان . وخص يثرب لأنها كثيرة النخل .

(٥) فلله عينا من رأى : يعظم أمر الفراق ، كقولك : لله أنت ! أشت : أشد فرقة . أنأى : أشد بُعداً . المحصَّب : موضع رمي الجمرات وهي صغار الحصى . وشبه تفرق القوم ، بتفرق الحصى ، لأنه يرمى به في كل جهة . وكذلك القوم تفرقوا . كل إلى جهته ،

فُريقان : منهم جازعٌ بَطنَ نخلةٍ وآخر منهم قاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ [1]
فَعيناكَ غَرْباً جَدْولٍ في مُفَاضَة كَمَرِّ الخليج في صَفيحٍ مُصَوَّبِ [2]
وإنك لم يفخرعليك كفاخرٍ ضَعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّب [3]

فيبين في الصورة أن موكب الرحلة قد سار في طريق بين مرتفعين ، وكانت النساء في الهوادج يظهرن في أبهى منظر وسط ألوان زاهية مزركشة كأنما كن في وسط روضة كلها زهور مختلفة الألوان ، ولم يكن القوم في هذه الصورة يبغون وجهة واحدة ، وإنما تفرقوا كلٌّ إلى وجهته ، وأما صاحبنا فقد مزقت الفرقة قلبه ، وانهمر الدمع مدراراً من عينيه ، ويُرَى في الصورة يَرثي لحاله ، متعجباً أنْ غَلَبه شخص مِن طبعه اللين والرقة .

ويحاول أن يزيد بعض جوانب الموكب وضوحاً فيعرض هذه الصورة[4]:

بِعَينيَّ ظُعنُ الحيِّ لما تحمَّلوا
لَدى جانب الأَفلاج من جَنْب تيمرا [5]

---

(١) بطن نخلة : بستان ابن مَعْمَر . والنجد : المرتفع . كبكب : اسم جبل . يقصد أن القوم تفرقوا فرقتين ذهبت في أسفل الوادي ، وأخرى صعدت فوق الجبل . وذلك بعد أن انتهى مرتبعهم .

(٢) الغربان : مثنى غرب وهو الدلو . الجدول : النهر الصغير ، والمراد به هنا البئر . المفاضة : الأرض الواسعة . الخليج : النهر الذي يتفرع من نهر أعظم ، ويريد به هنا مجرى الماء إلى الروضة . الصفيح : حجارة واسعة تجعل على جنبي الجدول لئلا يتهدم . المصوب : المنحدر . يشير بهذا البيت إلى كثرة دموعه وسرعة انهمالها وسيلانها .

(٣) كفاخر : مثل شخص يتعالى . يفخر عليك : يعلو عليك ويسبقك في مجال التفاخر والتعالي . مغلب : مغلوب ، من عادته أن يُقهَر ويُهزَم .

(٤) ديوانه ، ص ٥٦ .

(٥) بعيني : أفديهم بعيني اللذين ظلا يتابعانهم عند رحيلهم . احتملوا : ذهبوا بجميع أمتعتهم . الأفلاج : جمع فَلْج وهو النهر .

فشبَّهتُهم في الآل لما تكمَّشوا   حدائقَ دَوْمٍ أو سَفيناً مُقيَّرا (١)

أو المكْرَعاتِ من نَخيل ابن يامنٍ   دُوَينَ الصَّفا اللَّائي يَلينَ المُشقَّرا (٢)

سَوامِقَ جبَّارٍ أثيثٍ فُروعُه   وعَالَيْنَ قِنْواناً مِنَ البُسْرِ أحْمَرا (٣)

حمته بنو الرَّبْداء من آلِ يامنٍ   بأسيافهم حتى أُقِرَّ وأُوقِرا (٤)

وأرضى بَني الرَّبْداء واعتمَّ زَهْوُه   وأكمامه حتى إذا ما تَهَصَّرا (٥)

أطافت به جَيلانُ عند قِطاعِه   تَرَدَّدَ فيه العينُ حتى تَحَيَّرا (٦)

كأنَّ دُمى سَقْفٍ على ظهرِ مَرْمَرٍ
كَسَا مُزْبِدَ السَّاجُومِ وَشْياً مصوَّرا (٧)

---

(١) الآل : السراب . تكمشوا : جدّوا واسرعوا في السير . الدَّوْم : شجر باليمن ، يطول ويرتفع في السماء كالنخيل . السفين : السفن .

(٢) المكرعات : النخيل المغروسات في الماء ، وهي أنعم النخل وأطولها ، يقصد اختلاف الألوان في الهوادج مع علوها وارتفاعها . آل يامن : قوم من هجر لهم نخيل وسفن . وهجر أكثر البلاد نخلا . الصفا والمشقر : قصران بناحية اليمامة .

(٣) سوامق : مرتفعات طوال ، يعني النخل . الجبار : الذي يفوت اليد لطوله . أثيث : غزير . القنوان : عذوق النخل . البسر : البلح الأحمر أو الأصفر .

(٤) حمته : حفظته ، ومنعته من أن يُوصَل إليه . أقر : ظل على حاله . أوقر : كمل حمله وزاد ، يقصد أنه صار في أبهى منظر .

(٥) أرضى : أعجب . اعتمّ : كمل وتمّ . الزهو : الأحمر والأصفر من البلح . الأكمام : أغلفة الطلع عند خروجه من قلب النخلة، ويقصد بها هنا: أقماع البلح. تهصَّر : تثنّى وتدلّى.

(٦) جيلان : قوم اتخذهم كسرى عمالاً بجانب البحرين ليصرموا له النخل . تتردد فيه العين حين تتحير : قد يكون المقصود بالعين هنا عين الماء بمعنى أنه يُتعاهَد بالسقي ، فيجري الماء بين هذا النخل حتى يصل إلى أعلاه فلا يجد منفذاً فيستوي ويتحير ؛ ويحتمل أن يكون المقصود بالعين عين النظر ، فكأنه لحسنه تتردد فيه الأنظار إعجاباً به حتى تأخذها الحيرة من كماله .

(٧) الدُّمَى : الصور . سقف : قيل هو موضع فيه صُوَر ؛ وقيل هو دير بالشام ، أو لعله سقف منزل أو قصر مزين بالصور واللوحات. مرمر: رخام. مزبد: ذو زبد. الساجوم: ←

فهو هنا يسلط الأضواء على الهوادج ، وألوانها الزاهية البراقة ، فيأخذ المنظر في منتصف النهار حينما يكون الضوء على أشده ، وكسا السرابُ الصحراءَ بغلالة بيضاء رقيقة ، لتظهر ألوانها المختلفة في وسطها بوضوح ، وهو كما ترى يعطي كل التفصيلات الدقيقة لألوان الهوادج ليظهرها في أبهى زينة . وأكمل منظر .

وهذه صورة أخرى للظعائن في الصباح الباكر ، وموقفه بعد رحيلهن [1] :

أَوَ مَا ترى أظعانَهنَّ بواكِراً   كالنخلِ من شَوْكانَ حينَ صِرَامِ [2]

حُورٌ تعلّل بالعبير جلودها   بيضُ الوجوه نَواعِمُ الأجسامِ [3]

فظَلِلتُ في دِمَنِ الدّيارِ كأنني   نَشْوانُ باكَرَهُ صَبُوحُ مُدامِ [4]

فهو في هذه جمع بين منظر الهوادج بضخامتها وألوانها المختلفة ، والحور الحسان ، ذوات الوجوه البيض ، والأجسام الناعمة ، والعبير الشذيّ ، ومنظره وقد سلبنه عقله ، فخرّ صريعاً بين الدِّمَن ، فاقِد الوعي .

وتغادر الحبيبة الديار ، فتخلّف له الألم والحزن ، وتظل الدار منبع الذكرى ، ومسيل الدمع [5] :

← وادٍ معين . الوشي : الزخرف . مصور: فيه تصاوير، والصورة هنا: أن الظعائن وما عليهن من الوشي ، والإبل تسير بهن في السراب كانت مثل الدمى المصورة على الرخام في هذا الوادي المزبد .

(١) ديوانه ، ص ١١٥ .

(٢) شوكان : موضع كثير النخل . صرام : قطع .

(٣) حور : جمع حوراء ، وهي الشديدة بياض حدقة العين الشديدة سوادها . تعلل : مرة بعد مرة . العبير : أخلاط من الطيب فيها زعفران .

(٤) نشوان : سكران ، ويقصد هنا أنه صار حيران أسفاً لما حدث وما رأى .

(٥) ديوانه ، ص ٢٠٩ .

لعَمري لقد بانتْ بحاجة ذي هَوى سُعَاد، وراعتْ بالفِراق مُروّعا [1]

متى ترَ داراً مِن سعادَ تَقِف بها وَتستَجرِ عيناكَ الدُّموعَ فتَدْمَعَا [2]

وفي منظر آخر يصور رغبته للذهاب إلى الحبيبة بعد ارتحالها ، ثم يَرى بُعْد ما بينه وبينها ، وما هنالك من أخطار ، وتأخذه الحيرة ، فيقدِّم رجلا ويؤخر أخرى [3] :

أمِنْ ذِكْر سَلْمى أنْ نأتكَ تَنوصُ فتَقْصُر عنها خُطوةً أو تَبُوصُ [4]

وكم دُونَها مِن مهْمَهٍ ومفازةٍ

وَكَمْ أرضِ جَدْبٍ دُونَها وَلُصوص [5]

وينقطع أمله في الوصول إليها ، فتجري دموعه أنهاراً ، كما نراه في هذه الصورة [6] :

عَيناكَ دَمعُهما سِجالُ كأنَّ شَأنَيْها أَوْشالُ [7]

---

(١) لعمري : قَسَم ، ومعناه : بحقـّي ، أو بحياتي . بانت : انقطعت . راعت : أفزعت وأحزنت . مروّع : مفزّع حزين .

(٢) تستجري : تطلب الجري . أي تستسيل الدموع .

(٣) ديوانه ، ص ١٧٧ .

(٤) نأتك : بعدت عنك . تنوص : تحوّل . فتقصر عنها خطوة : تحتبس عنها خطوة . تبوص : تسبق . يقصد تتقدم أو تتأخر .

(٥) المهمه : الأرض البعيدة التي لا أنيس بها ؛ وجمعها : مهامه . المفازة : الأرض المهلكة ، وإنما سموها مفازة لأنهم تطيروا من الهلاك فسموها بذلك تفاؤلاً بالفوز ، كما قالوا للملدوغ : السليم ، تفاؤلاً بسلامته .

(٦) ديوانه ، ص ١٨٩ .

(٧) سجال : جمع سَجْل ، أي صَبَب من بعد صب . الشئون : ملاقي قبائل الرأس ، والواحد شأن . الأوشال : جمع وَشَل ، وهو الماء القليل .

أو جَدْوَلٌ في ظِلال نخل للمـــاء من تحته مَجالُ [1]
مِن آل ليلَى ، وأينَ ليلى ! وخيرُ ما رُمْتَ ما يُنال [2]

وبعد أن تنقطع الصلة بينهما تعتريه مشاعر ، وتعاوده ذكريات ، وتنتابه هواجس وتساؤلات ، ومن صورة في ذلك [3] :

غَلِقْنَ برَهنٍ من حبيبٍ به ادَّعتْ سُلَيمَى ، فأمْسَى حبلُها قد تَبتَّرا [4]
وكان لها في سالفِ الدهر خُلَّةً يُسارِقُ بالطَّرْفِ الخِبَاءَ المُستَّرا [5]
إذا نالَ منهـــا نظرةً رِيعَ قلبُه
كما ذَعَرَتْ كأسُ الصَّبوحِ المخَمَّرا [6]

فمع ذهاب الحبيبة ، وانقطاع الصلة بينهما أخـــذت قلبه معها رهينة ثم استولت عليه ، وقد كان مشغوفاً بها ، لا يطيق البعد عنها ، ولا يهـــدأ إلا بالنظر إليهـــا ، ولو خلسةً من بين الأستار والحجب ، مع أنه في كل نظرة كانت تعتريه هزة ، ويخفق قلبه ، كمُدْمِن الخمر إذا وقعت عينه على الكأس.

ويحسن أنه محتاج إلى معرفة شعورها نحوه بعد الفراق ، فيتساءل [7] :

---

(١) الجدول : النهر الصغير . مجال : مكان للسير .
(٢) وأين ليلى : يعني ما أبعدها ! رمت : طلبت . ينال : يحصل عليه .
(٣) ديوانه ص ٦٠ ،
(٤) غلقن برهن : ذهبن به واستولين عليه ، يقصد قلبه ، وكانوا إذا أخـذ الواحد منهم رهنا إلى أجل فحان الأجل قبل أن يؤديه استوجبه وفاز به . حَبْلُها : يقصـد وَصْلَها . تبتر : تقطع .
(٥) الخلة (هنا) : الخليل ، وهو الحبيب ، وهي الصداقة أيضاً . يسارق : يختلس . المستر : الكثير الأستار ، وجعل خباءها مستراً لأنها كريمة قومها ، فجعلوا خباءها وسط أخبيتهم ، أو كثير الأستار .
(٦) ريع قلبه : فزع وخفق . المخمر : الثَّمِل . شبه فزعه عند النظر إليها ، بفزع الثمل إذا نظر إلى الخمر ، مع محبته لها وحرصه على السكر منها
(٧) ديوانه ص ٤٢ .

أَلَا ليتَ شعري كيف حادِثُ وَصْلِها
وكيف تُراعي وُصْلَةَ المتغيِّب [1]

أدامت بيننا على ما من مَوَدَّةٍ
أُميمةُ، أم صارت لقولِ المخبِّب [2]

إنه يتمنى أن يقف على حقيقة موقفها منه ، فيعرف مصير ما كان بينهما من حب ، بعد أن تفرقا ، أثابتةٌ هي على العهد ، أم إنها استمعت إلى قول المفسدين فتغيرت .

ثم يصرح برأيه قائلا [3] :

أأسماءُ أمسَى وُدُّها قد تَغيَّرا
سنُبدِل إن أبدَلْتِ بالوُدِّ آخرَا

إذا تبين أنها نسيته ، أو قطعت ما بينه وبينها ، أو تحولت عنه ووصلت غيره ، فسوف يستبدل بها سواها ، ويميل بحبه إلى غيرها .

ونسير معه نستعرض لوحاته عن المرأة وما يتصل بها ، فإذا بنا نجده في إحداها ، وكأن سائلا يسأله عن رأيه في المرأة ، فيجيب [4] :

أراهنَّ لا يُحْبِبْن مَنْ قلَّ مالُهُ
ولَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيبَ فيه، وَقَوَّسا

إنه يعتقد أنهن لا يحببن الفقير ، ولا مَن شابَ رأسه ، وتقوَّسَ ظهره .

***

---

(١) كيف حادث وصلها : أي أهو ثابت على العهد أم تغير ؟ وكيف تراعي وصلة التغيب : هل تحفظ وصالي وتدوم على محبتي ، وأنا غائب ؟

(٢) المخبب : المفسد الذي يعلمها المكر والخِبّ وهو الفساد . يعنى هل حافظت على ما بيننا من حب أم استمعت إلى قول المفسد الماكر وأطاعته؟

(٣) ديوانه ، ص ٦١ .

(٤) ديوانه ص١٠٧ .

من هذه النماذج التي استعرضناها من صور امرىء القيس في المرأة ، نجد أنه كان يعنى بالناحية الجسمية ، والمظهر الخارجي للمرأة ، فحصر همه في تصوير ما كان يعتقد أنه جمال مثالي في كل جزء من أجزاء جسمها ، خَلْقاً ومظهراً ، وما يثيره هذا الجمال من الجاذبية والإعجاب الحسي ؛ فظهرت فى لوحاته في أروع ما يرضي العين والأنف واللمس، مع حياة نابضة برقة ودلال، وتحركات مثيرة لمختلف العواطف والانفعالات .

وأما وصف اللهو مع النساء فيرى الدكتور طه حسين أنه « أشبه أن يكون من نحل الفرزدق منه بأن يكون جاهلياً [1] » ، ويقارن يوم الغدير للفرزدق بيوم دارة جلجل لامرىء القيس ، ويعلل إضافتها لامرىء القيس بأن الفرزدق قد وُجِّه إليه اللوم على ما تتضمنه هذه الأشعار من فحش وغلظة. ولعل الذي جعل الدكتور طه حسين يرى هذا الرأي تشابهُ امرىء القيس والفرزدق في ذلك ، واعتقاده أن الأدب الجاهلي منحول . ومن يرجع إلى كتب الأدب يجد أن الفرزدق كان مفتوناً بسيرة امرىء القيس ، معجباً به ، ومن ثم فليس عجيباً أن يتأثر به في السلوك الشخصي، وفي الاتجاه الفني. على أن اعتقاده بأن هذا الشعر للفرزدق وأضيف إلى امرىء القيس ، معناه أنهما كانا شبيهين في الميول والرغبات ، وإذا كان كذلك ، فلماذا نضيف إلى أحدهما كل شيء ونحرم الآخر من كل شيء ؟ والأقرب الى المعقول أن كلا منهما له نصيب من هذا النوع ، وأن اللاحق قد تأثر بالسابق .

وكذلك يرى أن « وصف[2] امرىء القيس لخليلته وزيارته لها ، وتجشمه ما تجشم للوصول إليها، وتخوفها الفضيحة حين رأته ، وخروجها معه وتعفيتها آثارهما بذيل مرطها ، وما كان بينهما من لهْو أشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة منه بأي شيء آخر » . ويعتقد أن « هذا النحو من القصص الغرامي في الشعر فن عمر بن أبي ربيعة قد احتكره احتكاراً ، ولم ينازعه فيه أحد » .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٢٠٦ .
(٢) نفس المرجع .

ذلك هو رأي الدكتور طه في الشعر الغرامي الذي ينسب إلى امرىء القيس، فهو ينفيه عنه ، ويكاد ينسبه إلى عمر بن أبي ربيعة بحجة أن هذا الأخير هو الذي ابتدع هذا النوع من الشعر ، واحتكره لنفسه ، ولم ينازعه فيه أحد ، ولكنه لم يبيِّن لنا السبب الذي من أجله ينفى أن يكون هذا الشعر لامرىء القيس ، اللهم إلا إن كان ذلك داخلاً تحت الإطار الذي نفى فيه تقريباً كل الأدب الجاهلي ، وللأسباب التي ذكرها هناك ، وقد ناقشنا كل ذلك في موضوع الانتحال في الجزء الأول من هذا البحث . كما أنه لم يذكر لنا الأساس الذي اعتمد عليه في أن عمر بن أبي ربيعة صاحب هذا النوع من الشعر ، ابتدعه ، واحتفظ به لنفسه ، ولم ينازعه فيه أحد . حقيقة إن الشبه واضح جداً بين شعر امرىء القيس وشعر عمر بن أبي ربيعة في القصص الغرامي ، لكن شعر ابن أبي ربيعة لم يتضمن هذا الفحش فقط ، بل زاد ما هو أفحش وأشنع ، فقد رأينا في نماذج امرىء القيس أنه كان العاشق الذي يتحايل على العبث والفحش ، لكن عمر بن أبي ربيعة جعل نفسه المعشوق لا العاشق ، فالمرأة تتمناه ، وتتبارى الغيد الحسان في التعرض له ، وإيقاعه في حبائلهن ، وهو يثير الغيرة بينهن ، وأنه عليهن أمير ، رغبته مجابة ، وأمره مطاع :

فأنت أبا الخَطّاب غيرَ مُدافَعٍ　　عليَّ أَمِيرٌ ، ما مكثْتَ ، مؤمَّر (١)

وكل حبيبة له يضنيها الحب ، وتشكو بُعدَه وفراقه ، وتبعث إليه تلومه وتعاتبه ، وتبثه لوعتها :

أرسلَتْ هندٌ إلينا رسولا　　عاتباً أنْ ما لَنا لا نراكا ؟
فيمَ قد أجمعتَ عنا صدودا　　أأردتَ الصَّرْمَ أَمْ ما عداكا ؟
إن تكن قد حاولتَ غيظي بِهَجْري　　فلقد أدركْتَ ما قد كَفَاكا (٢)

---

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ، دار صادر سنة ١٩٦٠ ، ص ١٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

وتدعوه للزيارة [١] ، والمبيت عندها [٢] :

أرادت ، فلم تَسطع كلامــاً ، فأومأتْ
إليَّ ، ولم تــأمَنْ رَسولاً فترسِلا
بأنْ بِتْ عَسَى أن يستر الليل مجلساً لنا ، أو تَنامُ العينُ عنا فَتغفُلا

والموت عندها خير من فراقه :

تقولُ ، إذْ أيقنت أني مفارِقها : يا ليتني مِتُّ ، قبل اليوم ، يا عمر [٣]

وأكثر من هذا نجده في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وهو يبيّن بوضوح أنـه أفحش بكثير مما في شعر امرىء القيس الغرامي ، فالمرأة دائماً من طبعهـا الحيـاء ، والخجل ، والمحافظة على الشرف والعرض وحسن السمعة ، وليس هناك أغرب ولا أفحش من أن ترى لها مثل هذه الصور التي نراها في قصص ابن أبي ربيعة ، والفحش الذي نراه في صور امرىء القيس أقـل بكثير من ذلك ، فالمعقول إذن أن ابن أبي ربيعـة قد تشبع من روح امرىء القيس ، وصادف ذلك ميلاً طبيعياً في نفسه ، فنتج عن ذلك نتاج جديد يفوق الأول في درجته ، وإن اتفق معه في النوع ، ولعل هذا التفوق في الدرجة ، ونحو ذلك مما زاده ابن أبي ربيعة في هذا الشأن مثل الحوار الواسع الكثير الذي نجده واضحاً عند عمر بن أبي بيعة ، هو الذي يمكن أن يقـال عنه إنه فن عمر بن أبي ربيعة ، قد احتكره لنفسه ، ولم ينازعه فيه أحد .

وليس بعجيب ، وقـد تهيأت لامرىء القيس الظروف والأسباب ، أن يصدر عنه هذا القصص ، الذي يصور ما يدور بنفس منحرفة ، تخلت عن

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

المسؤولية ، وحُرمت الإرشاد والتوجيه ، ولا شك أن للخيال دوراً كبيراً في هذه الصور ، فهي تمثل أوهام شاب لا عمل له ، ولا يجد ما يملأ به فراغه إلا مثل هذا العبث والفساد ، وكأنما أحس أنه لم يكن شيئاً في ميدان الكفاح والطموح ، فأراد أن يثبت أنه بطل في ميدان ما ، فجاء بصُوَر تظهره أن لديه من الذكاء وسعة الحيلة والمواهب الطبيعية ما يمكنه من غزو قلوب الحسان والجلوس على عروش افئدتهن ، في الوقت الذي كان فيه الأبطال يتطاحنون في ميدان الشرف والجاه .

ويلاحظ في صوره للأطلال أنه يميل إلى تحديد أمكنتها بالضبط كأنما يرسم خريطة دقيقة لمواقعها ، ولعله يرمي من وراء ذلك إلى أنه يعرفها حق المعرفة ومن ثم فتأثره بها أشد وأوقع . ولكن مهما رأينا من وله ولوعته في صوره ، فإن ذلك لا يدل على حبه الخالص العميق ، لما رأينا له من صور تنفي ذلك ، ولما ذكره في ذلك من أسماء الكثيرات ، ولا شك أن ذلك يوحي بأنه كان مغرماً بالجمال ، يعشقه كلما وجد ، ويحن شوقاً إليه أينما كان.

الطرد والقنص ٧

وفي هذا الركن من معرض شاعرنا نرى جانباً من ألوان النشاط ، كان يمارسه أيام انطلاقة وفراغه ، وهو يمثل رياضة محببة إلى كثيراً من بني الإنسان في الماضي والحاضر ، فما زال كثير من الناس يهوونها حتى اليوم ، تلك رياضة صيد الحيوان في الفلوات . والشاعر هنا يعرض صوراً لمناظر له مختلفة ؛ ففي بعضها نراه يمتطي صهوة جواد ، وفي بعضها على فرس تكـاد تطير به ، كما يظهر في صور قـد خرج وحده ، وفي أخرى قد اصطحب معه آخرين ، من مساعدين ، أو خدم وطهاة . ففي إحدى الصور يقول (١) :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها ... لغيثٍ من الوَسْميِّ رائدهُ خالِ (٢)
تحامَاهُ أطرافُ الرِّماحِ تحامِياً ... وَجادَ عَلَيْه كلُّ أسْحَمَ هطَّالِ (٣)
بِعِجْلِزَةٍ قَدْ أتْرزَ الجريُ لحمَها ... كُمَيتٍ كأنها هِراوةُ مِنْوالِ (٤)

---

(١) ديوانه ، ص ٣٦ .

(٢) أغتدي : أخرج مبكراً . الوكنات : المواضع التي تأوي إليها الطيور . الغيث (هنا) البقل والنبت ، أو ما أنبتته المطر . الوسمي : أول المطر . رائده : الرجـل الذي يرتاده أي يطلبه لأهله . خال : ليس فيه غيره .

(٣) تحاماه : تحافظ عليه وتدافع عنه . جاد عليه من الوسمي : نزل عليه بغزارة .

(٤) عجلزة : فرس صُلْبة اللحم . أترز : أيبس وشدّد . كميت : لونها بين السواد والحمرة. وشبهها بالهراوة وهي العصا لأنها لا تتخذ إلا من أصلب العود وأشده . والكميت عـادة أصلب حافراً وأشد خَلْقاً . والعصا هنا من آلات الحائك .

ذَعرتُ بها سِرْباً نَقيًّا جُلودُه   وأكرُعُه وَشْيُ البُرُودِ من الخالِ (١)
كأنّ الصُّوارَ إذ تجهَّدَ عَدْوَهُ   على جَمَزَى خيلٌ تجُول بأجْلالِ (٢)
فَجالَ الصُّوارُ واتّقيْنَ بقَرْهَبٍ
طويلِ القَرا والرَّوْقِ أخْنَسَ ذَيَّالِ (٣)
فعادَى عِداءً بين ثَورٍ ونَعْجَةٍ   وكانَ عِداءُ الوَحْشِ مِنّي على بالِ (٤)
كأنّي بفَتْخاءِ الجَناحَيْنِ لِقْوَةٍ
صَيودٍ من العِقْبانِ طَأْطَأْتُ شِمْلالِ (٥)
تَخطَّفُ خِزّانَ الشَرَبَّةِ بالضُّحا   وقد حَجَرَتْ منها ثَعالِبُ أَوْرالِ (٦)
كأنَّ قلوبَ الطيرِ رَطْباً ويابِساً
لَدَى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي (٧)

---

(١) سرب : قطيع من بقر الوحش . نقيا جلوده : يعني بيض الجلود . وأكرعه مَوَشِيَّة أي فيها بياض وسواد . الخال : نوع من برود اليمن .

(٢) الصوار : قطيع بقر الوحش . أجهدت : زادت وقوّت . جمزى : موضع . أجلال : لباس للحيوان .

(٣) قرهب : فحل مسن من البقر . أخنس : قصير الأنف . ذيال : طويل الذيل . الروق : القرن . اتقين به : تحامين به ؛ وذلك لأنه أشدهن ، فجعلنه مما يلي الصائد ليذب عنهن .

(٤) عادَى عِداء : وَالَى ، وصرع واحداً بعد واحد . على بال : موضع اهتمام مني .

(٥) الفتخاء : اللينة الجناحين ، ويقصد العُقاب . اللقوة : السريعة من العقبان . صيود : كثيرة الصيد . طأطأت : خفضت ودانيت . شملال : خفيفة سريعة .

(٦) الخِزّان : جمع خُزَز وهو ذكر الأرانب . الشربة وأورال : موضعان . تخطّف تأخذ بسرعة . حجرت : اختفت خوفاً ورعباً .

(٧) قلوب الطير رطباً : أي قلوب الطيور التي صِيدت حديثاً . اليابس : الجاف ويقصد ما صيد من مدة وقدم . الحشف : البالي من التمر ورديئة . يشير بذلك إلى كثرة الصيد الذي تصطاده هذه العقاب لتأتي به إلى أولادها الكثيرة ، وبهذه العقاب يشبه الفرس التي يخرج عليها للصيد .

ففي هذه الصورة يظهر الصياد في الصباح الباكر ، وقــد امتطى فرساً يقصد روضة ناضرة قد نما عشبها ، بعد أن هطل عليه مطر غزير فصار كامل الخصب وافر النبت ، وتحرسه قوة هائــلة ، ولكنها لا تجرؤ على منعه من الصيد فيه لعزه وبأسه ، وكانت فرسه شديدة ، ضامرة ، سريعة ، ففاجأ بها قطيعاً من بقر الوحش الأبيض الجلود ، المخطط الأرجل ، فهرب خوفــاً ورعباً حتى انعقد الغبار فوقه ، وكساه حلة بيضاء ، وكان القطيع يحاول أن يدفع الخطر عن نفسه بفحل قوي شديد ، ولكن الفرس اندفعت بين القطيع وعاثت فيه فساداً وظهر على البقر الرعب والاضطراب ، فمنه ما سقط صريعاً ، ومنه ما لاذ بمخابيء أختفى بها عن الأنظار ، ولكن الضحايا كانت كثيرة العدد .

وأما هذه اللوحة التي يعرضها في الوضع التالي [١] :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكناتها ... بمنجردٍ قيدِ الأوابد هيْكلِ [٢]

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مدبرٍ مَعاً ... كجُلْمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ مِنْ عَلِ [٣]

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِهِ ... كما زلّتِ الصَّفْواءُ بالمتنزِّلِ [٤]

---

(١) ديوانه ، ص ١٩ .

(٢) منجرد : فرس قصير الشعر ، ويقصد أنه عتيق . الأوابد : الوحش ، وجعل الحصان قيداً لها لأنه يسبقها فيمنعها من الفوت . الهيكل : الفرس الضخم ، وأصل الهيكل بيت النصارى والمجوس ، شبه الفرس به في الضخامة .

(٣) مكر مفر : متعود على الكر والفر ، وهما الإقبال والإدبار . الجلمود : الصلب الشديد التماسك . وشبهه بالجلمود المنحط من فوق الجبل لصلابته وسرعة اندفاعه ووقوعه على الفريسة .

(٤) يزل : ينزلق . متنه : ظهره . الحال : موضع اللبد من ظهره ، يريد أن ظهر الحصان أملس يزلق اللبد . الصفواء : الصخرة الملساء . المتنزل : النازل عليها .

مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ على الوَنى   أثرْنَ غباراً بالكديدِ المركَّلِ (١)

على العَقْبِ جيَّاشٍ كأن اهتزامَه   إذا جاشَ فيه حَمْيُه غَلْيُ مِرْجَلِ (٢)

يُطيرُ الغلامَ الخِفَّ عن صَهواتِه   ويُلْوِي بأثوابِ العَنيفِ المثقَّلِ (٣)

دَرِيرٍ كخُذروفِ الوليـدِ أمَرَّه   تَقلُّبُ كفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّلِ (٤)

له أيطَلا ظَبْيٍ وسَاقا نَعامَةٍ   وإرخاءُ سِرْحانٍ وتَقريبُ تَتْفُلِ (٥)

كأن على الكتفَين منه إذا انْتحَى

مَداكَ عَرُوسٍ أو صَرايَةَ حَنْظَلِ (٦)

---

(١) مسح : يتتابع في جريه بسهولة وسرعة مثل سحّ المطر وهو انصبابه . السابحات : التي تبسط يديهـا إذا عَدَتْ فكأنها تسبح . الونى : الفتور . الكديد : ما غلظ من الأرض . المركل : الذي ركلته الخيل بحوافرها ، فأثارت الغبار لصلابتها وشدة وقعها .

(٢) العقب : جري بعد جري ، وقيـل هو تحريك الفرس بالعَقِب ، أي لا يحوجك إلى السوط لنشاطه وسرعته . اهتزامه : صوت جوفه عندالجري . حَمْيٌ : غَلْيٌ . مِرجل: قدر.

(٣) الِخف : الخفيف . الصهوات : جمـع صهوة ، وهي موضع اللبد من ظهره، وجَمَعَها يقصدها وما حولها . أي إن هذا الحصان يُسقط الغلام الخفيف عن ظهره لسرعة عدوه وشدة دفعته . يُلوِي بأثوابه : يذهب بها ويسقطها من شدة عدره . العنيف : الأخرق . المثقل :الثقيل الذي لا يحسن الركوب ، أي إنه يخاف أن يصرعه فيتشبث بظهره ولكن أثوابه تطير عنـه ، بقوة الهواء المندفع بسبب جري الفرس الشديد السريع .

(٤) درير : سريع خفيف . الخذروف : لعبة يلعب بها الصبيان ، تسمع لها صوتاً ، وهي سريعة المرّ . خيط موصل : لعب به كثيراً فتقطع فوُصِّل .

(٥) الأيطل : الخاصرة . شبه خاصرتي الحصان بخاصرتي الظبي لأنه ضامر . وشبه ساقيـه بساقي النعامة ، لأنها قصيرة الساقين طويلة الفخذين ، وذلك مستحب في الفرس . الإرخاء : سير ليس بالشديد ، السرحان : الذئب . والتقريب نوع من الجري . التتفل : ولد الثعلب ؛ ويقصد هنا الثعلب نفسه .

(٦) مداك العروس : الحجر الذي يسحق عليه الطِّيب ، يقصد أنه يبرق كما يـبرق مداك العروس لأنها قريبة العهد بسحق الطيب ، فمداكها براق . الصراية : الحنظلة الصفراء البراقـة . شبه حارك الحصان بصراية الحنظل ومداك العروس في الملاسة والبريق .

وباتَ عليه سَرْجُـــه ولجامُه　　وباتَ بعيني قائماً غير مُرْسَلِ (١)

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأن نِعَاجَــه　　عَذَارَى دَوَارٍ في المُلاءِ المذيَّل (٢)

فأدبَرْنَ كالجزْع المفصَّـــل بينه　　بجيدٍ مُعَمٍّ في العشيرة مُخْوَل (٣)

فألحَقَنا بالهـــاديات ودُونه　　جَوَاحِرُها في صَرَّةٍ لم تَزَيَّل (٤)

فعادَى عِداءً بين ثور ونعجـــة　　دِرَاكاً ولم يُنْضَح بماءٍ فيُغسَل (٥)

وظَلَّ طُهاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ　　صَفِيفَ شِواءٍ أو قَديرٍ مُعَجَّلِ (٦)

ورُحْنا وراحَ الطرْفُ ينفضُ رأسه　　متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّل (٧)

---

(١) بات عليه سرجه ولجامه : كان مُعَدّاً للصيد في الصباح . مرسل : بعيد . يقصد أنه كان قريباً منه حيث يراه لكرامته عليه ، ومزيد الحاجة إليه ، والعناية به .

(٢) عَنّ : عرَض ، وظهر . نعاجه : إناثه. دَوار : صنم كانوا يدورون حوله في الجاهلية الملاء : الملاحف . المذيل : الطويل ذو الأهداب . شبه البقر في مشيتهن وطول ذيلهن وبياضهن بالعذارى في الملاحف الطويلة المهدَّبة .

(٣) الجزع : الخرز . المفصل : الذي فصل بينه باللؤلؤ . جيد : عنق . معم في العشيرة مخول : صبي كريم العم والخال . وخص الخرز بكونه في عنق هذا الصبي لأنه لا يكون إلا نفيساً منتخباً .

(٤) الهاديات : المتقدمات من البقر . الجواحر : ما تخلف منها . الصرة : الجماعة . لم تزيل: لم تفرَّق : أي جمع الفرس بين أواخرها وأوائلها فلم يفُت منها شيء .

(٥) العِداء : الموالاة . لم ينضح بماء : لم يعرق ، وأراد بالماء هنا العرق . والمعنى أنه صاد قبل أن يجهد ويعرَق فيكون كأنه غُسل . دراكاً : مداركة .

(٦) الطهاة : الطباخون . الصفيف : المرقق . القدير : المطبوخ في القدر . معجل : أي على عَجَلَة ، لأنهم كانوا يستحسنون تعجيل ما كان من الصيد .

(٧) الطرف : الحصان السريع ، وقيل هو الكريم الطرَفين . ترقّى العين : تصعّد النظر عجباً ودهشة . وتسهّل : أي تتجه بنظرها إلى أسفل . يريد أن الناظر يصعّد فيه ، علواً وسفلاً عجباً به ؛ ويحتمل أنه لكمال هذا الحصان إذا ارتفعت فيه عين الناظر إليه راعه منظره، فخشي إصابته بعينه ، فصوّب رأسه وكفّ عنه نظره .

كأن دِمــاءَ الهاديات بنَحْرِهِ عُصارةُ حِنَّاءٍ بشَيبٍ مُرَجَّل (١)

وأنتَ إذا استدبرته سَدَّ فَرْجَـه

بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل (٢)

فهي صورة كثيرة المناظر ، فيها تفصيلات عن الحصان ، وبقر الوحش ، والطهاة الذين أعدوا الطعام من الصيد ، وحال الحصان بعد المجهود الذي بذله في العمل الذي قام به . إنه ينوي ليلاً أن يقوم بهذه الرياضة صباحاً ، فيعد حصانــه الذي سيخرج عليه ، ويبقيه على مقربة منه ليكون في متناول يده متى شاء ، ثم يصحو من نومه مبكراً ، ويخرج متجهاً نحو غرضه ، قبل أن تغادر الطيور أوكارها ، وهي في العادة تخرج مبكرة ، وقــد امتطى صهوة جواد أصيل كريم ، وهنا يلقي الشاعر مزيــداً من الضوء على منظر الحصان ، وأجزاء جسمه ، ليظهر عتقه وكرمه ، فيظهر في الصورة حصان ملء العين والفؤاد ، ضخم المنظر ، ضامر الخصر ، قصير الساقين في صلابة ، طويل الفخذين في اكتناز ، وشدة . فيه قوة تؤهله للسيطرة على الوحوش ، وحبس أنفاسها ، وتمكنه من الاندفاع في سرعة خاطفة وصلابة ، ولونه جميل ، فيه كرم الأصل ، وظهره أملس ناعم حتى إن اللبد ينزلق عليه سريعاً بمجرد لمسه ، ثم يبدأ الحصان في الجري ، فينطلق انطلاق السهم ، في خفة النسيم ، واستواء سطح الماء ، وتتابع المطر المنهمر ، ولكن مع قوة تحرّك الهواء في تيار عنيف من فوقه وحوله ، بحيث لو ركبه غلام خفيف لطار بعيداً عن صهوته ، ولو تمسك به ثقيــل الوزن لا يحسن الركوب ، لتمزقت ثيابه ، وتناثرت من حوله ، وتسمع له حفيفاً رتيباً متتابعاً يدل على السرعة الخاطفة ، وفي صدره جَيَشان المرجل ، وإذا خفف من عَدْوه قليلاً ظهرت فيه خفة

---

(١) نحره : صدره . يريد أن حمرة الدم بصدره كحمرة الخضاب في الشيب .

(٢) الضافي : الذنب الطويل . فويق الأرض : أي ليس بالطويل فيطأ عليه ، ولا بالقصير فيبعد عن الأرض . الأعزل : الذي يكون ذنبه في ناحية ، وهو مكروه .

الحركة ورشاقة الجسم ، ثم لاح له في الأُفق قطيع من البقر الوحشي ، بيض اللون ، طوال الذيل ، يدور ويلعب في مرح ونشاط ، فاندفع الحصان نحوه ، وضرب نطاقاً حصيناً حوله ، وجمع الحصان بين أواخر القطيع وأوائله ، ولم يَفُتْ منه شيء ، ثم أخذ يصول ويجول بين الثيران والنعاج ، فصرع منها كثيراً ، ولم يظهر عليه أي أثر للجهد أو التعب ، غير أن دمـــاء الضحايا تركت خضاباً في صدره . وأتى دور الطهاة ، فأخذوا في إعداد الطعام ، ثم جاءت المائدة ، وعليها أصناف الأطعمة الشهية ، من بينها اللحم المرقق المشوي ، والمطبوخ المغلي ، وكان صاحبنا يستمتع بالطعام اللذيذ ، وبنظرات الإعجاب لحصانه الذي كان يبدو ظاهر القوة والنشاط ، رائع المنظر ، فكان يردد فيه بصره من ناصية رأسه ، إلى منتهى ذيله المنسّق ، الغزير الشعر ، البعيد عن الأرض.

وفي المنظر التالي نرى أكثر وأكثر ، ففيه تجسيم لأعضاء جسم الحصان ، وصُور متعددة للفارس ، وحركات الحصان ، والحيوانات ، والخدم ، وللرحلة كلها من البدء حتى العودة ؛ تلك هي [1] :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها وماءُ الندى يجري على كل مِذْنَبِ [2]

بمنجردٍ قيد الأوابد لاحــه طرادُ الهوادي كلَّ شأوٍ مُغَرِّبِ [3]

عَلى الأَيْنِ جيّاشٍ كأنَّ سَرَاتَه عَلَى الضُّمْرِ والتَّعْداءِ سَرْحَةُ مَرْقَبِ [4]

---

(١) ديوانه ، ص ٤٦ .

(٢) المذنب : سيل الماء إلى الروضة . الندى (هنا) المطر . يريد أنه خرج في الغلس أي الظلمة ، في ليل كثير المطر تسيل منه البقاع ، يصف نفسه بالجلد وتحمل المشقة .

(٣) الهوادي : المتقدمة السابقة . لاحه : أثر فيه ، وأضمره . طراد : مطاردة . الشأو : الطلَق . مغرب : بعيـــد . يقول أضمر هذا الحصان مطاردةُ الوحش ، واتباعه له في كل مكان بعيد .

(٤) الأين : التعب والفتور . جياش : يجيش في جريه كما تجيش القِدْرُ على النار . سراته . أعلاه . التعداء : كثرة العدو . السرحة : ما عظم من الشجر وطال . المرقب كل ما أشرف من الأرض . شبه الحصان على ضمره وكثرة عدوه بشجرة عظيمة في أعلى مكان .

يُبارِي الخنوفَ المستَقِلَّ زِمَاعَه   ترَى شَخْصَهُ كأنه عُودِ مشْجَبِ (١)
له أيطـــلا ظبْيٍ وسَاقا نعامَةٍ   وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ (٢)
ويخطو على صُمٍّ صِلَابٍ كأنّهـــا   حِجارةُ غَيْلٍ وَارساتٌ بِطُحْلَبِ (٣)
له كفَلٌ كالدِّعْصِ لبَّدهُ النَّدَى   إلى حارِكٍ مِثْلِ الغَبِيطِ المذأَّبِ (٤)
وعَينٌ كمرآة الصَّنّاع تُديرها   لمحْجِرِها من النَّصيفِ المنَقَّبِ (٥)
لَهُ أُذُنان تَعْرِفُ العِتْقَ فيهما   كسَامِعتَيْ مذعورةٍ وَسْطَ رَبْرَبِ (٦)
ومُسْتَفْلِكُ الذِّفْرَى كأنّ عِنانَه   ومَثناتَه في رأسِ جِذْعٍ مشَذَّبِ (٧)

---

(١) الخنوف : الذي يرمي بيديه في السير ، وذلك من صفات الحمار الوحشي . الزمــاع : جمع زمعة ، وهي الشعرات المدلاة في مؤخر الرجل من ذوات الظلف . المستقل : القليل ،وقلة الشعر في رسغ الحصان أسرع له ، وإذا كانت تمس الأرض كان ذلك عيباً . عود مشجب : يقصد أنه ضامر أملس . وصف الحصان هنا بالصلابة والامّلاس والضمر .

(٢) صهوة : ظهر ، شبه ظهر الحصان بظهر العَيْر في اعتدالهواستوائه ، وحينما يكون العير قائماً يتمدد ويستوي ، وإذا عدا اضطراب ، وإذا كان في مكان عال ظهَرَ استواؤه ، وزاد في تمام خلقه وحسن منظره .

(٣) الصم : الحوافر التي ليست جوفاء ؛ وذلك أصلب لها . الغيل : الماء الجاري على الأرض. وارسات : مصفرات . شبه حوافر الحصان في صلابتها وملاستها بحجارة ماء قد علاها الطحلب فاصفـّرت واملاسّت وصلبت .

(٤) الدعص : الكثيب الصغير من الرمل . لبّده الندى : سقط النــدى على الرمل فتماسك واشتد ولم يتساقط . الغبيط : قتب الهودج وهو مرتفع . المذأب : الموسَّع . الحــارك : أعلى الكاهل . إلى (هنا) : بمعنى مع .

(٥) الصناع : الحاذقة بالعمل ، وهي في العادة لا تتكل على غيرها فمرآتها دائماً مجلوة نظيفة . المحجر : ما استدار حول العين . النصيف : الخمار . المنقب : الذي تنقبت أي تقنعت به .

(٦) مذعورة : يعني بقرة وحشية قد ذعرت ، وحينما تفزع البقرة الوحشية تنصب أذنيها وتحددهما . الربرب : القطيع من البقر .

(٧) المستفلك : المستدير ، الذفرى : عظم ناتىء خلف الأذن ، واذا استدار كان دليلاً على كرم الأصل . المثناة : الحبل المشدود في رأسه ، وسمي بذلك لأن الفرس يثنـَى به . المشذب : الذي نزع شوكه وسعفـه . يشير إلى أن الحصان قصير الشعر منجرد ، وبذلك توصف الخيل الكريمة .

ومستفلك الذفرى كأن عنانه ومثناته في رأس جذع مشذب

وأسْحَمُ ريّانُ العَسِيب كأنّه ... عثاكيل قِنْوٍ مِنْ سُمَيْحَةَ مُرطِب (١)

إذَا ما جَرَى شأوين وابتلّ عِطْفُه ... تقول هَزِيزُ الريح مَرَّتْ بأَثْأَب (٢)

يُديرُ قَطاةً كالمَحالة أشْرَفَتْ ... إلَى سَنَد مثل الغَبيط المذأّب (٣)

وَيخضِدُ في الآريّ حتى كأنما ... به عُرَّةٌ مِن طائفٍ غيرِ مُعْقِب (٤)

فيومـــاً على سِربٍ نقيّ جلودُه ... ويوماً على بيدانة أمّ تَوْلَب (٥)

فبينا نِعاجٌ يرتعـــين خَميلةً ... كمشي العَذارَى في المُلاءِ المهدَّب (٦)

فـكان تنادينا وعَقْدَ عِـــذارِهِ

وقال صِحابِي قد شأَوْنَكَ فاطلُب (٧)

---

(١) أسحم : ذيل أسود . ريان :ممتلىء ناعم . العسيب : عظم الذنَب وقد غلط امرؤ القيس في ذلك لأن الحصان يحمد فيه يُبْس العسيب ، القنو : عذق النخلة . سمحية:اسم بئر ، يريد أن ذيل الحصان كامل غزير كشماريخ نخل مرطب .

(٢) شاوين : مثنى شأو ، وهو الطّلَق . عطفه : جانبه . هزيز الريح : صوتها . أثأب: شجر يشبه الأثل ، يشتد صوت الريح فيه .

(٣) القطاة : مقعد الرديف . يدير : يصرّف ، كالمحالة : أي فقرتهـــا مستديرة كالبكرة . سند : سفح الجبل ، يشبه به الكفل يريد أنه مشرف مرتفع . الغبيط : قتب الهودج . المذأب : الموسع الأسفل .

(٤) يخضد : يقطع، والمقصود هنا يشدّ المضغ. العرة : الجنون. طائف : مس من الشيطان. غير معقب : ملازم له . يصف الحصان بالنشاط وكثرة الحركة .

(٥) بيدانـــة : أتان في البيد لا تقرب الناس ، وهـــذه تكون أشد ذعراً وأكثر جرياً . التولب : الولد الصغير .

(٦) النعاج : إناث بقر الوحش . الخميـــلة : رملة فيها شجر . المـــلاء : الملاحف البيض . المهدّب : ذو الهُدْب ، شبه شعر أذنابهن به .

(٧) تنادينا : نداء بعضنا بعضاً . عقد عذاره : ربطه . شأونك : سبقنك .

فَلاياً بِلَأْيٍ ما حَمَلْنـــا وَليدَنا على ظهر محبوكِ السَّراة مُحَنَّب (١)

وَوَلّى كشُؤْبُوب العَشِيِّ بِوابـــلٍ
وَيَخرُجْنَ من جَعْـــدٍ ثَراه مُنَصَّب (٢)

فللسّاق أُلهوبٌ وللسَّوْطِ دِرَّةٌ وِللزجرمنه وَقعُ أَهْوجَ مِنْعَب (٣)

فأَدرَكَ لم يَجْهَد ولم يَثْنِ شأوَه يَمُرُّ كخُذْروف الوليد المُثقَّب (٤)

تَرى الفأر في مُسْتَنقَع القاعِ لاحِبــاً
علَى جَدَد الصحراء من شَــدٍّ مُلْهِب (٥)

---

(١) لَأْي : جَهْد . لأي بعد لأي : جَهْداً بعد جَهْد . ما حملنا وليـدنا : جعلناه على ظهر الحصان بعد مشقة لنشاط الحصان وامتناعه . المحبوك : القوي المجدول . المحنّب : الذي في يديه وصلبه انحناء ، وذلك مستحب،لأنه من طبيعة الجياد.

(٢) الشؤبوب : دفعة المطر ، وشؤبوب العشي أغزر من غـيره وأشد . الجعد : الشديد النداوة ، وقيل المتراكب بعضه على بعض . المنصّب : المرتفع . ثريت الأرض ثَرًى فهي ثرية : نديت ولانت بعد الجدوبة . وذلك وصف للغبار ، أي يخرجن من غبار جعد ثراه ، وقيـل : يخرجن من مكان مخصب ندٍ ، قـد تجعّد ثراه لنُدُوَّته ، وزادت أرضه ونمت وارتفع ثراها . والمعنى أن هذه النعاج كانت في خصب ، فهو أسرع لها وأقوى على العَدْو ، ولكن الحصان مع ذلك لاحِقٌ بها .

(٣) ألهوب : لهيب واشتعال ، للساق ألهوب : إذا حركه بساقه ألهب الجري . درة : يقصد كثرة الجري . أهوج : لا عقل له . منعب : يستعين برقبته في الجري ويمده .

(٤) أدرك : لحق . لم يجهد : لم يتعب . لم يثن شأوه : أدرك الوحش في طلق واحد ، دون أن يثنيه لسرعته وشدته . وشبهه في الخفة والسهولة بالخذروف المثقب إذا أداره الوليد .

(٥) القاع : بطن الأرض . الجدد : ما استوى من الأرض وصلب . ملهب : شديد ملتهب الجري . يقصد أن الفيران خرجت من جحورها لما سمعت وقع حوافر الحصان ، فقد ظنت أن هناك مطراً ، وخشيت أن يُسيل الأرض فيغرقها في جحورها . فخرجت من بطن الأرض إلى مكان مرتفع صلب .

خفَاهُنَّ مِنْ أَنْفاقهنّ كأنما خفاهُنَّ وَدْقٌ من عَشيٍّ مُجلّبِ (١)

فعادَى عِداءً بين ثور و نَعجــة وبين شَبُوبٍ كالقَضيمة قَرْهَب (٢)

وَظــلَّ لثيران الصَّريم غَماغِم يُدَاعِسُها بالسَّمهريّ المعلَّب (٣)

فَكَابٍ على حُرّ الجَبينِ ومُتَّقٍ بِمَدْرِيَّةٍ كأنها ذَلْقُ مِشْعَب (٤)

وقلنا لِفِتْيانٍ كرامٍ ألا انزلوا

فَعالُوا عَلينا فضــلَ ثوب مطنَّب (٥)

وأوتاده ماذيّــة وعِمادُه رُدَيْنيَّةٌ فيها أَسِنَّة قَعْضَب (٦)

وأطنابُه أشْطَان خُوصٍ نجائب وَصَهْوَتُه مِن أَتْحَميٍّ مُشَرْعَب (٧)

---

(١) خفاهن : أظهرهن ، أي جعلهن يخرجن . الأنفاق : أسراب تحت الأرض . الودق : المطر ، وهو في العشي أغزر . مجلّب : تسمع له جلبة لشدة وقعه .

(٢) عادى عداء : تابَع ووالَى صيد الوحش ، من بين ثور ونعجة . شبوب : ثور مسن . القضيمة : الصحيفة البيضاء . قرهب : كبير .

(٣) الصريم : المنقطع من الرمل . غماغم : أصوات. يداعسها: يطاعنها . السمهريّ : الرمح الشديد . المعلّب : المشدود بالعلباء ، وهي عَصَبَة في قَفا الحيوان ، وكانوا يشدّون بها الرماح وهي رطبة طريّة ، ثم تيبس عليها فيؤمن تعطّفها عند المطاعنة . يعني أن الغلام كان يطعن الثيران ، فتسمع لها غماغم ، أي أصوات مرددة .

(٤) الكابي : الساقط على وجهه ، المدرية : القرن . الذّلْق : الحدّ . المِشعب : الإشفى ، وهو مخرز يشعب به .

(٥) عالوا علينا : ارفعوا فوقنا . المطنب : المشدود بالأطناب ، وهي حبال الخِباء .

(٦) الماذية : الدرع الصافية اللينة ، الردينية : رماح منسوبة إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوّم الرماح ، قعضب : رجل من بني قشير كان يعمل الأسنة ، ويقال إنه كان زوج ردينة .

(٧) أطناب : الحبال التي تشد البيت . أشطان : حبال . خوص : غائرة العيون. صهوته : أعلاه . الأتحمي : نوع من برود اليمن . مشرعب : منوّع .

فلما دخلنـــاه أضفنا ظهورَنا إلى كل حاريٍّ جديد مشطَّب (١)

كأن عُيون الوحْشِ حول خِبائنا وأرْحُلِنا الجزْعُ الذي لم يثقَّب (٢)

نَمَشُّ بأعراف الجيادِ أكفَّنـا إذا نحن قُمنا عن شِواء مُضَهَّب (٣)

ورُحْنا كأنَّا مِنْ جُؤاثى عَشيَّةً نُعالي النِّعاجَ بين عِدْلٍ ومُحْقَب (٤)

وراحَ كتيس الرَّبْلِ ينفض رأسه أذاةً بهِ مِنْ صائكٍ مُتحلِّب (٥)

فهو في هذه الصورة لا يخرج للصيد مبكراً فقط ، بل في الغلَس وما زالت الطيور نائمة ، والمطر منهمر بغزارة حتى سالت منه البقاع ، ممتطيـاً صهوة جواد قد اعتاد على طراد الوحوش في الأماكن الواسعة الأرجاء ، وهو حصان سريع قوي نشيط مهما بذل من مجهود ، ضخم ، مرتفع ، يسبق أسرع الوحوش ، وله خصر ضامر ، وساق صلبة ، وظهر معتدل ، وحوافر

---

(١) أضفنا ظهورنا : أملناها وأسندناها . حاريّ :منسوب إلى الحيرة.وكانت الرحال تنسب إليها . مشطب : فيه خطوط وطرائق كمدارج النمل . وشُطَب السيف : طرائقه .

(٢) الجزع : الخرز ، وهو أسود مجزّع ببياض ، وشبه به عيون الوحش ، مع أنها سود لا يبدو فيها بياض ، لأن عيونها وهي ميتة تنقلب فيظهر فيها البياض والسواد . وإذا كان الجزع غير مثقب كان أصفى وأتم حسناً ويتناسب مع تشبيه العيون به لأن عيون الوحش غير مثقبة .

(٣) نمش : نمسح ، ومنه سمي المنديل مَشوشاً . المضهب : الذي لم يدرك نضجه ، يقصد أنهم كانوا في عجلة فشووا لحم الصيد ولم يبلغوا به النضج ، ويقال إن ذلك مستحب عندهم في لحم الصيد .

(٤) رُحْنا : عُدْنا . جؤاثى : قرية بالبحرين يمتار منها التمر . عِدْل : يعنى جعلوا لحوم الصيد عِدْلين ثم ركبوا فوقها . محقب : في الحقائب . أي من اللحم ، ما جعلوه عِدْلاً ، وما وضعوه في الحقائب ، وذلك لكثرته .

(٥) الربل : نبت ينبت في آخر الصيف واستقبال الشتاء ، وينبت ببرد الهـواء لا بالمطر . التيس : الذكر من الظباء ، وتسمى الظبية ماعزة . الصائك : العرق الثقيل الريح . يقصد أن هذا الحصان قد عاد في العشي ناضراً نشيطاً كظبي يعيش في الخصب دائماً ، وكان العرق النفّاذ الرائحة يتحلب منه .

قوية متينة ملساء ، وكفل عال مدمّج ، وكاهل عريض مرتفع ، وعين صافية وأذنان حادتا السمع ، دقيقتان ، يدلان على كرم الأصل ، وخلعهما عظم مستدير ناتيء ، وعنق أجرد طويل ، وذيل أسود غزير الشعر ، وإذا جرى هذا الحصان سمعت له خَفْقاً كخفق الريح إذا مرت بشجر الأثل ، وهو ظاهر القوة والنشاط متمرن على صيد الوحوش ، مجتمعة ، أو منفردة .

ويظهر من بعيد قطيع من بقر الوحش يختال في مشيته وحركاته ، فترتفع الأصوات بالإسراع نحوه ، فبدأ الحصان في التحرك بشدة ، حتى إن الغلام المساعد في الصيد لم يستطع أن يقفز على ظهره إلا بعد جهد عنيف ، ثم انطلق الحصان في دفعات شديدة متوالية ، وإذا حُرِّك بالساق التهب جريه ، وإذا زجر انطلق كالمجنون ، فزلزل الأرض ، وأحدث حفيفاً أفزع الفيران فتركت أنفاقها هاربة خائفة ، حتى أدرك القطيع في انطلاقة واحدة ، وأخذ يصول ويجول بين الثيران والنعاج وفحولها ، والطعنات تتوالى عليها ، وغمغمة الثيران تتردد في جنبات المكان ، وكان منها ما خر صريعاً على وجهه ، وما يحاول أن يتقى الطعنات بقرنه .

ثم انتهت المعركة ، فطلب من فتيان كانوا معه أن يهيئوا مكاناً للراحة فأعدوا بيتاً ؛ أوتاده دروعهم ، وعماده رماحهم ، وأطنابه حبال دوابهم ، وسقفه أنواع من البرود اليمنية ، واثاثه الداخلي من صنع الحيرة الجيد . وجيء بالصيد حوله ، ثم أعد الطعام من لذيذ اللحم .. وفي المساء عادوا من الرحلة محملين بكثير من لحوم الصيد التي ملأت حقائبهم وأمتعتهم ، وكان الحصان لا يزال في منتهى القوة والنشاط ، بالرغم من العرق الغزير الذي كان يسيل منه .

وهذه صورة أخرى لا تزيد عن سابقتها إلا منظر الربيئة الذي أرسلوه ليعرف مكان البقر والحمر الوحشية [١] .

---

(١) ديوانه ، ص ١٧٢ .

بَعَثْنا رَبيئاً قَبلَ ذلــك مُخمِلًا

كذئب الغضى يمشي الضَّراءَ ويَتّقي [1]

فظَل كمَثل الخِشْف يرفَــع رأسهُ

وسائره مثــلُ التراب المدَقِّق [2]

وَجاء خَفِيّاً يَسْفِنُ الأرضَ بطنُه

تَرى التُّرْبَ منه لاصِقاً كُلَّ مُلْصَق [3]

فقال ألا هذا صِوارٌ وعَانَةٌ وَخِيطُ نعامٍ يَرتَعِي متفرِّق [4]

فقبل أن تتحرك قافلة الصيد بعثوا ربيئة يتحسس أماكن القطعان ، ليأخذوها على غرة ، وكان شخصاً ذكياً خفيفاً ، فمشى في خفية وحــذر ، فكان جسده كأنما التصق بالأرض ، ولا يرفع إلا رأسه ولا يكاد يُحرك إلا عينيه ينظر بها في كل اتجاه ،وسار يزحف زحفاً كأنما يمسح الأرض ببطنه ،حتى اكتسى جسمه بالطين والتراب ،ثم عاد فأخبرنا عن صيد سمين كثير ، قطيع من البقر ، وجماعة من الحمر ، وعــدد كبير من النعام ، وقد انتشرت كلها في مرعى خصيب .

* * *

---

(١) الربيء والربيئة : الشخص الذي يصعد إلى مرتفع لينظر مكان الصيد، ويعرف أحواله. مخملًا : ساتراً ومخفياً . الغضى : شجر ، وأخبث الذئاب ما نشأ في الغضى ، واتخذه مأوى له . الضراء : ما واراك من شجر . يمشي الضراء:يمشي مستخفياً فيه . تيقى : يخاف أن يظهر فيتستر بكل ما يمكن .

(٢) الخشف : ولد الظبية . وسائره مثل التراب : يعني أنه لصق بالأرض مبالغة في التخفي حتى لا ينفر الصيد .

(٣) يسفن : يمسح الأرض ببطنه ، يريد أنه كان يزحف زحفاً .

(٤) الصوار : القطيع من بقر الوحش . العانة : القطيع مـن حُمُر الوحش . والخيط من النعام : جماعة منه .

ويلاحظ في ركن الطرد والقنص أن الشاعر قد جاء فيه بصور متعددة لكثير من الظواهر ليخلع بذلك على عملية الطرد والقنص مظهر الفخامة ، والشدة ، والاهتمام بالنتيجة ، مما يتطلب استعداداً تاماً، وخبرة خاصة، وجهداً وفطنة : فواضح من صوره أنه كان يعد العدة لذلك بالخيل الجياد ، ذكور وإناث ، كريمة الأصل ، تلقى من العناية والاهتمام ما يجعلها متعة للعين ، ومثيرة للدهشة والإعجاب ، منظر ضخم ، يملأ النفس روعة ، ومظهر شديد البريق واللمعان ، وجسم كامل النمو ، متين البنيان ، وكل أعضائها من ناصيتها إلى حوافرها ، يدل على الكرم والعتق والرعاية التامة ، كما رأينا أنه في صوره الخاصة بالخيل كان يُعنَى بالناحية التي تعطي الحصان قوة في الحس ، وسرعة في الحركة ، وطاقة دائمة في النشاط ، مهما بذل من مجهود ، أو قام بعمل مضنٍ .

ثم تبدو عنايته هو نفسه بالطرد والقنص ، فإذا ما نوى القيام بهذا العمل صباحاً أعد العدة من الليل ، فيهيء الحصان بالسرج ، واللجام، ويمده بالطعام والشراب ، ويحفظه قريباً منه ليكون في متناول يده حينما يهم بالخروج ، ويجهز الأسلحة والمعدات اللازمة ، ويرتب القافلة كلها من غلمان ، وخدم ، وطهاة ليكونوا على أهبة الاستعداد ، وللبدء في الرحلة فور النداء بالتحرك .

ونراه دائماً يخرج لذلك في الصباح الباكر ، وقد يكون في الغلَس ، قبل أن تستيقظ الطيور من وكناتها ، ولا يعبأ في سبيل ذلك، بما يلقى من المتاعب والمشقات مهما كانت ، كأن ذلك كان شيئاً محبباً إلى نفسه، يضحي في سبيله براحته ، نظير ما يجد فيه من المتعة واللذة .

كما يلاحظ في صوره هنا أنه كان دائماً يحاول أن يظهر فيها بمظهر الصياد المحنك ، الخبير بأحسن وسائل الصيد ، وأساليبه ، فهو يفاجيء القطعان والوحدان ، فتشل حركتها ، وتفقد وعيها ، وتمتلىء فزعاً ورعباً ، وسرعان ما تخرُّ صرعى بسبب الهجوم المحكم، والطعنات القاتلة بدون تكرار . وبخاصة

هاديات القطعان والأسراب ، وهذه عادة تكون في مقدمتها لأنها أسرع وأقوى من جميع ما سواها ، فلا ترى على صدر الحصان إلا دماءها . كان غيرها يموت هلعاً وخوفاً . وتكثر الضحايا ، فتأ كل القافلة ثم تعود وهي تنوء بما تحمل من لحم الصيد المتعدد الأصناف .

ثم نراه في هذه الصور يظهر بمظهر الترف والرفاهية ؛ فهو يأخذ معه مساعدين من الفتيان ، والخدم ، والطهاة ، فاذا ما انتهى من رياضته ، قام كل منهم بعمله ، فالخدم يقيمون البيت ، الذي يجمع كل أسباب الراحة ، والطهاة يقومون بإعداد الطعام اللذيذ .

فشعر امرىء القيس في الطرد والقنص يدل على اهتمامه برياضة الصيد ، واعتنائه بالخيل ، وحبه للظهور بمظهر الخبير ، الفطن ، الجَلْد ، الميال إلى العظمة .

ويبدو أنه كان مغرماً بالصيد ، دقيق الملاحظة لكل ما في هذه الرياضة من أفعال تنبىء عن خبرة ودراية وفهم ، وقد أبدع تصوير هذه الأفعال ، كما رأيناه ولم يغفل أن يصور ما يروقه من مناظر هذه الرياضة ، فقد صور أشهر الرماة في عصره تصويراً دقيقاً وتتبع حركاته منذ البدء إلى النهاية ، فوصف منظره حين تهيأ للصيد ، ومنظر القوس والسهام ومجيء الوحش ورميه لها وكثرة الضحايا [1] . ولا شك أن ذلك يدل على شغفه بهذه الرياضة ، وحبه لمشاهدتها ومتابعتها إن لم يقم بها هو بنفسه .

---

(١) القصيدة ١٧ ص ١٢٣ .

الطبيعة في شِعْرِه

لقد حظيت الطبيعة بنصيب ملحوظ في شعره، فصور كثيراً من ظواهرها الحية والصامتة ، الساكنة والمتحركة ، وقد سبق أن رأينا لوحاته عن المرأة وما يتصل بها ، وعن خيل الصيد ، وما يحدث عادة في رحلة الطرد والقنص ذهاباً وإياباً . أما هنا فنرى صوراً لبعض الحيوان، والطير ، والنبات، والجماد، والصحراء ، والظواهر الجوية المختلفة ، مما أثار اهتمامه ، وحرّك مشاعره ، فسجل ذلك في شعره على النحو التالي :

الناقة [١] :

فَدَعْ ذا وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بجَسْرَةٍ
ذَمُول إذا صامَ النهارُ وهَجَّرا [٢]

تُقطِّعُ غِيطاناً كأنَّ مُتونَها
إذا أَظْهرتْ تُكْسَى مُلاءً مُنشَّرا [٣]

---

(١) ديوانه ، ص ٦٣ .

(٢) جسرة : ناقة نشيطة . تجسر على الهول . الذمول : السريعة السير . صام النهار : قام واعتدل كأنه قد أمسك عن الحركة . هجّر : اشتد حره .

(٣) الغيطان : جمع غائط ، وهو ما انخفض من الأرض . يريد أنها تقطع السهل والوعر . متونها : أي متون الغيطان وهو ما ارتفع من الأرض وصلب . تكسَي ملاء منشراً : انتشر عليها السراب وقت الظهيرة وتوهج الحر ، فكأنه كساها بالملاحف البيض .

بعيدةُ بــين المَنكِبَيْنِ كأنها

تَرَى عند مَجْرَى الضَّفْرِ هِرّاً مُشَجَّرا[1]

تُطَايِرُ ظُرّانَ الحصى بمَنَاسِمٍ صِلَابِ العُجَى مَلثومُها غَيْرُ أمْعرا[2]

كأن الحصى من خلفِها وأمامِها إذا نَجَلَتْهُ رِجلُها خَذفُ أَعْسَرا[3]

كأن صَلِيـــلَ المَرْوِ حينَ تُطِيرُه صَليلُ زُيوفٍ يُنْتَقَدْنَ بِعَبْقَرا[4]

ففي هذه الصورة يتخذها الشاعر وسيلة لتسلية الهم ، إذ تحمله إلى مكان آخر غير ذلك الذي أقض مضجعه ، لعل أن يجد هناك مــا ينسيه الحزن ، ويدخل السرور على قلبه ، وتظهر الناقة في الصورة ناقة نشيطة ، معتادة على تجشم الصعاب في أشد الأوقات ، ولا تبــالي بالسير في السهل والوعر ، وفي وقت الظهيرة حينما يتوهج الحر ، ويكسو السراب جميــع الأرجــاء ، وهي قوية الجسم ، متباعد ما بين كتفيها ، فصدرهــا متسع لا يضيق بالنفس مهما بذلت من جهد ، وفي منتهى النشاط ، فهي تجري كالخائف المرتاع ، فيتطاير

---

(١) بعيدة عن المنكبين : يقصد سعة صدرها وتباعد ما بين عضديها ، وذلك أمتن لهــا . الضفر : حبل مفتول يُشَدّ به البطان. المشجر : المربوط إليها ، يصف الناقة بالنشاط والسرعة كأنها قد رُبط هِرّ إلى حزامها فهو يخدشها وينفّرها .

(٢) الظران : جمع ظُرَر ، وهو الطويل من الحصى العريض المحدد ، ويكون في العادة لاصقاً بالأرض ؛ فإذا أطارته في جريهـا ، فهي لغيره أشد تطييراً . العُجَى : عصيب في اليدين والرجلين . أمعر : ذهب شعره . ملثومها : ما لثمته الحجارة من العجى ولصقت به وقرعَتْه. أي هي شديدة الخلق صلبة الجلد ، لا يؤثر في مناسمها الحجارة .

(٣) الخذف : الرمي بالحصى ونحوه . الأعسر الذي يرمي بيـده اليسرى ، ورميه في العادة لا يذهب مستقيماً ، شبه به تفريق الناقة للحصي . نجلته : فرّقته ورمت به .

(٤) الصليل : الصوت . المرو : الحجارة . تطيره : تفرقه . زيوف : رديئــة ، واحدها زائف وزيف ، وخصّها لأن صوتها أشد مــن غيرها لكثرة نحاسها . عبقر : موضع باليمن ، وكانت دراهمه زائفة .

الحصى من مناسمها ، ويتفرق في كل اتجاه ، دون أن تتأثر بذلك ، حتى شعرات مناسمها ما زالت كما هي ، وهذا لشدة خلقها ، وصلابة جلدها ، ويندفع الحصى من مناسمها بكثرة وتتابع حتى إنه ليحدث صوتاً عالياً شديداً .

وفي أكثر من صورة يصورها بانه لا وسيلة لنسيان هموم الهوى والحزن سوى السفر عليها في الغدو وفي العشى ، ثم يقارن سرعتها بسرعة حمار وحشي في منتهى النشاط والقوة (١) . وفي بعض الصور يظهر منظرها قبل السفر وبعده هكذا (٢) :

وَعَنْسٍ كألواح الإرانِ نَسأْتُها   عَلَى لاحب كالبُرْدِ ذي الحِبَرات (٣)

فغادرتُها من بَعد بُدْنٍ رَزِيَّةً   تغالَى على عُوج لها كَدِنات (٤)

في أول أمرها تكون ناقة طيبة شديدة ، صلبة قوية ، فيسير بها في شعاب الطرق وثنياتها ، وفي جهات نائية بلا انقطاع ، فتصبح بعد السمَن والقوة ، ، هزيلة نحيلة ، ولكن مهما نالها من الإعياء والتعب ، ففيها شدة وصلابة .

وقد استعان كذلك في تصوير سرعتها وخفة حركتها بالثور الوحشي (٥)

---

(١) ديوانه ص ٤٤ ،

(٢) ديوانه ص ٨١ ،

(٣) العنس : الناقة الشديدة · الإران ؛ تابوت لموتى النصارى ، نسأتها زجرتها بالمتسأة وهي العصا ، اللاحب الطريق البيّن ، الحبرات ؛ جمع حبرة وهي ثوب موشى ، وشبه الطريق بالبرد الموشى لما يتفرع منه ويتشعب من ثنيات الطرق واعتراض الخضرة وغيرها بين هذه الثنيات .

(٤) غادرتها : تركتها أي بعد السمَن والقوة . رذية . معيبة قد سقط لحمها ، لطول السفر عليها . تغالى : تسرع في الجري . عوج : يعني القوائم . كدنات : شديدة صلبة .

(٥) ديوانه ص ١٩٠ ،

والنعام [١] والسحاب [٢] . وعن قيمتها يقول [٣] :

مُهْرةُ الحاسِر والدَّارع ذي الْ ... بَيْضَةَ الملساء والحنْوِ الجَحِدْ [٤]
يَهْزِجُ الحالبُ مِن رَجَّتِها ... هَزِجَ الضِّبْعَانِ في العِيصِ الحَصِدْ [٥]
بَيِيدَ لا تَعْثُرُ بالرِّدْفِ ولا ... تُسلِمُ الحيَّ إذا الحيُّ طُرِدْ [٦]

فهي عظيمة القيمة في السلم وفي الحرب ، صلبة قوية تقوم مقام الحصن والسلاح لصاحبها ، وفي منتهى القوة والنشاط ، راكبها ورديفه في أمن واطمئنان ، وتعرف مكانتها في وقت الشدة . وهذه صورة توضح سروره وإعجابه بها [٧] .

ومُجِدَّةٍ نسَّأتُها فتكمَّشتْ ... رَتْكَ النعامة في طريق حامِ [٨]
تَخْدِي على العِلَّات سَامٍ رأسُها ... رَوْعاءَ مَنْسِمُها رَثِيمٌ دَامِ [٩]

---

(١) ديوانه ص ١٧٩ ،

(٢) ديوانه ص ١٧٠ ،

(٣) ديوانه ص ٢١٥ ،

(٤) الحاسر : الذي لا سلاح عليه . مهرة : أي تقوم مقام المهرة الجواد من الخيل . البيضة الخُوذة . الجَحِد : الصلب ، يريد الخشب .

(٥) يهزج : يصيح ويطرب . الرجّة : الضجة والجلبة ، يصف أصوات الإبل . الضبعان الذكر من الضباع ؛ والأنثى هي الضبع . العيص : ما التف حول النخلة أو الشجرة مما ينبت في أصولها من فراخها . ومن العشب وغيره . الحصد : الكثير الالتفاف .

(٦) بيد : غير . الرّدف : الذي يركب خلف الراكب الأصلي . طُرِد : يقصد إذا نزل به مكروه .

(٧) ديوانه ، ص ١١٥

(٨) مجدّة : فيها جدّ عند السير . تكمشت : أسرعت بلا فتور . رتك النعامة : تقارب خَطوها في سرعة . الحامي : الحار المتوهج .

(٩) تخدي : تسرع . العِلات : المشقات والآلام . السامي : المرتفع ، يريد أن عنقها طويل ورأسها مشرف ، وذلك دليل القوة والنشاط . روعاء : تفزع من كل شيء لنشاطها . الرثيم : الذي رثمته الحجارة أي جرحته فهو يسيل دماً .

جالت لتَصْرَعَني فقلتُ لها اقصِري   إني امرؤ صَرعْي عليك حرامُ[1]
فجُزيتِ خيرَ جزاء ناقةِ واحدٍ   ورجعتِ سالمةَ القرا بِسَلام[2]
وكأنما بـدرٌ وَصِيلُ كُتَيْفَةٍ   وكأنما من عاقلٍ أرْمَـام[3]

كلُّها جدّ ونشاط ، سريعة الجري ولا يعتريهـا فتور ، حتى في الحر المتوهج ، ومهما كان بها من مشقة وعلل ، فإنها تسير بقوة ورأسها مشرف ، وتزيد في جريها كأنما تريد أن تصرع راكبها ، فيدعو لها بالخير والسلامة ، فهي دائماً تقرب البعيد ، وتَصِل القاصي بالداني ، وتجعلهما كأنهما شيء واحد.

وواضح من صوره للناقة أنه كان يهتم بقوتها ونشاطها ، ويحاول دائماً في صوره أن يظهرها في صلابة وجدّ مهـما ألمّ بها من تعب ، أو أصابها من ألم كأنها لا تشعر بشيء منه ، كما صور نفسه بصورة الحاذق الماهر بركوب الإبل .

وقد كان يصدّر حديثه عن الناقة بأن يتخذها وسيلة لتغيير الجو الذي يعيش فيه ، وتناسي ما قد يكون هناك من هموم ، ولقاء كل مجتمع وسار . ومن ثم اهتم بتصويرها سريعة الجري كأنمـا تريد أن تحقق أمله بأقصى ما تستطيع .

ويبدو كذلك أن تأثره بالناقة كان أقل بكثير من تأثره بحصان الصيد ، فهناك تنويع في التصوير ، وتجسيم لأجزاء الحصان ، ومنظره ، وحركته ، ونشاطه ، مما يدل على أن ملازمته للحصان كانت أكثر من مصاحبته الناقة .

---

(١) صرعي عليك حرام : يقصد أنه ماهر في ركوب الإبل ، فهي لا تقـدر أن تصرعه . جالت : ذهبت في كل جهة وذلك لنشاطها وقوتها وسرعتها . وفي هذا البيت إقواء .

(٢) جزيت خير جزاء : دعاء لها بالخير . القرا : الظهر .

(٣) بدر وكتيفة وعاقل وأرمام : مواضع . كتيفة : من بلاد باهلة ، وعاقل : جبل قريب منها ، وأرمام متباعد عنها . وفي هذا البيت إقواء كذلك .

البقر الوحشي :

جاءت صور البقر الوحشي في أثناء صور الصيد ، وقد مر بعض نماذج منها فيما سبق ، ويظهر البقر الوحشي في الصور بلون أبيض ، وأذناب طويلة ، وفي أرجلها خطوط بيضاء وسوداء وفحلها ضخم قوي كأنه الحامي لها ، وحينما تكون في فزع تحدث أصواتاً مكتومة تتردد في الأرجاء ، وهي في العادة سريعة الجري ، وخير الجياد ما استطاع أن يصيدها .

الحمر الوحشية :

أما الحمر الوحشية فكان الحديث عنها يأتي في ثنايا صور الناقة لإظهار مدى قوتها ونشاطها وسرعتها . ففي صورة له عن حمار وحشي يشبه الناقة به ، يقول (١) :

بأدماءَ حُرْجُوجٍ كأن قُتُودَها ... عَلى أبلقِ الكَشْحَين ليس بمغْرَب (٢)
يُغَرِّد بالأسحار في كل سُدفةٍ ... تَغَرُّدَ مَيّاح النَّدَامَى المطَرِّب (٣)
أَقبُّ رَبَاعٌ من حَمِير عَمَــايَة ... يَمُجُّ لَعَاعَ البَقْل في كل مَشْرَب (٤)
بِمَحنيَّةٍ قد آزرَ الضالُ نَبْتَها ... مَجَرَّ جُيوشٍ غانمين وَخُيَّب (٥)

---

(١) ديوانه ، ص ٤٥ .

(٢) أدماء : ناقة بيضاء . حرجوج : طويلة على وجه الأرض . القتود : الرحل . المغرب : الأبيض الوجه والأشفار ، وهو عيب .

(٣) السدفة : الظلمة ، يقصد في الغسق . المياح : الذي يميــح في جانبيه ، أي يميل شدة ونشاطاً ، أو من السكْر . يريد أنه مثل الشاوب الذي يغني ويطرب الندامى .

(٤) أقب : ضامر البطن . رباع : أي متوسط السن . عمايــة : جبل بنجد ، وحميره أشد عَدْواً من غيرها . يمج لعاع البقل : يعيش في خصب ، حتى أنه إذا شرب خرج من فمه خضرة البقل الذي يأكله .

(٥) بمحنية : حيث ينحني الوادي ، وذلك أخصب موضع فيه . آزر : بلغ وساوى ، أو طال حتى بلغ مواضع الأزُر ، وهي الأوساط . مجر جيوش : في موضع تمر به الجيوش المنتصرة والمنهزمة ؛ ولذلك لا ينزله أحد خوفاً من الجيوش .

فهو حمار نشيط ، ليس به من عيوب الخلقة شيء ، ومن شدة نشاطه يصيح في الغسق بصوت يتردد في جميع الجهات ، بنغم منتظم ، كأنما هو نشوان ، سريع العدو ، قد ربي في خصب مقيم ، فظهرت عليه البهجة والنضرة ، إذ أنه يعيش في روضة نما عشبها وطال شجرها ، وتقع في طريق الجيوش ، فتحاماها الناس وابتعدوا عنها ، فتم خصبها ، وكثر نباتها ، وظهر أثرها في الحيوانات التي تعيش بها .

ويظهر العَيْر مع مجموعة من الأُتن في هذه الصورة (١) :

كأني وَرِدْفي والقرابَ ونُمْرُقي   على ظَهر عَيْرٍ واردِ الخَبرات (٢)
أرَنَّ عَلَى حُقبٍ حِيالٍ طَرُوقةٍ   كَذَوْدِ الأجيرِ الأربعِ الأشِرَاتِ (٣)
عنيفٍ بتجميع الضَّرائر فاحش   شتيم كذَلْقِ الزُّجِّ ذي ذَمرات (٤)
ويأكلن بُهْمَى جَعْدةً حَبَشيةً   ويَشربْن بَرْدَ الماءِ في السَّبَرات (٥)

(١) ديوانه ، ص ٧٩ .

(٢) القراب : غمد السيف . النمرق : الوسادة . عير : حمار وحشي . الخبرات : جمع خَبِرة ، وهي قاع يحبس الماء وينبت السدر . يعني أن هذا العير يرد هذه المواضع الخصبة ويرعى شجرها .

(٣) أرنّ : صوّت . حقْب : جمع حَقْباء وهي الأتان البيضاء العجز ، وذلك لكون البياض في موضع الحقيبة منها . الحيال : جمع حائل ، وهي التي لم تحمل . طروقة : يضربها الفحل . الذود من الإبل : من الثلاث إلى العشر ، ولعله يقصد هنا بالذود : الذب والدفع والمنع والتصرف بشدة . الأربع : يقصد العدد القليل . شبه الأتن ومرحها وتصريف الفحل لها وتحكمه عليها ، بعدد قليل من الإبل يتصرف فيهن ويقوم عليهن أجير .

(٤) عنيف : شديد ، فظ ، لا رفق عنده . كالضرائر : يعني هذا الفحل يعامل الأتن بعنف كما يفعل الرجل مع أزواجه . شتيم : قبيح ، سيء السلوك . ذلق الزج : حَدُّه . ذمرات : جمع ذمرة ، وهي الزجر مرة بعد مرة .

(٥) البهمى : نبت له شوك تَتَكَلَّف به الحمير وتصلح عليه . جعدة : ندية . حبشية : شديدة الخضرة ، تضرب إلى السواد . السبرات : جمع سبرة ، وهي الغداة الباردة ؛ يريد هذه الحمر الوحشية من قوتها وسمنها تشرب الماء البارد في الغدوات الباردة ولا تباليه .

فأوردها ماءً قليـــلاً أنيسُهُ ... يُحاذِرْنَ عَمْراً صاحِبَ القُتُرات[1]
تَلُتّ الحَصَى لَتًّا بِسُمْرٍ رَزِينَةٍ ... مَوَارِنَ لا كُزْمٍ ولَا مَعِرات[2]
ويُرْخِين أذْنابا كأنّ فُروعَها ... عُرا خِلَلٍ مَشْهُورَةٍ ضَفِرات[3]

فالحمار الوحشي يعيش في مواضع مخصبة ، ومعه مجموعة من الأتن حائلة ، يتحكم عليها ، ويتصرف فيها كما يشاء ، وذلك لفرط قوته ونشاطه ، فيعاملها بعنف ، ويضربها ، ويزجرها ، باستمرار ، ومع أنها تعيش في الخصب أيضاً، تأكل من خير العشب ، وتبدو قوية نشيطة ، تشرب الماء البارد في الأوقات الباردة ، فإن هذا العير كان يسومها سوء العذاب لتفوقه عليها كلها في القوة والنشاط ، وكان يسوقها أمامه سوقاً عنيفاً لترد ماء بعيداً ، لا يطرقه أحد خوفاً من الصيادين ، فتجري أمامه في سرعة فائقة حتى إنها كانت تسحق الحصى بحوافرها دون أن تتأثر ، وتتدلى من خلفها أذنابهـــا الطويلة الغزيرة الشعر . وواضح أن الاهتمام في هـــذه الصورة موجه إلى إظهار قوة العير ونشاطه وسرعته .

ولكن في صورة أخرى يظهر العير ، يطارد مجموعة من الأتن في منظر آخر غير ذاك الذي رأيناه ؛ تلك الصورة هي[4] :

---

(١) القترات : جمع قُتْـرة ، وهي مكان الصائد الذي يختفي فيه ليختل منه الصيد . عمرو (هذا) : رجل من بني ثعل من طيء ، كان من أرمَى العرب .

(٢) تلت الحصا : تسحقه بحوافرها لصلابتها وشدتهـا . رزينة : أي صلبة ، شديدة الوقع . موارن : قد مَرَنّ ، أي صارت شديدة لمساء . كزم : قصار متقبضة . معرات : ذهب مـــا حولها من شعر .

(٣) فروعها : أعالي أذناب هذه الحمير . خلل : جمع خِلة وهي (هنا) جفن السيف . مشهورة : موشاة مزخرفة . ضفرات : مفتولة .

(٤) ديوانه ، ص ١٨٠ .

أَذلك أمْ جَوْنٌ يُطارِد آتُناً   حَمَلْنَ فأرْبى حَمْلِهِنّ دُرُوصُ (١)

طَوَاهُ اضْطِمارُ الشَّدِّ ، والبطنُ شــازبٌ

مُعَـــالىً على المتْنَيْن فهو خَمِيصُ (٢)

بحاجِبِه كَدْحٌ مِن الضَّرْب جَالِبٌ   وحارِكُهُ من الكِدامِ حَصِيصُ (٣)

كأن سَرَاتَـــه وجُدَّةَ ظهرِهِ   كنائن يجري بينهن دَلِيصُ (٤)

ويأكلن مِن قوٍّ لُعاعـــاً ورِبَّةً   تجبَّرَ بعد الأكل فهو نَمِيصُ (٥)

يُطير عَفَاءً من نسيل كأنه   سُدُوسٌ أطارته الرياحُ وخُوصُ (٦)

تَصَيَّفَها حتى إذا لم يُسَغْ لهـــا   حَلِيٌّ بأعلى حائِلٍ وقَصِيصُ (٧)

---

(١) جون (هنا) : حمار في لونه بياض . الآتن : من الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهي أُتن أربى حملهن : أكثر حملهن . دروص : صغار .

(٢) الاضطمار : الضمر . الشد : العدو . شازب : ضامرة . معالى على المتنين : مرتفع المتن، وذلك من الضمر . الخميص : الضامر البطن .

(٣) الكدح : الأثر . جالب : عليه جُلْبة وهي قشرة على الجرح . الحارك : على الكاهل. الكدام : المعاضة ؛ والكدم : العض . حصيص : قد انحص شعره أي ذهب .

(٤) سراته : ظهره . الجدة : الخط الذي في وسط ظهره . الكنائن : جمع كنانه وهي جعبة السهام . دليص : ذهب له بريق . شبه الخط الذي على ظهره بجعاب مذهبة .

(٥) قو : موضع . اللعاع : القليل الرقيق من النبت والبقل . الربة : نبت ايضاً . تجبر : كثر نباته بعد أن كان قد أُكل . نميص : صغير الورق .

(٦) العِفاء : صغار الريش . النسيل : ما سقط من شعره . السدوس : الطيلسان ؛ وكذلك الخوص . شبه هذا العفاء به لأن فيه خضرة وغبرة .

(٧) تصيفها : يعني كان الحمار معها في هذا الموضع في الصيف . لم يسغ : لم يجد طعمه مستساغاً . حَلِيّ : نبت . أعلى حائل : موضع فيه هذا النبت . قصيص : شجر . يعني ما ساغ لهذه الحمير هذان النبتان .

تغالينَ فيه الجَزْءَ لولا هواجرٌ جنادِبها صَرْعى لهنَّ فَصِيص (١)

أرَنّ عليها قاربـــاً وانتَحتْ له طُوالةُ أرساغ اليدين نَحُوص (٢)

فأوردَها من آخر الليل مَشْرباً بَلائق خضْراً ماؤهنّ قَليص (٣)

فَيَشرَبْن أنفاساً وهنَّ خوائفٌ وتُرْعَدُ منهن الكُلَى والفرِيصُ (٤)

فأصدرهـــا تعلو النِّجادَ عَشيَّةً أَقبُّ كَمِقْلَاء الوَليد شخِيص (٥)

فَجَحْشٌ عَلى أَدْبارهنّ مُخلَّفٌ وجَحْشٌ لَدَى مَكَرِّهِنَّ وَقِيصُ (٦)

وأصْدَرَها بادِي النواجذ قارِحٌ أقبُّ كَكَرِّ الأَنْدَرِيِّ مَحِيص (٧)

---

(١) تغالين : أرادت أن تغلب وتنتصر . الجزء : أن تأكل الرطب ـ وهو الكلأ ـ في أيام الربيع فتستغني به عن شرب الماء . هواجر : جمع هاجرة وهي شدة الحر في منتصف النهار . الجنادب : ذكور الجراد ، والواحد : جُنْدُب . فصيص : صوت .

(٢) أرن عليها : صوّت أي نهق . قارباً : طالباً الماء، وقد دنا منه . انتحب له : اعتمدت وقصدت له . طوال : طويل أكثر من العادة . نحوص : لم تحمل .

(٣) البلائق : المواضع فيها المياه ، ويقال هي المياه الكثيرة . خضرا : صفة للمياه . قليص: كثير ؛ يقال : قَلَص الماء إذا كثر وارتفع وَجَمّ .

(٤) أنفاسا : جمع نَفَس . الفريص : جمع فرائص ، والفرائص جمع فريصة ، وهي اللحمة التي تلي الإبط ، وهي أول ما يُرْعَد من الحيوان .

(٥) فأصدرها : يعني الحمار أي بعد أن أوردها المـــاء أرجعها . النجاد : المرتفعات . أقب : ضامر البطن . الوليد : الغلام . المقلاء : العود الذي يضرب به الغلام القلة ، وهي لعبة لصبية الأعراب . وشبه ضمر الحمار بهذه القلة في الخفة . شخيص : مرتفع ،

(٦) على أدبارهن : يعني تخلفت الجحاش عنها . مَكَرّهن : رجوعهن . وقيص : قد سقط فاندقت عنقه .

(٧) أصدرها : رجع بها . بادي النواجذ : ظاهر النواجـــذ ، وهي الأضراس الأواخر . أقب : ضامر . قارح : مسن وهـــو أشد الحيوانات . الكَرّ (هنا) : الحبل . الأندري : المنسوب إلى الأندر ؛ والأندر بالشام كالبيـــدر بالعراق ، والجرين بالحجاز ، والمربد بالبصرة . يقصد أن هذا الحمار مفتول كحبل الرجل الأندري . محيص : شديد الحبل .

ففي هذه الصورة يظهر عير أبيض اللون ، يطارد عدداً من إناث الحمر الوحشية ذات أولاد صغار ، وهو ضامر البطن ، عالي الظهر ، وبه آثار ظاهرة من المعارك التي يخوضها ، ولكن جسمه شديد اللمعان والبريق ، وكل هذا القطيع يعيش في خصب ، وتتنقل حيث يطيب لها المرعى صيفاً وشتاء ، ويدعو العير القطيع فتهرع إليه الأتن ، ويسوقها آخر الليل إلى مكان الماء لتشرب ، فتصل وتبدأ الشرب ، ولكن الفزع كان مستولياً عليها ، فتتقطع أنفاسها في الشرب، وترتعد فرائصها وكُلاها ، ثم يعود بها ثانية بين المرتفعات والمنخفضات ، فتجتازها في سرعة خاطفة ، وقد تركت خلفها الجحاش التي سقط بعضها فاندقت عنقه ، وعاد بها العير وهو في منتهى القوة والنشاط .

وواضح من صور الحمار الوحشي أن المقصود بها إظهار قوته وشدته ، وسرعته في الجري ونشاطه الدائم ، كما نرى أن هناك تطوراً واضحاً في طريقة إبراز هذه الناحية في الصور ، فبينما نرى الصورة الأولى مختصرة ، نجد الأخريين فيهما إظهار لملامح كثيرة ، بتفصيلات أوفى وأدق ، وربما كان ذلك ناشئاً عن الخبرة التي تكتَسَب عن طريق تكرار التجارب .

النعام :

وقد استغلت صورة الذكرَ من النعام وهو عائد إلى البَيْض من مكان بعيد لتصوير سرعة الناقة ، ففي إحدى الصور يقول الشاعر [1] :

كأني ورَحْلي والقِراب ونُمْرُقي   على يَرْفَئِيٍّ ذِي زوائدَ نِقْنِقِ [2]

---

(١) ديوانه ، ص ٧٠ .

(٢) القراب : وعاء يتخذ من أديم ، وأصله الغلاف ، ومنه قراب السيف ، وقراب السكين ونحو ذلك . النمرق : الميثرة التي يوطأ بها الرحل، وأكثر ما يقال النمرق والنمرقة في الوسادة. اليرفئي : الظليم ، وهو ذكر النعام . ذي زوائد : يعني زوائد في رجليه . النقنق : اسم من اسماء الظليم تسمّى به من النقنقة وهي صوته .

تَروَّحَ من أرضٍ لأرضٍ نَطِيَّةٍ لِذِكْرَةِ قَيْضٍ حول بَيْضٍ مُفَلَّقِ[1]
يَجُول بآفاق البِـــلادِ مُغَرِّباً وتَسحَقُه ريحُ الصَّبا كلَّ مَسْحَقِ[2]

فهذا الظليم قد ذهب على وجهه بعيداً عن مكانه الذي يقيم فيه ، وفي المساء تذكر بيضه فعلاه الخوف والهلع ، وانطلق مسرعاً من أرض بعيدة ، فأخذ يجوب الآفاق ، والريح تدفعه الى أمكنة سحيقة . وهكذا كل الصور التي تتحدث عن ذكر النعام وسرعته إنما تصوره وهو راجع في العشي إلى المكان الذي فيه بيضه . وذلك لما يبدو عليه حينئذ من النشاط الجم والسرعة الفائقة .

العُقاب :

وقد استخدم الشاعر صورة العقاب في صور الحصان ، وقد أوردنا منظراً لها في أول صورة استعرضناها من صور الحصان ، وهذه صورة أخرى استغلها الشاعر كذلك في تصوير الحصان [3] :

كأنهـــا لِقْوَةٌ طَلُوب كأن خُرطُومَها مِنْشالُ[4]
تُطعِمُ فرخـــاً ساغباً أَضَرَّ به الجوعُ والإحثالُ[5]
قُلوبَ خِزَّان ذي أَوْرَال قُوتاً كما يُرزَقَ العيالُ[6]

---

(١) تروّح : راح هذا الظليم إلى بيضه في المساء . لأرض : إلى أرض . نطيـــة : بعيدة . قيض : فلق البيض وقشوره .

(٢) يجول : من الجولان ، وهو الدوران ، والذهـــاب والمجيء . آفاق البلاد : نواحيها ، مفردها أفق . مغرباً : مبعداً ذاهباً . تسحقه : تبعده وتذهب به .

(٣) ديوانه ، ص ١٩٢ .

(٤) اللقوة : العُقاب . المنشال : حديدة ينشل بها كالخطاف .

(٥) ساغباً : جائعاً . الإحثال : سوء الغذاء .

(٦) خزان : جمع خزَز ، وهو ولد الأرنب . ذو أورال : هضبة أو مكان .

فالعقاب هنا في صورة الجوارح ، خرطومها حاد مقوس كالخطّاف، ولها فراخ أضرها الجوع وسوء الغذاء ، فتخرج مستجمعة قواها ، لتنقض على فريستها بسرعة وقوة في أمكنتها المعهودة ، ثم تعود بعدد كبير من الضحايا يضمن لعيالها قوتاً كافياً ، ورزقاً دائماً .

الصقر :

الصقر مشهور بالقوة والشدة وسرعة الانقضاض على فريسته، وقد استخدم الشاعر ذلك في تصوير حصان يركبه الغلام الذي يساعده في رحلات الصيد ، من ذلك مثلاً [(١)] :

كأنَّ غُلامي إذ عَلا حالَ مَتْنِهِ ... على ظهرِ بازٍ في السماءِ مُحلِّقِ [(٢)]

رأى أرنباً فانقضَّ يَهوِي أمامَه ... إليها وجَلَّاها بطرفٍ مُلَقْلَقِ [(٣)]

فالصقر وهو يحلق في السماء يتلمس فريسة له في الأرض ، فاذا ظهرت له انقض عليها ويسرع نحوها بنظر حاد ولا يغمض جفنه حتى يفترسها .

الليل [(٤)] :

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سُدُولَه ... عَليّ بأنواعِ الهُمومِ ليبتلي [(٥)]

---

(١) ديوانه ، ص ١٧٣ .

(٢) حال متنه : حال الفرس ، وهو موضع الراكب ؛ يقول إن غلامي حينما ركب الحصان فمر به سريعاً كأنما كان على ظهر باز قد حلـّق في السماء ، فهو يطير طيراناً شديداً .

(٣) رأى أرنباً : أي البازي . انقض : انحط عليها في هجوم شديد . يهوي : يدنو من الأرض . جلاها : نظر إليها . طرف : نظر . ملقلق : حاد لا يفتر .

(٤) ديوانه ، ص ١٨ .

(٥) سدوله : ستوره . ليبتلي : ليختبر ما عنده من الصبر والجزع .

فقلتُ له لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبه وأرْدَفَ أعجازاً وناءَ بِكَلْكَلِ[1]

ألا أيُّها اللَّيلُ الطويلُ ألا انْجَلِي بِصُبْح وما الإصباحُ فِيك بِأَمثَلِ[2]

فيَا لَكَ مِن ليلٍ كأنَّ نجومَه بكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيذْبُلِ[3]

كأن الثريَّا علِّقتْ في مَصَامِها بأمراس كتَّانٍ إلى صُمٍّ جَنْدَلِ[4]

إن الصورة هنا صورة ليل طويل ثقيل لا نهاية له ، وهو ليل مهموم حزين يائس لا أمل له في ليل ، ولا في نهار ، وتتضمن هذه اللوحة عدة صور لمناظر ، كلها تؤكد هذه الحقيقة ، فقد نشر الليل ألويته على الكون ، وفيه صاحبنا ، فاحتواه في ظلمته ، وابتلعه في جوفه ، كأنه بحر تبتلع أمواجه كل ما تصل إليه ، وتقذف به في سراديب من متاهات ، تُفقد الوعي ، وتُعمي العين والفؤاد ؛ ويتطاول الليل ، وتمتد نواحيه ، ثم يستجمع كل أثقاله وأحماله ، فيلقي بها على مَنْ تحته ، ويضغط بقوة وعنف ، ويستقر فوقه ، فيخنق أنفاسه ، وتبلغ الروح الحلقوم ، ويخيل إليه أنه بدأ يتحرك ،فيضرع إليه أن يخفف وطأته كي يستطيع ، أن يتنفس ، ويسمح للضوء بتخلل جنباته ، لعله يرى بصيصاً من نور يبدد ما حوله من ظلمات ، وإن كان الأمل في ذلك ضعيفاً ! فقد لزمته العلل والأسقام وسرادق الهموم كان مشدوداً

---

(١) تمطى : امتد . ناء : نهض . الكلكل : الصدر . الصلب : الظهر ، وفي الكلام تقديم وتأخير ، والأصل : ناء بكلكل وأردف أعجازاً .

(٢) انجلى : انكشف . الإصباح : ظهور الصباح . وما الإصباح فيك بأمثل : أي أنا أبداً مهموم في الليل وفي النهار .

(٣) المغار : الشديد الفتل . يذبل : اسم جبل . يعني : كأن هذه النجوم قد ربطت بحبل قوي محكم الفتل في هذا الجبل ؛ يشير بذلك إلى طول الليل كأنه لا يتحرك .

(٤) مصام الثريا : مكانها الذي لا تبرح منه كمصام الفرس ، وهو مربطه . الأمراس : جمع مَرَس ، وهو الحبل القوي . جندل : صخر . صم : جمع أصم ، ويقصد صخوراً صماء أي قوية صلبة لا تتكسر ولا تتفتت .

بجبال محكمة الفتل ، وقد ثبتت بأوتاد هي جبال من صخور ، فبدا ثابت البنيان ، وطيد الأركان ، لا أمل في زحزحته ، وقد وقف بكل ما فيه عن الحياة والحركة .

البرق والمطر والنبات (١) :

أَحارِ تَرَى بَرْقاً كأنَّ وميضَه كَلَمْعِ اليدينِ في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (٢)

يُضيءُ سَناه أو مصابيحُ رَاهبٍ أَهانَ السليطَ في الذُّبالِ المفتَّلِ (٣)

قعدتُ له وصُحْبَتي بين حَامِرٍ وبين إِكامٍ بُعْدَ ما مُتأَمَّلِ (٤)

وأضحَى يَسُحُّ الماءَ عن كل فِيقَةٍ
يَكُبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٥)

وتَيْماءَ لم يترك بها جذعَ نخلةٍ ولا أُطماً إلَّا مَشِيداً بِجَنْدَلِ (٦)

---

(١) ديوانه ، ص ٢٤ .

(٢) أحارِ : يا حارث ، فرخم . وميضه : خطرانه وبريقه . كلمع اليدين : كحركة اليدين وتقليبهما . الحبي : ما حَبَا من السماء ، وهو العارض المرتفع ، وقيل هو المتداني . المكلل : المنتشر في جوانب السماء ، وبعضه فوق بعض .

(٣) السنا : الضوء . السليط : الزيت . الذبال : الفتائل . أهان السليط : أي أكثرَ منه ، لأنه لا يبخل به في سبيل الحصول على ضوء قوي .

(٤) حامر : موضع في بلاد غطفان . قعدت له : جلست أنظر إلى البرق من أين يجيء بالمطر . بُعْد ما متأمل : يا بُعد ما تأملت أي تبينت .

(٥) يسح : يصب . الفِيقة : ما بين الحلبتين ، كأنه يحلب حلبة ويسكن ، ثم يحلب أخرى أي أن السحاب يسح المطر ويسكن ، ثم يسح ، وذلك أغزر . الدوح : جمع دَوْحة ، وهي الشجرة الكثيرة الورق والأغصان . الكنهبل : ما عظم من شجر العضاه ، أي إن السيل يقلع الكنهبل فيلقيه كأنما يخر على الأذقان . عن كل فيقة : بَعد كل فيقة .

(٦) تيماء : من أمهات القرى . الأطم : البيت المسقّف المسطّح المبني بالحجارة والجصّ . جندل : صخر . يعني لم يسلم من هذا السيل إلا البيوت المشيدة بالصخر .

كأنّ طَمِيّة المجَيْمِر غُــدْوَةً من السَّيْلِ والغثّاء فَلْكَةُ مِغْزَلِ (١)

كَأنّ أباناً في أفانينِ وَدْقِــهِ كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (٢)

وألْقَى بصَحراءِ الغَبيط بَعاعَه نزولَ اليَماني ذي العِيابِ المخوَّلِ (٣)

كأن سِباعاً فيه غَرْقَى غُدَيَّةً بأرجائه القُصْوَى أنابيشُ عُنْصُلِ (٤)

عَلى قَطَنٍ بالشَّيْم أيمَنُ صَوْبِهِ وأيسَرُهُ على السِّتَار فَيَــذْبُلِ (٥)

وألْقَى بِبُسْيانٍ مَعَ الليل بَرْكَهُ فَأنزَلَ مِنْهُ العُصْمَ من كل مَنْزِلِ (٦)

---

(١) طمية : اسم جبل . المجيمر : أرض لبني فزارة . الغثاء : ما يحمله السيل ويجيء معه فوق الماء . أي إن هذا الجبل حينما أحاط به السيل والغثاء كان يشبه فلكة المغزل .

(٢) أبان : جبل . أفانين : أنواع . الودق : المطر . البجاد : كساء مخطط . مزمل: ملتف. شبه الجبل حين غطّاه السيل والغثاء وأحاط به بشيخ في كساء مخطط ، وذلك لأن رأس الجبل يضرب إلى السواد والماء حوله أبيض .

(٣) الغبيط : نجفة يرتفع طرفاها ويطمئن وسطها ، وهي كغبيط القتب . صحراء الغبيط : الحزْن ، وهي أرض بني يربوع . البعاع : الأثقال وما يحمل من متاع ، وضربه مثلا للسحاب . العياب : جمع عيبة ، وهي المتاع . المخول : الذي معه الخول يعني أن هذا المطر قد عم الأمكنة فأنبت بها العشب والزهر بألوان مختلفة كألوان الثياب المختلفة ينشرها كبار تجار اليمن المشهورين بأنواع البرود والمتاع والطيب .

(٤) غدية : في الصباح الباكر . أرجائه : نواحيه، وواحد الأرجاء رَجا . العنصل : بصل بري يعمل منه خل ، وهو شديد الحموضة لا يُقدَر على أكله . الأنابيش : جمع نبش وأنباش ، وهي ما تُنبش وتُخرَج من تحت الأرض . شبه السباع الغرقى في نواحي السيل بأصول العنصل التي يجمعها الصبيان للّعب بها ، ثم يرمونها .

(٥) قطن : اسم جبل في بلاد بني أسد . الشيم : النظر إلى البرق والمطر ليعلم مكانهما . الصوب : نزول المطر . الستار ويذبل : جبلان مما يلي البحرين . يعني حينما نظر إلى المطر كان أيمنه على قطن ، وأيسره على جبلَيْ الستار ويذبل .

(٦) بُسْيان : جبل . بركه : صدره . يقصد أنه نزل بهذا الموضع . العصم : الأوعال ، وهي تيوس الجبل ؛ والعُصْمة : بياض في أوظفة أيديها .

في هذه الصورة نراه جالساً مع صاحبه المسمى بالحارث ، وكان السحاب قـــد انعقد في السماء فسدّ الأفق ، وتراكمت طبقاته بعضها فوق بعض حتى صار كثيفاً ، فأخذ صاحبنا يوجه طرفه نحو هذا العارض المنتشر ، فإذا بالبرق يضيء سناه الأرجاء في لمحات خاطفة ، وترعد السماء وتزمجر ، ثم تنفتح عن أفواه كالقِرب ، ويهطل المطل بغزارة على دفعات ، كأنما يستجمع قواه في كل مرة ، ثم يلقي بها دفعة واحدة ، فاندفع السيل بقوة جارفة من رءوس الجبال ، حتى اقتلع الأشجار الضخمة وألقاها رأساً على عقب ، وملأ البقـاع والأودية ، وعم جميع الأمكنة ، فهدم البيوت ، وأزال المنازل ، ولم ينـج منه إلا ما كان مشيداً من صخر ، وحمل السيل معه كثيراً من الغثاء ، فغطى سفوح الجبال ومنحدراتها فبدت منبعجة الأوساط ، وأرغم السيل الوحوش المعتصمة بالجبال على الهرب فراراً من الموت ، ولكن التيار لشدته جرف معه كثيراً من السباع فأغرقها ..... ويشفى الغيث غلة التربة ، ويطفىء ظمأها ، فتنتعش وتبتهج ، وتتحرك فيها أسباب الحياة ، ثم تنفرج أساريرها عن مروج يانعة ، ورياض فيحاء، يكسوها العشب حللاً سندسية ، موشاة بأزهار بديعة الألوان .

وهذه صورة أخرى للغيث [1] :

دِيمةٌ هَطْلاء فيهـــا وَطَفٌ طَبَقُ الأرضِ تَحرّى وتَدُرّْ [2]
تُخرِج الودَّ إذا ما أَشْجَذَتْ وتواريه إِذا ما تَشْتَكِرْ [3]

---

(١) ديوانه ، ص ١٤٤ .

(٢) ديمة : مطر دائم . هطلاء : كثيرة الهطل ، وهو صب الماء . الوطف : الدنو من الأرض. طبق الأرض : تطبّق الأرض وتعمّها كلها لكثرة مطرها . تحرى : تتعمد المكان وتثبت فيه . تدر : يكثر ماؤها وتصبه صباً .

(٣) الود : الوتد ، وقيل جبـــل . وتخرجه : يعني تظهره وتبينه . أشجذت : سكنت . تشتكر : يكثر مطرها . تواريه : تخفيه .

وتَرى الضَّبَّ خفيفاً ماهِراً ثانياً بُرْثُنَه ما ينْعَفِرْ [(١)]
وتَرَى الشجْراء في رَيِّقهِ كرُءوسٍ قُطِّعَتْ فيها الخُمُرْ [(٢)]
ساعةً ثم انتحاهَا وَابِلٌ ساقِطُ الأكناف واهٍ مُنْهَمِرْ [(٣)]
راحَ تَمْرِيه الصَّبَا ثم انْتَحَى فيه شؤبوبُ جَنوبٍ مُنْفَجِرْ [(٤)]
ثَجَّ حتى ضاق عن آذِيِّهِ عَرْضُ خَيْمٍ فجُفافٍ فَيُسُرْ [(٥)]

تلك صورة عاصفة ممطرة بدأت بمطر غزير سال في البطاح وغمر الوديان، حتى غطى كثيراً من الأشياء، وجعل الحيوانات تولي فزعة هاربة، وارتفع إلى مسافة كبيرة لدرجة أن الأشجار لم يظهر منها إلا رؤوسها، وبعد فترة أعقبه وابل منهمر جاءت به ريح عاصفة، فانسابت منه فيضانات عارمة، وسيول جارفة، ملأت كل الجهات، وضاقت عنها جميع الأمكنة.

ولا شك أن شعره في الطبيعة يدل على قوة الملاحظة عند الشاعر،

---

(١) ماهراً: حاذقاً بالجري. والبرثن: هو بمنزلة الأصبع للانسان. ما ينعفر: لا يصيبه العفر وهو التراب. يعني أن الضب يثني برثنه فلا يلتصق بالتراب لخفته ومهارته في العَدْو.

(٢) الشجراء: اسم لجمع الشجر الكثير، وهي أيضاً الأرض ذات الشجر الكثير. ريقه: أوله. الخمر: العمائم. يقصد أن الأرض ذات الشجر الكثير قد غمرها المطر فلا يبدو منها إلا أعالي شجرها فتظهر كأنها رؤوس مقطوعة، وعليها العمائم.

(٣) ساعة: يعني استمرت الديمة ساعة. انتحاها: قصدها واعتمدها. الوابل: المطر الشديد. الأكناف: النواحي. ساقط الأكناف: قريب دان من الأرض. واهٍ منهمر: متخرق متشقق يسيل منه الماء.

(٤) راح: عاد في آخر النهار. تمريه: تحركه، وتدفعه، وأصله من مَرْيِ الضَّرع، وهو مسحه ليَدُرّ باللبن. وكانت الصبا أحسن الرياح عندهم وأجلبها للخير. الشؤبوب: دفعة المطر وشدته. منفجر: متفتح يسيل منه الماء. وخص الجنوب مع الشؤبوب لأنها تأتي بأشد المطر وأغزره.

(٥) ثج المطر: صب صباً. آذيّه: كثرة موجه، ولا يكون الموج إلا في الماء الكثير. خيم وجُفاف ويسر: مواضع، يريد أنها ضاقت عن كثرة المطر.

ورغبته في إعطاء صورة دقيقة لما يعرض صورته . وقد يكون كثير مما وصفه من ظواهر الطبيعة غير مقصود لذاته كتصويره للبقر الوحشي فقد اتخذه وسيلة لبيان سرعة الحصان ، والحمار الوحشي الذي بيّن به مدى قوة الناقة وسرعتها ، وكالحديث عن الصقر والعقاب ، فقد جاء تصويرهما لإظهار مدى القسوة في الانقضاض على الفريسة لديهما ولدى حصان الصيد ، ولكن مع أن التصوير كان موجهاً إلى إبراز ناحية معينة ، فإنه يدل على فطنة الشاعر ودقة الملاحظة لديه .

وغني عن البيان أن صور الحيوانات التي استعرضناها للشاعر تدل على أن انفعاله بظواهر هذه الحيوانات لم يكن واحداً فيها كلها ، ففي بعضها يبدو تأثره أكثر منه في بعضها الآخر ، فتصويره لحصان الصيد يفوق تصويره للناقة كما أن صور البقر والحمر الوحشية أكثر دقائق وتفصيلات من صور العقاب والصقر ، وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى أن تجاربه مع بعضها كانت أكثر وأشد تأثيراً من تجاربه مع بعضها الآخر .

وتتجلى دقة الملاحظة والتصوير الدقيق في صور البرق والمطر والغيث . كأنما كان ينظر إلى الأحوال الطبيعية وقت حدوثها ، ثم ينقلها جزئية جزئية فكانت في غاية الدقة ، وزادها حسن التعبير قوة وروعة .

الفخرُ في شِعْرِه

جـــاء له في الديوان شعر قليل في الفخر ، ولكن كله تقريباً في الفخر الشخصي ، يتغنى فيه بنفسه وأخلاقه وصفـاته التي كان يراها من المفاخر ، ولكن يبدو أن أشعاره في ذلك قيلت كلهـــا في ظروف غير عادية ، أو لم يكن الشاعر وقتهـــا في حال رضىً نفسي ، بل كانت في حالِ إثارة ، أو غضب ، أو محنة ، أو تهديد ، أو ندم وتحسر . حتى إن ما تنسبه إليه الأخبار في هذا الميدان وتدّعى أنه قاله وهو في أول صباه يظهر أنه كان في وقت عصيب كذلك . فمما جاء في أخباره أن أباه لمـا غضب عليه وتألم من سلوكه ، دعا حاجبه ، وأمره أن يأخذ امرأ القيس إلى مكان بعيد ويقتله ، فأخذه الحاجب إلى قمة جبل شامخ وتركه هناك ، فقال امرؤ القيس [1] :

فإمّا تَرَيْني اليومَ في رأس شاهق فقد أغتدي أقود أَجْردَ تائقا [2]

وقـــد أذعَرُ الوَحْشَ الرِّتاعَ بقَفْرةٍ

وقـــد أجتلي بيضَ الخدودِ الروائقا [3]

---

(١) ديوانه ، ص ١٩٥ .

(٢) شاهق : جبل مرتفع . أجرد : قصير الشعر . التائق : الكامل من كل شيء ، ولعله يريد هنا اكتمال سلاحه عليه .

(٣) أذعر : أفزع . الرتاع والرواتع والراتعات : اللواتي يرتعْن ، وأصله من الرعْي ، وكثر ذلك في الكلام حتى صيروه إلى اللهو واللعب . أجتلي : أنظر وأستمتع . الروائق : جمع رائقة ، وهي الحسناء المثيرة للإعجاب .

فقد توقّع لنفسه أن يصبح فارساً يقود جياد الخيل ، وصياداً للوحوش ، وعاشقاً للحسان . وفي إحدى المناسبات يلخص مفاخره في قوله [١] :

كأنِّيَ لم اركبْ جواداً لِلَذَّةٍ ولم أتبطَّنْ كاعِباً ذات خَلْخَال [٢]

ولم أَسْبَأ الزِّقَّ الرَّوِيَّ ولم أقلْ لِخَيلي كُرِّي كَرَّةً بعد إجْفَال [٣]

ويبدو أنه قال ذلك حينما ذهب عنه الشباب ، وتغيرت به الحال ، فقال إنه قد صارت حاله كأنه لم يركب الخيل للذة الصيد ، ولم يستمتع بالكواعب ذوات الحليّ ، ولم يشتر الزِّقّ المملوء بالخمر ، ولم يعطف في إثر من انهزم من أصحابه على العدوّ ويكر عليهم مهاجماً .

وبعد أن حدثت العداوة بين كندة وأسد ، امتطى راحلته ، وسار معجباً بنفسه ، فتغنى قائلاً [٤] :

عَلَيْها فتىً لم تَحْمِلِ الأرضُ مِثْلَه أَبرَّ بميثاقٍ وأوفى وأصْبَرَا [٥]

هو المنزِلُ الأُلَّافِ من جَوِّ ناعط

بَنِي أَسَدٍ حَزْناً من الأرضِ أوْعَرا [٦]

فهو هنا يدعي لنفسه الفتوة ، والوفاء بالمواثيق ، والصبر ، والشجاعة . ويتذكر غزوة كان قد انهزم فيها مع قومه ، فيقول [٧] :

---

(١) ديوانه ، ص ٣٥ .

(٢) أتبطن : أستمتع وأستلذ . الكاعب : هي التي نتأ ثدياها .

(٣) أسبأ : أشترى . الكر : الهجوم . إجفال : انهزام .

(٤) ديوانه ، ص ٦٥ .

(٥) عليها : يعني على الناقة .

(٦) ناعط : حصن بأرض همدان. جوّ : أرض باليمامة. الحزْن : الغليظ من الأرض الخشن. يوعد بني أسد بطردهم وإنزالهم في أماكن قفرة وعرة .

(٧) ديوانه ، ص ٧٠ .

وكنّا أُناساً قبل غزوة قَرْمَلٍ ... وَرِثنا الغِنَى والمجدَ أكبرَ أكبرا (١)
وما جَبُنَتْ خيلي ولكن تذكَّرت ... مَرابِطَها من بَرْبَعِيص و مَيْسَرا (٢)
ألا رُبَّ يومٍ صالحٍ قد شَهِدْتُه ... بتاذِفَ ذاتِ التَّلِّ من فوق طَرْطَرا (٣)
ولا مِثْلَ يومٍ في قُذارانَ ظِلْتُه ... كأني وأصحابي على قرن أعْفَرا (٤)
ونشربُ حتى نحسِبَ الخيلَ حَوْلَنا ... نِقاداً وحتى نَحسِبَ الجَونَ أشْقَرا (٥)

وهو هنا يحاول أن يجد عذراً للهزيمة التي حاقت بهم في هذه الموقعة ، فيتغنى بأمجادهم الماضية ، ويذكر السبب فيما حدث لهم ، ثم يتحدث بأمجاده هو ، فيدّعي أنه ذو أصل كريم ، وشرفه متوارث قديم ، لم يؤثر فيه ذم ، ولا انتقص منه عيب ، وأن ما نالهم في موقعة قرمل لم يكن لجُبْن أدركهم ، أو ضعف استولى عليهم ، ولكنهم ذكروا المواطن والأهل ، وحنّت نفوسهم إليها ، فرجعوا عن العدوّ حرصاً على اللحاق بالأهل . وواضح أن ذلك اعتذار عجيب ، فهو عليهم لا لهم ، ويدل على منتهى الجبن والضعف . ثم يدّعي بعد ذلك أنه كثيراً ما شهد مواقع حربية وكان النصر حليفه فيها كلها ، حتى إنهم بعد كل انتصار كانوا يشربون ابتهاجاً بما نالوا ، ويسرفون في الشراب حتى يُذهِب السكْر عقولَهم ، فيفقدوا وعيهم وإدراكهم ، ويروا الخيل غنماً صغاراً ، والأسود أبيض .

وتحدث بينه وبين سُبَيع بن عوف بن مالك بن حنظلة جفوة ، ويهدده

---

(١) قرمل : ملك من ملوك اليمن ، كان قد غزا قوم امرىء القيس فظفر بهم وهزمهم . أكبر أكبر : يعني أنه قديم متوارث للأبناء عن الآباء الكبار الكرام .
(٢) مرابط : المواضع التي تربط فيها . بربعيص وميسر : موضعان .
(٣) صالح : فيه خير وصلاح ، يعني أيام الحروب وما نال فيها من الظفر .
(٤) يوم قذاران : يوم كان ظفره فيه عظيماً . أعفر : ظبي أبيض يخالط بياضه حمرة .
(٥) النقاد : غنم صغار . الجون (هنا) الأسود .

سُبَيع ، فيجيبه امرؤ القيس قائلاً [١] :

أقصِر إليكَ من الوَعيد فإنّني ... مِمّا أُلاقي لا أشُدُّ حِزامي [٢]
وأنا المُنبِّهُ بَعْدَ ما قد نَوَّموا ... وأنا المُعالِنُ صفحةَ النُّوَّام [٣]
وأنا الذي عرفتْ معدٌّ فَضلَه ... ونَشَدتُ عن حُجرِ بنِ أمِّ قَطام [٤]
خالي ابنُ كبشةَ قد علمتَ مكانَه ... وأبو يزيدَ ورَهطُه أعمامي [٥]
وإذا أُذيتُ ببلدةٍ ودَّعتُها ... ولا أُقيم بغير دارِ مُقَام [٦]
وأُنازِل البطلَ الكَريهَ نِزالُه ... وإذا أُناضِلُ لا تَطيشُ سِهامي [٧]

فهو يدعي أنه بطل لا يغمض له جفن إذا نام غيره ، ويواجه الأعداء بالقتال ، ويجاهرهم بالعداوة ، وقد عرفت جميع القبائل فضله ، ونسبه كريم ، وشرفه أصيل ، ولا يرضى بالذل أو المهانة ، وينازل الأبطال الصناديد ، والنصر حليفه على الدوام .

---

(١) ديوانه ، ص ١١٧ .

(٢) أقصر إليك من الوعيد : كُفّ وارجع عن تهديدك إياي ، ووعيدك لي . مما ألاقي : مما لاقيت من الأمور ، وجربت من الناس ، وما يحدث لي . لا أشد حزامي : لا أتشدد لذلك ، ولا أتلهب ، يعني لا يعتريه الهم ، ولا تشتد به الحيرة ، ولا أتصرف تصرفات لا تليق بالأبطال ، فإني قد تمرست في تجارب الحياة المختلفة ، فأصبحت شخصيتي قوية .

(٣) المنبه : لا يغمض جفنه ولا ينام . المعالن : الذي يواجه العدو ، ولا يأخذهم على غرة . صفحة النوام : يريد وجوههم .

(٤) نشدت عن حجر : رفعت وفخرت به .

(٥) ابن كبشة وأبو يزيد : من أشراف كندة .

(٦) أذيت : أصابني أذى أو مكروه . دار مقام : دار تصلح للإقامة .

(٧) أنازل البطل : أدعوه إلى النزول للقتال . الكريه نزاله : المكروهة مقاتلته لجرأته وشدته على القِرْن .

وفي لحظة من لحظات الحزن والهم ، قال عن نفسه [1] :

قد أقطع الأرض وهي قَفْرٌ وصـــاحبي بازلٌ شِمْلَالُ [2]
وغائطٍ قد قطَعتُ وَحْـدِي لِلقلب مِن خَوفِه إِجْلال [3]
صَاب عليه ربيـــعٌ باكِرٌ كأَنَّ قُريَانَــه الرِّحالُ [4]
تَقْدُمُني نَهْـدَةٌ سَبُوحٌ صَلَّبها العَضُّ والحِيَـال [5]
وغـــارةٍ قد تَلَبَّبْتُ بهـا كأَنَّ أَسْرابَها الرِّعال [6]
كأنهم حَرْشَفٌ مبثوثٌ بالجوِّ إِذْ تبرُقُ النِّعال [7]
صَبَّحتُها الحيَّ في غـــداةٍ فكان أشقاهمُ الرِّجال [8]

فهو هنـــا يفخر بأنه يجوب الفيافي والقفار وليس معه إلا ناقته القوية السريعة ، وينزل مواطن الغيث والكلأ وحده ، ويقود الغارات الشعواء ، فيقتل الرجال ، ويسبي النساء والولدان .

---

(١) ديوانه ، ص ١٨٩ .

(٢) القفر : الخالي من كل شيء . صاحبي : يقصد ناقته . بازل : يوصف به الذكر والأنثى ، والبزول : انفطار الناب في السنّ التاسعة . شملال : سريعة خفيفة .

(٣) الغائط : كل أرض واسعة فيها هبوط كالوادي ونحوه . إجلال : رهبة وروعة .

(٤) صاب : سال . ربيع : مطر في أيام الربيع . القُريان : جمع قُريّ وهو مجرى الماء إلى الرياض . وشبه ألوان النبت والزهر بالرحال في ألوانها .

(٥) تقدمني : تتقدم بي . نهدة : ضخمة مرتفعة . سبوح : تمد يديها في جريها كالسابح في الماء . الحيال : ألا تحمل الناقة ، والحائل : هي التي لم تحمل ولم تلد .

(٦) تلببت بها : تحزمت وتشددت لها . أسرابها : قطعها . الرعـال : جمع رِعْلة وهي الجماعة من الخيل .

(٧) الحرشف : الجراد . المبثوث : المتفرق . الجوّ : المنخفض من الأرض كالوهدة. النعال: ما استطال على وجه الأرض من الحرة .

(٨) أشقاهم الرجال لأنهم يُقتَلون ، وأما النساء والصبيان فيُسبَوْن .

وتلم به الأسقام والأحزان، فيرثي لحاله، ويتغنى بماضيه على النحو التالي [1]:

فإما تَرَيْني في رِحالة جابرٍ ... علَى حَرَجٍ كالقَرِّ تخفِقُ أكفاني [2]
فيا ربَّ مكروبٍ كَررتُ وراءَه ... وعانٍ فككْتُ الغُلَّ عنه ففدَّاني [3]
وفتيانِ صِدْقٍ قد بعثْتُ بسُحْرةٍ ... فقاموا جميعاً بين عاثٍ و نَشْوانِ [4]
وخرْقٍ بعيدٍ قد قطعتُ نِياطَه ... على ذاتِ لَوْثٍ سَهْوَةِ المَشْيِ مِذْعانِ [5]
وغيثٍ كألوان الفَنَا قد هَبطتُه ... تعاوَرَ فيه كُلُّ أوطفَ حَنَّانِ [6]
عَلى هَيْكَلٍ يُعطيك قبل سُؤاله ... أفانينَ جريٍ غيرَ كزٍّ ولا وانِ [7]
كتَيْسِ الظِّباء الأعفرِ انضرَجتْ له ... عُقابٌ تدلَّتْ من شماريخِ ثَهْلانِ [8]

---

(١) ديوانه ، ص ٩٠ .

(٢) الرحالة ، خشبات يحمل عليها المريض ، وهي الحرَج . جابر (هذا) : قيل إنه من بني تغلب ، ويقال إنه كان هو وعمرو بن قميئة يحملانه . القر : مركب للنساء كالهودج، أكفاني: يقصد ثيابي ، وجعل ثيابه أكفاناً ، لمرضه .

(٣) كررت وراءه : رجعت إليه ودافعت العدو عنه . العاني : الأسير . فككت الغل عنه: فديته بمالي فحلّ وثاقه . فدّاني : دعالي ، وقال : فدتك نفسي ، أو فداك أبي وأمي .

(٤) بعثت بسُحرة : أثرتهم من النوم . العاثي : المتناول للشيء ، وكثر استعماله في الفساد . يقول إنه لما أثارهم من النوم تناول كل منهم ثوبه ليلبسه ، وفيهم من يبدو كالسكران من النعاس .

(٥) الخرق : الأرض الواسعة التي تتخرق فيها الرياح . النياط : عرق متصل بالقلب ، ويقصد هنا ما اتصل بهذه الأرض . ذات لوث : ناقة قوية . سهوة المشي : اللينة المشي السهلة ، المذعان : المذللة المطاوعة .

(٦) الفنا : عنب الثعلب . هبطته : نزلت به وأنخت إبلي فيه . تعاور : تداول وتعاقب . الأوطف : سحاب دانٍ من الأرض . الحنّان : الشديد الصوت الذي لصوته حنين كحنين الإبل.

(٧) أفانين : أنواع وألوان . الكز : الضنين . الواني : الفاتر المبطىء .

(٨) انضرجت له : انقضّت عليه فذعرته . فجرى في سرعة ونشاط . ثهلان : جبل . شماريخه : أعاليه .

وخَرْقٍ كجوفِ العَيرِ قَفْرٍ مَضَلَّةٍ

قطعتُ بِسامٍ سَاهِمِ الوجهِ حُسَّان (١)

يدافِعُ أعطافَ المطايا بِرُكْنِه كَمالَ غُصْنٌ ناعِمٌ بين أغصانِ (٢)

ومَجْرٍ كغُلَّان الأُنيعِمِ بالغٍ ديارَ العدوِّ ذي زهاء وأركانِ (٣)

مَطَوْتُ بهم حتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهم وحتى الجيادُ ما يُقدْنَ بأرسَانِ (٤)

وحتى تَرَى الجَوْنَ الذي كان بادناً عليه عوافٍ من نسورٍ وعِقبانِ (٥)

فبعد أن رأى حاله على ما هو عليه من الضعف والسوء ، تحسر وتألم ، وتذكر ماضيه ، فادّعى أنه كثيراً ما نفّس الكُرَب ، وأطلق سراح الأسرى ، وقاد الجماعات ، واحتل الأماكن المرهوبة ، وامتطى صهوات الخيل ، وسار بجيوش الفرسان حتى أنهك الجياد .

* * *

---

(١) كجوف العير : هو الحمار الذي ليس في جوفه شيء ينتفع به . مضلة : لا يهتدى للسير فيه . السامي : الفرس المشرف المرتفع . ساهم الوجه : قليل لحم الوجه ، وهو الضامر. حسان: الزائد الحُسْن .

(٢) الأعطاف : الجوانب . ركنه : منكبه ، يقصد أنه حينما كانوا يركبون الإبل ويجنبون الخيل كان الحصان يدافع المطي كلما قربت منه . وكان الحصان يتثنى في مشيه بين الإبل يميناً وشمالاً كغصن ناعم يتثنى بين أغصان .

(٣) مَجْر : جيش عظيم . الغُلاّن : الأودية الكثيرة الشجر . شبه بها الجيش في الكثرة والكثافة . الأنيعم : موضع . بالغ ديار العدو : واصل إليها . الزهاء : كثرة العدد . أركان : جوانب . يصف الجيش بالضخامة والكثرة .

(٤) مطوت بهم : ركبنا المطايا. تكلّ : تتعب. الجياد : جمع جواد وهو الضامر الكريم. ما يقدن بأرسان : لا تحتاج إلى أرسان تقاد بها لما نالها من الإعياء والتعب .

(٥) الجون : الأبيض أو الأسود . البادن : العظيم البدن السمين . العافي : ما يعفو من سباع الطير أي يأتيه ويقع عليه . يعني أنه لما نال الدواب من التعب نفق منها البادن الضخم ، وجاءت إليه الطير تأكل من لحمه .

ذلك هو ما ورد له في الفخر ، وكله – كما نرى – فخر شخصي ، وليس فيه فخر قَبَلي ، فلم يفتخر بقبيلته وأحسابهم وأمجادهم ، فقد كان ذلك سمة ظاهرة في الفخر الجاهلي على العموم . ولعل ذلك مما يؤيد بُعده عن قبيلته وهو في مقتبل العمر ، فلم تتمكن من نفسه العصبية القبلية التي كانت شائعة في العصر الجاهلي .

ولم يرد في مفاخره التي تغنّى بها ذكر للكرم ، وإتلاف الأموال ، والإنفاق عن سعة ، وإكرام الضيف ، وحسن معاملة الجار ، ونحو ذلك من المبادىء التي كانت من أهم مفاخر الجاهليين . وربما كان ذلك لأنه لم يكن يهتم إلا بالنواحي الشخصية التي تخصه هو وحده ، إذ لم تكن له صلة قوية تربطه بمجتمع الناس الأكبر. فلم يهتم إلا بنفسه ، وبخاصته ممن تتم بهم أموره الذاتية.

كذلك لعب الميسر والتباهي بالسفه فيه لم يرد له ذكر في فخره . وقد كان ذلك أيضاً من الأمور الشائعة في فخر الجاهليين .

أما الخمر فلم يرد له فيها ما يوحي باهتمامه بها الاهتمام الذي اشتهر به الجاهليون وبخاصة الشعراء ، وكل ما ذكر فيه الخمر من شعره ثمانية أبيات ؛ منها هذا البيت الذي وصف حال الشارب حين يفقد وعيه[1] ، والأبيات الثلاثة التي وصف فيها ريق معشوقته[2]، وقد مر ذكر هذه الأبيات الأربعة، ثم بيت آخر وصف فيه ريق الحبيبة كذلك[3] . وأبيات ثلاثة وصف فيها حاله عندما ارتحلت الحبيبة ، هي[4] :

فَظَلِلتُ دِمَنِ الدِّيار كأنني نشوانُ باكره صَبُوح مُدام

(١) ديوانه ، ص ٧١ .
(٢) ديوانه ص ١١١ .
(٣) ديوانه ، ص ١١٠ .
(٤) ديوانه ص ١١٥ .

أُنُفٌ كَلَونِ دَمِ الغزالِ مُعتَّقٍ مِنْ خَمرِ عَانَةَ أو كُرُومِ شِبام [١]
وكأنَّ شارِبَها أصابَ لِسانَه مُومٌ يُخالِطُ جِسمَه بِسَقام [٢]

وقد وصف في هذه الأبيات منظر الخمر، وحال شاربها، ولكن ذلك كما رأينا لم يكن غرضاً أصيلاً له، ولا فخراً به، وإنما جاء لهدف آخر فأبياته في الخمر لا تعني فخراً بها، كما لا تدل على أنه كان مدمناً على الخمر، محبّاً لها، داعياً للإسراف فيها، كما نرى عند كثير من الشعراء الجاهليين.

ومما سبق من نماذج لفخره، يتبين أنّ ميوله في أول حياته كانت إلى اللهو والمتعة، فافتخر بركوب الخيل للذة الطرد والقنص، ومغامرات العبث والمجون، لكن لما تغيرت الأحوال، وحمَل الأعباء، شعر بما يشعر به الرجال الطامحون إلى المجد، فافتخر بالقوة والبأس والشجاعة، فادعى أنه كان يجوب الفيافي والقفار، وينزل الأماكن المحفوفة بالأخطار، وينشر الرعب بين الأعداء، ويشن الغارات، ويقود جيوش الفرسان والأبطال، وأن النصر كان حليفه على الدوام. ولكن يبدو أن ادعاءاته هذه ما كانت تعبر عن حقيقة موجودة فيه، فنَفَسه في هذه الناحية ليس بالنفَس القوي الطويل، ويظهر فيه الضعف، كما أن التوفيق خانه في بعض الأحيان كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

---

(١) أنف: مستأنفة، يعني أول ما أخرج من الدّنّ. وشبهها بدم الغزال في شدة الاحمرار معتق: قديم. عانة: قرية بالجزيرة. شبام: اسم قرية كذلك.

(٢) الموم: البرسام، وهو داء مَن يصاب به يخلّط في كلامه، ولا ينطلق لسانه: يقصد أن شارب هذه الخمر إذا سكر يذهب عقله ويهذي، فلا يعرف ما يقول، ولا يدري ما حوله.

المدح والذمّ في شعره

وتحدثُ الأحداث لعشيرته ، فتؤثر على نفسه ، وعلى مجرى حيـاته ، وتتحرك فيه مشاعر الصلة الـتي تربطه بأهله ، والصلة التي بينه وبين الناس عامـة ، ويدرك أنه لا يستطيع أن يعيش لنفسه فقط ، وأن المجتمع حوله لا بد أن يجذبه ويضطره للسير في تياره،فتكون بينه وبين الناس صلاتٌ مَا، فهو واحد منهم ، وهناك مصالح مشتركة ، وأماني مختلفة ، وقـد يحدث تضارب بينها بعضها وبعض ، ومن ثم سوف يجد بينه وبين بعضهم انسجامـاً أو توافقاً ، وبينه وبين بعضهم تنافراً وتعارُضاً ، كما يدرك أن هناك مجالات للمفاخر والأمجاد ، سبيلهـا غير هذه السبيل التي يسير فيها ، فيحاول أن يسلكها ، وهنا تتعقد صلاته بالناس ، ويجد نفسه مضطراً للكفاح وللجهاد لعله أن يصل إلى تحقيق أمانيه ، وقد عبر عن ذلك بقوله [١] :

فلَوْ أنّ ما أسعَى لأَدْنَى معيشةٍ
كَفَاني ، ولم أطلب ، قَليلٌ من المال [٢]
ولكنّما أسعَى لِمجْدٍ مُوَثَّلٍ وقد يُدْرِكُ المجدَ المؤثل أمثالي [٣]

---

(١) ديوانه ، ص ٣٩ .
(٢) أدنى : أقل .
(٣) المؤثل : المثمر الذي له أصل ، وهو الكثير أيضاً .

فليس همه أن يعيش في أقل مستوى ، أو أيـة عيشة ، وعندئذ يكفيه قليل من المال ، ولا يطلب أكثر من ذلك ، ولكنه يسعى إلى المعالي والأمجاد الكبار ، ويتمنى أن يتم له تحقيق ذلك .

وقد رأينا في استعراض فخره أن ما أثار عاطفته هناك أحوال كانت غير مرضية ، آلمته ، فثار ، كأنما يحتج أو يثأر لنفسه من الظروف السيئة الـتي أحاطت به قبل أن ينطلق لسانه مفتخراً .

وبسبب ما نزل به وبقومه من أحداث ، وما ألقي على كاهله من أعباء ، وما طمح إليه هو من آمال ، اضطر إلى الاحتكاك بالناس ، فتولدت في نفسه مشاعر مختلفة نتيجة لما يلقاه من سلوك الناس نحوه ، ومعاملتهم له ، فكان منهم المحسن ومنهم المسيء ، ومن الطبيعي أن يكون للأول اعتراف بالجميل ، وللثاني جزاء ما فعل .

فمما ترويه الأخبار أنه لما قُتِل عمُّه شرحبيل في يوم الكُلاب الأول ذم بني تميم ، فقال [1] :

ألَا قَبَّحَ اللهُ البراجمَ كلها ... وَجدَّعَ يربوعاً وعفَّرَ دارِما [2]

فمَا قَاتلوا عن ربِّهم وَربيبِهم ... ولا آذنوا جاراً فيظعَنَ سالِما [3]

فهو هنـا يتحرك ويثور لمقتل عمه ، ويذم أعداءه ويدعو عليهم بالمذلة والمهانة . ولما قتل بنو أسد أباه ، ذمهم ، فقال [4] :

---

(١) ديوانه ، ص ١٣٠ .

(٢) البراجم ويربوع ودارم : قبائل من تميم كانوا قد خذلوا شرحبيل بن عمرو يوم الكلاب . جدع : قطع أنوفهم ؛ دعاء بالمذلة. عفّر : ألصقهم بالعفر وهو التراب . وذلك أيضاً دعاء بالمذلة.

(٣) ربهم : سيدهم وملكهم . ربيبهم : تربَّى في حجورهم ، ويقـال إنه كان له استرضاع فيهم . آذنوا جاراً : أعلموه بخذلانهم . يظعن سالماً : يرحل عنهم قبل حلول العدو به .

(٤) ديوانه ، ص ١١٩ .

قولا لدودان عبيد العصا ما غركم بالأسد الباسل [1]

وهددهم بقوله [2] :

والله لا يذهب شيخي باطلا حتى أبير مالكا وكاهلا [3]
القاتلين الملك الحلاحلا خير معد حسبا ونائلا [4]

ويدعي أنه نال من بني أسد ، فقال [5] :

قد قرت العينان من مالك ومن بني عمرو ومن كاهل
ومن بني غنم بن دودان إذ نقذف أعلاهم على السافل [6]
نطعنهم سلكى ومخلوجة لفتك لأمين على نابل [7]
حتى تركناهم لدى معرك أرجلهم كالخشب الشائل [8]

---

(١) دودان : من بني أسد. عبيد العصا : أذلاء لا يرضخون إلا بالضرب والإذلال . الباسل: الكريه المنظر الجريء .

(٢) ديوانه ، ص ١٣٤ .

(٣) أبير : أهلك . مالك وكاهل : من بني أسد .

(٤) الحلاحل : السيد الشريف . خير معد : راجع إلى « مالك وكاهل » لأن بني أسد من معد ، وأبو امرىء القيس من اليمن وليس من معد . نائل : عطاء .

(٥) ديوانه ، ص ١٢٠ .

(٦) مالك وعمرو وكاهل وغنم : أحياء من بني أسد . نقذف أعلاهم على السافل : نكثر قتلهم ونطرح الأعلى على الأسفل ، فكانوا أكواماً .

(٧) سلكى : طعنة مستقيمة حيال الوجه . مخلوجة : يمنة ويسرة ، أي غير مستقيمة . لفتك : ردك . اللأمان : مثنى لأم ، وهو السهم اللؤام وهو ما كان ريشه بطن كل واحدة إلى ظهر الأخرى . النابل : الذي يرمي بالسهام . وشبه الطعن المستقيم والمخلوج برد السهام على النابل سهمين سهمين .

(٨) معرك : ميدان القتال . الخشب الشائل : الذي ألقي بعضه على بعض فارتفع .

فيذمهم بأنهم أذلاء لا يُعطُون إلا بالضرب والإذلال ، وأنه مصمم على إهلاكهم وإبادتهم ، ثم يذكر أنه فعلاً نال منهم حتى قرتْ عيناه واطمأن حينما قتلهم وألقى بعضهم على بعض ، وانتفخت أجسادهم ، وارتفعت أرجلهم كالخشب الشائل .

وأغلب الظن أنه لم ينل منهم ، ولم يحدث لهم ما وصفه في أبياته . وربما تكون قد حدثت بينهم مناوشة ، ولكن لن تصل إلى الحد الذي تحدث عنه ، ويبدو أن ما قاله كان من قبيل الأماني والأحلام ، فتوهم أنه حدث لهم ذلك ، وأنه قد رضي ، وصار في حل مما كان محرماً عليه (١) :

حلّت لي الخمرُ وكنتُ امرأً　　عن شُربها في شغل شاغل
فاليومَ أُسقى غيرَ مُستحقِبٍ　　إثماً من الله ولا واغِل

وذلك جرياً على عادة الجاهليين الذين كانوا يحرمون على أنفسهم أشياء ومن بينها شرب الخمر حتى يأخذوا بالثأر .

وتروي الأخبار أنه في سبيل تحقيق أمانيه وهي الأخذ بالثأر من بني أسد والوصول إلى الملك ، أخذ يجوب الآفاق ، ويستنفر القبائل ، ويستثير الرؤساء لكي يساندوه ويقفوا بجانبه ، ويحموه ممن يطلبونه ، فمن أكرم وفادته شكره ومدحه ، ومن قصّر غضب منه وذمه . فيقال إن ممن أحسن لقاءه ، ودافع عنه ، المعلّى التيمي من جديلة طيىء ، فيروى أنه أجاره ، والمنذر بن ماء السماء يطلبه ، فقال فيه امرؤ القيس (٢) :

كأني إذ نَزَلتُ عَلى المعَلَّى　　نزلتُ على ابَواذِخ مِن شمام (٣)

---

(١) ديوانه ص ١٢٢. مستحقب إثماً : مكتسبه ومحتمله ، وأصله من حمل الشيء في الحقيبة. الواغل : الداخل على القوم يشربون ولم يُدْعَ ، يقصد أنه سيشرب الخمر ، وقد حلت له فلن يتحمل إثماً ، وسوف يشربها وهو مكرم نفسه .

(٢) ديوانه ، ص ١٤٠ .

(٣) البواذخ : جمع باذخ وهو الشامخ العالي .

فما مَلِـــك العراق على المعَلَّى بمقتدر ولا مَلكُ الشّآم[١]

أَصدَّ نَشَاصَ ذي القرنين حتى تولَّى عارِضُ الملكِ الْهُمَامِ[٢]

أقرَّ حَشَا امرىء القيس بن حُجر بنو تَيم مصابيحُ الظلام[٣]

يعترف له بالجميل، حيث حماه من جيش النعمان بن المنذر الذي كان يطلب امرأ القيس، وتحقق له الأمن والطمأنينة وهو نازل بينهم.

ويقال إنـــه نزل على خالد بن أصمع النبهاني، فلم يستطـع حمايته، إذ انتُهبتْ رواحلهُ وهو في جواره، فتركه امرؤ القيس ونزل على جارية بن مر أخي بني ثعل، فأجاره وأكرمه، فذم خالداً، ومدح بني ثعل في قوله[٤]:

دع عنك نهباً صِيحَ في حَجَرَاتــه

ولكِنْ حديثاً مـــا حديثُ الرَّواحل[٥]

كأن دثاراً حَلَّقتْ بلَبونــه عُقَابُ تَنُوفَى لاعقابُ القواعل[٦]

---

(١) ملك العراق: يقصد النعمان بن المنذر، ويقصد بملك الشام الحارث بن أبي شَمِر.

(٢) أصد: أبعد ونَحّى مثل صَدّ. النشاص: ما ارتفع من السحاب، شبه الجيش به. ذو القرنين: المنذر بن ماء السماء وسمي بذلك لضفيرتين كانتا له. العارض: السحاب المعترض، ويقصد الجيش. الهمام: الملك السيد الذي يفعل ما يَهُمّ به.

(٣) أقر حشاه: أمن فيهم واطمأن، ولم تضطرب أحشاؤه فزعاً، لأن الخائف الوجـــل يوصف بذلك.

(٤) ديوانه، ص ٩٤.

(٥) حجراته: نواحيه. صيـــح في حجراته: أُغيرَ عليه وتعالت الصيحات في جوانب المكان. ولكن حديثاً: أي حدثنا حديثاً وأخبرنا عن الرواحل التي ذُهب بها أيضاً.

(٦) دثار: راعي إبل امرىء القيس. اللبون: ذات اللبن. تنوفي: جبل من جبال طيء. القواعل: جبال طوال ليست بشوامخ. يقصد أن إبله لن يستطاع ردها لأن من انتهبوها أقوياء لا ضعفاء.

وأعجبني مَشيُ الحُزُقَّةِ خالدٍ ... كمشي أتانٍ حُلِئتْ بالمنـاهِل[1]

أبتْ أجأٌ أن تُسلِمَ العامَ جارَها ... فمنْ شاءَ فلْيَنْهَضْ لها مِن مُقاتِل[2]

تَبيتُ لَبُوني بالقُرَيَّةِ أُمَّنـاً ... وأسْرَحُها غِبّاً بأكنافِ حائل[3]

بنو ثُعَلٍ جيرانُها وحُماتُهـا ... وتُمْنَعُ مِن رُماةِ سعدٍ ونائل[4]

فهو يهزأ بخالد ويصفه بالجبن والضعف ، ويشكر بني ثعل الذين ضمنوا الأمن له ولإبله .

ومثل ذلك ما ترويه الأخبار أن امرأ القيس استجار هانىء بن مسعود بن عامر ، فلم يجره ، وقال : أنا في دين الملك . فأتى سعد بن الضباب الإيادي فأجاره ، فقال في ذم هانىء ومدح سعد[5] :

لَعَمرُكَ ما سعـدٌ بخُلَّةِ آثمٍ ... ولا نَأْنَأٍ يومَ الحِفاظِ ولا حَصِر[6]

يفاكِهُنا سَعدٌ ويغدو لجَمْعِنا ... بمَثْنى الزِّقاقِ المُتْرَعاتِ وبالجُزُر[7]

---

(١) الحزقة الرجل الصغير ، الضيق الباع المجتمع الخلق يهزأ بخالد المذموم. حلئت: طردت عن الماء ومنعت ، وإذا فعل ذلك بالأتان تلكأت في مشيها ، ودارت حول الماء . فشبه خالداً بها في عجزه عن رد الإبل التي أُخذت نهباً .

(٢) أجأ : أحد جبلي طيء . ويريد هنا قبيلة طيء .

(٣) أمّناً : آمنات مطمئنات . أسرحها : أرسلها في المرعى . الغب : أن ترسل في المرعى يوماً وتترك يوماً فيه ، ثم تراح في اليوم الثاني . أكناف : نواحي . حائل : موضع .

(٤) جيرانها : يجيرونها . حُماتها : يدافعون عنها. سعد ونائل : من بني نبهان ، قوم خالد.

(٥) ديوانه ، ص ١١٢ .

(٦) الخـلة : الصداقة والمودة ، والخُلـّة ايضاً : الخليل نأنأ : ضعيف مقصّر ، والنأنأة في الحرب : الضعف ومن أسباب الانهزام . الحصِر : الضيق الصدر عند تجشم الشدائد .

(٧) يفاكهنا : يمازحنا ويبسطنا . بمثنى الزقاق: يجيء بزقاق الخمر مرة بعد مرة. المترعات: المملوءات . الجزر : جمع جزور ، وهي الناقة الضخمة التي تذبح .

لَعَمْرِي لَسعدُ حيثُ حلَّتْ دِيارُه أَحبُّ إِلينا منكَ فا فَرَسٍ حَمِر [1]
و تَعرف فيه من أبيــــه شمائلاً ومِن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُر [2]
سماحة ذا و بِرَّ ذَا وَوَفــاءَ ذا و نَائلَ ذا، إذا صحا و إِذا سَكِرْ [3]

فيذم هانئـــاً بأنه قليل الخير ، ليس فيه مظهر النعمة والمروءة ، ويمدح سعداً بالوفاء وحسن الصحبة ، وسعة الصدر ، وكرم العِشْرة ، ورخـــاء العيش ، وطيب الأصل ، وشرف المحتد .

كما ورد أنه مدح كذلك طريف بن مالك بقوله [4] :

لَنِعْمَ الفتى تَعْشُو إِلَى ضوءِ نــاره
طَريفُ بنُ مالٍ ليلةَ الجوعِ والخَصَرْ [5]

يثني عليه ، ويمدحه بالشهامة والكرم وبخاصة في الأوقات العصيبة .

كذلك روي أنه مدح العُوير بن شجنة التميمي ، ورهطة بـني عوف ، فمن قوله فيهم [6] :

إِنَّ بـــني عوفٍ ابتَنَوْا حَسَباً ضَيَّعَهُ الدُّخلُلُونَ إِذ غدروا [7]

---

(١) فا فرس : فم فرس . حَمِر : نتن فوه، ويصير الفرس حَمِراً إذا سنق من كثرة الشعير. يُعيّر المذموم ببخر الفم .
(٢) شمائل : خلائق وطبائع .
(٣) إذا صحا وإذا سكر : يعني يجمع صفات السماحة والبر والوفاء والجود في حالتي صحوه وسُكْره .
(٤) ديوانه ، ص ١٤٢ .
(٥) تعشو : تأتي إليه في وقت العشاء ، وهو الظلام . الخَصَر : شدة البرد .
(٦) ديوانه ، ص ١٣٢ .
(٧) حسباً : شرفاً . الدخلل : خاصة الرجل والمتداخلون في أموره وأهل ثقته .

أدّوا إلى جارهم خُفارَتَه ... ولم يَضِع بالمَغيب مَن نَصَروا[1]

ومن مدحه لهم أيضاً [2] :

هُمُ أبلَغوا الحيَّ المضَلَّلَ أهلَهمْ ... وساروا بهم بين العراقِ ونجرانِ [3]

فقد أصبحوا والله أصفاهُمُ بِهِ ... أبرَّ بميثاقٍ وأوفَى بجيرانِ [4]

فيمدحهم بحسن الجوار والوفاء بالعهد ، ونصرة من التجأ إليهم .

***

إن ما ورد في الديوان من المدح والذم والتهديد أبيات معدودات، والقطع التي وردت فيها هذه الأغراض قصيرة، وليس فيها ما يصل إلى أن يكون قصيدة.

ثم إن المعاني التي تدور في المدح والذم كلها حول حسن الجوار والتقصير فيه ، وحماية اللاجىء والعجز عنها ، كأن كل همه توفير الأمن له ، والمحافظة عليه ، والحقيقة ان ذلك شيء عجيب ممن كان من اسرة ملوك ، ويسعى للحصول على الملك ، والأعجب من ذلك أن يصدر ممن أصله وأمله ذلك ، مدح لشخص بأنه يطعمه ويسقيه ويمازحه :

يفاكِهُنا سعدٌ ويَغدو لِجَمْعِنا ... بِمَثْنَى الزِّقَاقِ المترَعاتِ وبالْجُزُرِ

حقيقة هذه صفات محمودة في إكرام الضيف وحسن رعاية الجوار، ولكنها ليست لشخص أمير يطمح للعلا ، والذي يثير العجب والدهشة أيضاً أن

---

(١) خفارته : عهده وذمته وحمايته ، يقال : خفرتُ الرجل إذا أجرته ومنعت من ظلمه ؛ وأخفرته إذا نقضت عهده . لم يضع بالمغيب : يعني من غاب عنه أنصاره فنصر هؤلاء يكفيه ،

(٢) ديوانه ، ص ٨٤ .

(٣) الحيّ المضلل : يعني حيّ امرىء القيس . المضلل : المحيَّر الذي لا يعرف أين يتوجه.

(٤) أصفاهم به : اختارهم وفضّلهم به أي بعوير ، وكان سيدهم . أوفى بجيران : أوفى الناس بذمة من جاورهم واعتصم بهم .

نسمع عنه هذه الأبيات [1] :

ولقد بعثتُ العنْسَ ثم زَجرتُها وَهْناً وقلتُ عليكِ خيرَ مَعَدِّ [2]
عليكِ سعدَ بن الضِّبابِ فَسَمِّحي سيراً إلى سَعْدٍ عليكِ بسَعْدِ [3]
سَعْدٌ يُجير الخائفين وتَنْـــدَى يَدُهُ عطاءً من طارفاتٍ وتُلْدِ [4]
فرعٌ تفرَّعَ من إيادٍ بيتُهـــا بين النَّبيتِ الأكرمين وَبُرْدِ [5]

فهي أبيات كلها استجداء وطلب للعطاء، ولا تصدر إلا عن شخص يعيش على منح الأغنياء والسادة .

وما ورد له من مدح وذم يظهر فيه على العموم الضعف والفتور ، فمعظم أبيـاته تقل بكثير عن المستوى المتوسط ، بل منها ما تتضح فيه الركاكة ، ونستطيع أن نلمس ذلك بوضوح في بعض ما سبق ، وفيما يلي [6] :

يا ثُعَلاً ، وأين مني بَنُو ثُعَـــلْ أَلَا حبَّذا قومٌ يَحُلُّون بالجبلْ [7]

---

(١) ديوانه ، ص ٢٠٧ .

(٢) العنس : الناقة الشديدة . بعثت العنس : أثرتها من مبركها . وهناً : بعد هدء من الليل. خيرَ معد : أي اقصدي خير القبائل العدنانية .

(٣) سمّحي : كوني سمحة ، أي سهّلي ، وطيبي بالسير إليه نـَفـْساً .

(٤) الطارفات والطوارف والطريف والمستطرف : ما استطرفه الشخص واتخده واكتسبه . والتلد والتلاد والتليد والمتـْلـَد : ما ورثه الرجل عن آبائه . وفي هذا البيت اضطراب في الوزن ولو أن « عطاء » كانت « عطا » بالقصر بغير مد لاستقام الوزن .

(٥) فرع كل شيء : أعلاه . وهو أشرفه . النبيت : من طيء . بُرْد : من إياد ، وقيل إن النبيت وبرد قبيلتان من إياد .

(٦) ديوانه ، ص ١٩٧ .

(٧) يحلون : ينزلون . الجبل : يعني جبلي طيء : أجأ وسلمى .

نزلتُ على عمرِو بن دَرْمـــاءَ بُلْطَةً
فيا كَرَمَ ما جارٍ ويا حُسْنَ ما مَحَلْ [1]

تظَلُّ لَبُوني بين جَوٍّ ومِسْطَحٍ
تُراعِي الفراخَ الدارجاتِ من الحجَلْ [2]

وما زال عنها معشَرٌ بقِسِيِّهم   يَعُدّونها حتى أقولَ لهم بَجَلْ [3]

فمع تكرار ما سبق في مدح بني ثعل ، فإن الضعف يتجلى فيها ، وكذلك قوله [4] :

أَحلَلتُ رَحْلي في بني ثعْـــل   إنَّ الكرامَ للكريم مَحَلّ [5]
فوجدتُ خير النـــاسِ كلّهم   جـــاراً وأوفاهمْ أبا حَنْبَلْ [6]
أقربَهُمْ خـــيراً وأبعدَهُمْ   شرًّا وأجودَهُمْ أوانَ بَخَلْ [7]

فضعف المعنى والمبنى واضح في هذه الأبيـــات ، وهي لا تليق بشخص طموح ولا بشاعر فحل .

---

(١) عمرو بن درماء : من بني ثعل . بلطة : أرض . محل : منزل .

(٢) اللبون : الناقة ذات اللبن ولها ولد يرضعها . جو ومسطح : موضعان . تراعي الفراخ : ترعى معهن .

(٣) يعدونها : يرعونها ويحفظونها ويدافعون عنها . بجَل : حسْب ، يعني حتى اكتفيت ورضيت .

(٤) ديوانه ، ص ١٩٩ .

(٥) أحللت : أنزلت . محل : منزل .

(٦) أبو حنبل : هو جارية بن مر ، أخو بني ثعـــل من طيء . جاراً : مجيراً وحافظاً لمن نزل عنده .

(٧) أوان : وقت : بَخَل : بُخْل أي شح وحرص على المال .

الشكوى والتحسّر في شعره

هنا نجد صوَراً لنفسه وتجاربه ، حينما وجد أن الظروف تجري على غير ما يتمنى ، وظهرت له حقائق عن الحياة والناس ما كان يعرفها . وقد رأينا في الفصل السابق أنه اضطر إلى الاتصال بالناس، والنزول عند كثير منهم، أفراداً وجماعات ، وشاهدنا كيف كان يُقابَل ويُعامَل ، ويوازن الشاعر حاله حينئذ ، وما كان عليه من قبل ، فيشعر بطبيعة الزمن :

أَلَا إِنما الدهرُ ليالٍ وأَعْصُرُ ... وليس على شيءٍ قَوِيم بمُسْتَمِرّ (١)

وتنزل الكوارث به وبقومه ، وكان قد بكى جماعة من قومه قتلوا في ديار بني مرينا بقوله (٢) :

أَلَا يا عَـــينُ بَكّي لي شَنينا ... وبَكّي لي الملوكَ الذاهبينا (٣)

ملوكـاً من بني حجر بن عمرو ... يُساقونَ العشية يقتلونا

فلو في يوم معركـــة أصيبوا ... ولكن في ديار بَني مَرِينَا (٤)

---

(١) ديوانه ص ١٠٩ . ليال وأعصر : مختلف متغير بتعاقب الأيام والليالي . قويم : مستقيم. مستمر : دائم مطرد .

(٢) ديوانه ، ص ٢٠٠ .

(٣) شنيناً : فعيل من الشّنّ وهو الصب .

(٤) بنو مرينا : قوم من أهل الحيرة .

ولا يجد شيئاً من آماله يتحقق ، وقـد تبدلت الأحوال ؛ قُتِل أبوه ، وضاع ما كان لقومه من عزة وبأس ، وأصبح يتنقل بين الأحياء مستجيراً ، كأنه يسأل ، فيمنعه هذا ويعطيه ذاك ، وأي نوع كان هذا العطاء ؟

أَبعْدَ الحارث الملكِ بن عمرو   له مُلْكُ العراق إلى عُمان [1]
مُجاوَرةً بني شَمَجَى بنِ جرْمٍ   هواناً ما أُتيح مِن الهوانِ [2]
ويَمنَحُها بنو شَمَجَى بن جرم   مَعيزَهُمُ حَنانَكَ ذا الحَنان [3]

فيضيق ويتألم من هذا الهوان ، وتلك الحـالة التي صار إليها ، ولكنه مع ذلك ما زال طموحاً ، يتطلع إلى المجد . فالإنسان ما دام فيه عرق ينبض لا يألو جهداً في الطلب والسعي مهما لاقى من الشدائد والمحن :

وما المرءُ ما دامتْ حشاشةُ نفسه   بمُدْرِكِ أطرافِ الخُطوبِ ولا آلِ [4]

فيتجه ببصره نحو آماله الكبار ، ويصبو لتحقيقها ، ولكنه يرى من دونها أهوالاً ومشقات ، فيزمع على الاستعانة بمن هو أقوى من القبائل التي ينزل بها ، فكان أمامه ملوك اليمن ، وهم يمتون إليه بصلة القرابة ، وأكاسرة الفرس ، وقياصرة الروم ، ويتحدث عن عدم استعانته بملوك اليمن ، مبيناً السبب بقوله :

---

(١) ديوانه ، ص ١٤٣ .

(٢) مجاورة : يعني أتجاور بني شمجي مجاورة بعد أن كنت في أبهة الحارث بن عمرو ؟ بنو شمجي : حي من جرم . أتيح : قُدّر .

(٣) يمنحها : يعطيها منحة، وهي الشاة أو الناقة يعطيها الرجل لجاره أو قريبه ينتفع بلبنها وصوفها ثم يردها إذا استغنى عنها . المعيز : اسم لجماعة المَعِز . حنانك : رحمتك . ذا الحنان : يا صاحب الرحمة . يقول ذلك على طريق الترحم والتعجب من تغير حاله .

(٤) ديوانه . ص ٣٩ . حشاشة النفس : بقيتها وحياتها . مدرك أطراف الخطوب : ينال غاية الآمال . ولا آلِ : لا يألو ، أي لا يترك جهداً في الطلب .

لَعَمْرُكَ ما إنْ ضرَّني وَسْطَ حِميرٍ　　وأَقْيالِها إلَّا المُخيلَةِ والسُّكْرُ [1]

غيرُ الشقَــاءِ المستبين فَليتني　　أَجرَّ لساني يومَ ذلكُمُ مُجرْ [2]

يعني أنه أساء السلوك مع حمير وملوكها بالخيلاء والتكبر عليهم ، وسُكْر الشباب ، وقلة التجربة ، وسوء الجدل ، والتطاول عليهم ، ومن ثَمّ لم يتجه إليهم ، ولم يقوموا هم بمعاونته ، ولم يذكر لنا شيئاً عن أكاسرة الفرس ، ثم يولي وجهه شطر قياصرة الروم ، فيرحل إليهم ، ومعه بعض الصحاب ممن كان يثق بهم ، وتبدأ الرحلة ويبتعد عن الوطن والأهل ، فيعاوده الحنين إليهم ؛ وقد بدت له مشارف الشام :

تذكّرتُ أهلي الصالحين وقد أَتتْ　　علَى خَملَى خُوصُ الرِّكَابِ وأَوْجَرا [3]

ثم يتابع السير ، ويزداد بعداً عن الأهل ، فيشتد به الشوق ، حتى يحس كأنه لا يرى شيئاً ويقطع الأمل في لقائهم :

فلما بَدَتْ حُورَانُ في الآلِ دونَها　　نظرتَ فلم تَنظُر بعينيك مَنْظَرا [4]

تَقطَّعُ أَسبابُ اللُّبانَة والهَوَى　　عشيةَ جاوزْنا حماةَ وشيزرا [5]

---

(١) ديوانه ، ص ١١١ . الأقيال : الملوك . المخيلة : الخيلاء ، وهي العجب والتكبر . السكر : غفلة الشباب وقلة التجربة .

(٢) المستبين : البيّن الواضح. ويقصد بالشقاء هنا سوء الجدل وغلبة الشقاء عليه حين ذكرهم بما يسوءهم . أجرّ لساني : شقه وقطعه . مجر : قاطع . يدعو على نفسه بقطع لسانه الذي جلب له السوء .

(٣) خملى وأوجر : موضعان قبل الشام . خوص : جمع أخوص وخوصاء، وهي التي غارت عيونها من التعب والمشقة .

(٤) حوران : مدينة بالشام . الآل : السراب ويقصد منتصف النهار .

(٥) حماة وشيزر : موضعان في الشام . اللبانة : الحاجة . يقصد أنه يئس من لقاء من يحب حين جاوز هذين الموضعين لاشتغاله بما هو فيه .

وفي وسط هذه التيارات المصطرعة في نفسه من اللهفة والشوق إلى الأهل والرغبة في المجـــد ، يشتد الهم ، والضيق ، فتعود به الذكريات إلى ماضي شبابه حين كان يقضي أوقاته في اللهو والمتعة ، فيقول :

ولم يُنْسِني ما قد لقيتُ ظَعَائناً   وخَمْلاً لها كالقَرِّ يوماً مُخَدَّرا (١)

ويتابع السير في جد ونشاط وعجلة ، ويزداد بعداً عن الأهل والوطن ، فتعمل الغربة أثرها في نفوس الصحاب ، وتعلوهم الكآبة والملل حينما علموا أن الرحلة طويلة وشاقة ، فوجهتهـــا قيصر الروم ، ويزداد الحنين ببعضهم فيبكي :

بكَى صاحبي لما رأى الدَّربَ دونَه   وأيقَنَ أنَّا لاحِقَان بقَيْصَرا (٢)

فيحاول امرؤ القيس أن يهدىء من روعه ، ويدخل الطمأنينة على نفسه، ويعِدهُ خير الوعود إن تحققت له أمانيه ، وصار ملكاً :

فقلتُ له لا تَبْكِ عينُك إنمـــا   نحاوِلُ مِلكاً أو نموتَ فنُعذَرا (٣)
وإني زعيمٌ إن رجعتُ مُملَّكاً   بسيرٍ تَرَى منه الفُرانِقَ أزْوَرَا (٤)

ويستمر في الرحلة ، ويتوغل في الأماكن والبلاد المجهولة ، فيشعر بالغربة، ويزداد به الحنين والقلق :

---

(١) ما قد لقيت : يقصد ما ألمّ به من عناء السفر وبُعـــد الشُّقّة . الظعائن : النساء في الهوادج . القر : من مراكب النساء على الإبل . خملا مخدراً : يعني جُعِل الخمل كالخِدر .

(٢) ديوانه ص ٦٥ . الدرب : ما بين بلاد العرب والعجم . صاحبي : يقال إنه كان عمرو ابن قميئة اليشكري ، وقد استصحبه امرؤ القيس في رحلته إلى قيصر .

(٣) نموت فنعذر : يحول الموت دون الوصول إلى أمنيَّتنا فيكون لنا العذر ، إذ لم يحدث منا تقصير .

(٤) زعيم : كافل ضامن . الفرانق : الذي معه دليل أو غيره . الأزور : المائل الذي يسير في جانب من شدة السير . يطيب نفس صاحبه ويَعِده بالرجوع بمنتهي السرعة إن رجع ملكاً .

لقد أنكرتني بعلبكٌّ وأهلُها
ولابْنُ جُرَيجٍ في قُرى حِمْصَ أنكرا [1]

وتطول الرحلة ويحس امرؤ القيس أن أهل رفاقه قد اشتاقوا إليهم ، فيتصور أهلهم جزعين عليهم :

أرى أُمَّ عمرٍو دمعُها قد تحدَّرا بُكَاءً على عمرٍو وما كان أصْبَرا [2]
إذا نحنُ سِرْنا خمسَ عشرةَ ليلةٍ وراءَ الحِساءِ من مَدافِع قَيْصَرا [3]

ثم يلمس التغيّر على أصحابه ، ويرى التبرم بادياً على وجوههم ، فيندب حظه :

إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رَضِيتُه وقَرَّتْ به العَيْنان بُدِّلْتُ آخرا [4]
كذلك جَدِّي ، ما أُصاحِبُ صاحباً مِن الناسِ إلا خانني وتغيَّرا [5]

فالزمان قد تغير له ، وأصبح لا يلقى ما يسره ويقر عينه ، وكلما صاحب إنساناً ووثق به ، ورجا منه حسن الصحبة ، والإخلاص له ، وجد منه عند الاختبار ما لا يرضاه ، فيستبدل به آخر ، ولكنه لا يجد اللاحق خيراً من السابق ، ويتبين له كثير من حقائق الناس والحياة :

---

(١) بعلبك وحمص : مدينتان معروفتان . أنكرتني : لم توافقني ، يقصد أنه لكونه في غير أهله ودياره لم يجد شيئاً يسرّه ويوافقه .

(٢) أم عمرو : لعله يقصد أم عمرو بن قميئة، بكت لبعده عنها وشوقها إليه. ما كان أصبرا: يتعجب من صبرها على فراق ابنها .

(٣) الحساء : جمع حِسْي ، وهو ماء يغور في الرمل ثم يستقر فوق صلابة ، فإذا كشف عنه وجد قريباً . مدافع قيصر : أعماله ، وما اتصل ببلاده مما يدافع عنه ويحميه .

(٤) قرت به العينان : كناية عن السرور والرضا .

(٥) جدي : حظي . خان : لم يف بالأمانه .

أرانا مُوضِعِين لأمرِ غَيبٍ ... ونُسْحَر بالطعام وبالشَّراب (١)

عصـــافيرٌ وذِبَّـانٌ ودودٌ ... وأجْرأ مِنْ مُجَلَّحَةِ الذِّئاب (٢)

وكُلّ مكارم الأخلاق صارتْ ... إليهِ همَّتي وبـــهِ اكتسابي (٣)

فبعضَ اللومَ عَـــاذِلَتي فإني ... ستكفيني التجاربُ وانتسابي (٤)

إلى عِـرقِ الثَّرى وَشجتْ عُروقي ... وهذا الموتُ يَسْلُبني شبابي (٥)

ونفسي سوف يسلُبها وَجِرْمي ... فيُلْحِقُني وَشيكاً بالتُّراب (٦)

ألَم أُنْضِ المَطِيَّ بكُلِّ خَرْقٍ ... أمقِّ الطُّول لَمَّاع السَّراب (٧)

وأرْكبُ في اللُّـهَام المَجْرِ حتى ... أنالَ مآكلَ القُحَم الرِّغاب (٨)

---

(١) ديوانه ، ص ٩٧ . موضعين : مسرعين . لأمر غيب : شيء غاب عنا ، أي غير معلوم ، ولعله يقصد الموت وما بعده . نسحر : نخدع ونُلهّى .

(٢) مجلحة : مصممة على الشيء .

(٣) همتي : عزيمتي . اكتسابي : سعيي وعملي .

(٤) بعض اللوم : يعني : خفّفي لومك رأقِلّي منه . العاذلة : من توجّـــه اللوم ، ولعله يقصد هنا خطوب الزمان الواعظة له .

(٥) وشجت عروقي : اشتبكت وتعلقت . إلى عرق الثرى وشجت عروقي : لعله يقصد أنه من تراب ومصيره إلى التراب .

(٦) الجرم : البَدَن وهو الجسم . وشيكاً : سريعاً .

(٧) أنضي : أهزِل. المطيّ : ما يُركب من الحيوانات. خرق : فلاة واسعة. أمق الطول: كثير الطول والاتساع . لمّاع السراب : هو ما يكون في الفلاة في منتصف النهار وشدة الحر ، فيُرى كأنه يلمع ويضطرب .

(٨) اللهام : الجيش الكثير الذي يخفي كل شيء ويلتهمه أي يبتلعه. المجر : الكثير الضخم. القحم : جمع قحمه وهي الضخمة ، من الاقتحام وهو التزاحم في شدة . الرغاب : الواسعة التي يرغب فيها . ويقصد بذلك الغنائم الكثيرة الضخمة .

وقد طوَّفْتُ في الآفـــاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب [(١)]
أَبعْدَ الحارث الملِكِ بن عمرٍو وبعدَ الخيرِ حُجرٍ ذي القِباب [(٢)]
أُرَجِّي من صُروفِ الدهر لِيناً ولم تَغفُل عن الصُّمِّ الصِّلاب [(٣)]
وأَعْلَمَ أنني عَمَّا قليلٍ سَأُنْشَبُ في شَبَا ظُفْرٍ ونَاب [(٤)]
كَمَا لاقَى أبي حُجْرٌ وجَدِّي ولا أَنْسَى قتيلاً بالكُلاب [(٥)]

فيرى أن الناس مسوقون إلى نهاية حتمية هي الموت ، ولكن عاقبتهـــا غير معروفة ، وما طعامهم وشرابهم إلا شيء يلهيهم ويخدعهم ، وليس الناس إلا مخلوقات ضعيفة ، ولكنهم يرتكبون الجرائم والآثام في وحشية وضراوة. ثم يدعي أنه بذل كل ما في وسعه من جهد لاكتساب المجـــد ، وقد عرك الأيام وعركتْه فاستفاد من تجاربه خبرات تكفيه لفهم حقيقة الحياة . وإنه ليعلم أن مصيره إلى التراب، فهو في الأصل منه، وفي النهاية إليه ، وسيوافيه عما قليل أجله ، فيسلبه قوته وعزته ، ويلحقه بأصله ، بعد أن كافح كفاح الأبطال . وهنا يدب اليأس إلى نفسه ، ويقطع الأمل في تحقيق أمانيـــه ، ويُقفل راجعاً من محاولاته ، راضياً من الغنيمة بالإياب إلى أهله من غير ظفر ولا فائدة أخرى ، ويصمم على انتظار نهايته الحتمية التي لاقاهـا جده وأبوه وأعمامه من قبل .

ويبدو أن تجاربه مع الناس قد جعلته لا يبالي بهم ، فإن فارقه خليل لم

---

(١) طوفت : أكثرت الطواف والتنقل في نواحي الأرض . الإياب : الرجوع .
(٢) الحارث بن عمرو : جدّه . حجر بن الحارث : أبوه . القباب : الأبنية الضخمة العالية .
(٣) صروف الدهر : نكبات الزمان وشدائده ، وهي الأمور المتقلبة بالنـــاس . أرجيّ : أتوقع . ليناً : سهلاً وصفاء من العيش . الصم : المصمتة . الهضاب : الصلبة .
(٤) شبا : حد . أنشب : يعلق ويثبت . يقصد بالأظفار والناب المنية .
(٥) قتيل الكلاب : عمه شرحبيل .

يأبه به ، وإذا أساء إليه قريب لا يكترث [١] :

وخليلٍ قد أُفارقُه ثم لا أَبكي على أَثَرِهْ
وابنَ عمٍّ قد تركتُ له صفوَ ماءِ الحوضِ عن كَدَرِه

وتكثر عليه الهموم والأحزان، ويزداد عليه الضيق والضجر ، وتشتد عليه العلل والأسقام يوماً بعد يوم ، حتى يخيل إليه أنه يموت كل يوم مرةً بل مرات [٢] :

فلو أنها نفسٌ تموتُ جَميعةً ولكنها نَفسٌ تَساقَطُ أَنْفُسَا [٣]
وبُدِّلتُ قَرْحاً دَامياً بعد صحةٍ لَعلَّ مَنَايَانا تحوَّلْنَ أبؤُسَا [٤]

ويبحث عن صديق ليسلّي عنه بعض ما يحسّه من حزن وكمد فلا يجد ، ويجول بخاطره باحثاً عن الحقيقة فيما يرى من تناقضات الأحداث فلا يرى جواباً شافياً [٥] :

مَنْ هُنَا لي مِن صَديق فلْيَعُدْ لِيعُدْني إنني اليومَ كَمِد [٦]

---

(١) ديوانه ، ص ١٢٦ . ويكني بكدره هنا عن إساءته .

(٢) ديوانه ، ص ١٠٧ .

(٣) تموت جميعة : يأتيها الموت دفعة واحدة وتنتهي في الحال . تساقط أنفساً : تموت مرات كثيرة ، كأنها ليست نفساً واحدة وإنما أنفس كثيرة ، وكل منها يموت مرة . يشير بذلك إلى تجدد الويلات واستمرار الأحزان عليه .

(٤) قرحاً : جرحاً . دامياً : يسيل منه الدم . تحولن : انقلبن وصرن . أبؤس : جمع بؤس وهو الشقاء والتعاسة ، يقصد أنه بعد أن كان ناعم البال ، مستريحاً مطمئناً تبدلت أحواله ونزلت به المحن والآلام ، ولزمته باستمرار . وكلما تنزل به محنة يحس كأنه يموت في كل مرة .

(٥) ديوانه ، ص ٢١٦ .

(٦) فليعد : فليأت . ليعدني : ليزرني ويواسني . كمد : حزين .

مِن خُطُوب تركَتْني قَلِقاً قَلَقَ المِحْوَر بالكَتِّ المَسَدْ[١]
بَيَّتتْني بِهُمومٍ شُرَّعٍ خلَسَتْ نَوْمِي وأَحْذَتْنِي السُّهدْ[٢]
ليتَ شعري ولِلَيْتٍ نَبوةٌ أين صارَ الروحُ إذ بانَ الجَسَد[٣]
بينما المرءُ شِهابٌ ثاقِب ضَرَبُ الدَّهرُ سَناه فَخَمَد[٤]
وَلَبَيْنَا المرءُ يَهْوِي قُدُماً أفسدَ الدهرُ غِناهُ ففسَد[٥]
وبِجَهْدٍ يَتَنَضَّى عَيشَهُ عاضَهُ الدهرُ ثَراءً فمَجَدْ[٦]
لا يَضُرُّ العجزُ ذا الجَدّ ولا يَنْفَعُ المحرومَ إيضاعٌ وكدّ[٧]
ناعمٌ في أهله ذو غِبْطَة وَمُناصٍ عَيشَ سوءٍ في كَبَد[٨]
ركبَ اللُّجَّ إلى اللُّج إلى غمراتِ البحرِ ذي الموتِ الأَشَدّ[٩]

---

(١) المحور : العود الذي يعترض في فَلْك البَكْرة ، وطرفاه في الخدين . الخطوب : جمع خطب ، وهي الأحداث . المسد : الحبل . الكت : الصوف .

(٢) شُرّع : واردات ؛ تقول : شرعت الدواب في الماء . خلست : استلبت . أحذتني : منحتني ؛ من الحُذْيا وهي العطية والهبة . السهد : عدم النوم .

(٣) نبوة : ارتفاع . ولليت نبوة : ارتفاع عما يأمله الإنسان ويتمناه . الروح يذكّر ويؤنّث . بان : انقطع وانفصل .

(٤) الشهاب : الضوء والنور . ثاقب : متلهب متوقد. سناه : ضوءه. خمد : انطفأ وسكت.

(٥) يهوي : يجري في عيشه ومتقلّبه . قُدُماً : متقدماً مسرعاً .

(٦) بجهد : بمشقة وتعب. يتنضَّى عيشه : يستلّه ويحتال في تخلصه لنفسه . عاضه: عوّضه. الثراء : كثرة المال . مجد : شرف وارتفع .

(٧) العجز : الضعف وقلة الحيلة . الجد : الحظ والبخت . المحروم : يعني سيء الحظ . الإيضاع : سير شديد . كد : كبد : تعب .

(٨) ناعم في أهله : هادىء مطمئن يعيش في نعمة بينهم . غبطة : بهجة ومسرة . مناص : مائل متحول من الغبطة والسعة إلى ضيق العيش . كبد : شدة .

(٩) اللج : أمواج البحر ، وهو معظمه . غمرات : جمع غمرة وهي الشدائد . وكل شيء غطّى شيئاً فقد غمره .

حينَ أَرسَى كلٌّ من يعرفُه وارتمى الآذيُّ منه بالزَّبَدْ (١)
عاجِزُ الحيلة مُستر خي القُوى جاءه الدهرُ بمالٍ ووَلَدْ (٢)
ولَبيبٌ أَيِّد ذو حيلة مُحكَمُ المِرَّةِ مأمون العُقَد (٣)
حَصَّه الدهرُ وغَطَّى حَزمَه وانتضاه مِن عَبيد وسَبَد (٤)

إنه يتلفت حوله ، فلا يجد صاحباً يواسيه ، وقد توالت عليه الخطوب فأقضت مضجعه ، ولزمته الهموم والأحزان ، ويسرح بخاطره ، وهو في وحدته وبؤسه ، ويتأمل في أحوال الزمان والناس ، فيرى عجباً ، يوقعه في حيرة ، إذ يجد متناقضات وغرائب لا يستطيع لها فهماً ، ولا تعليلاً ، ويتمنى أن يعرف شيئاً عن حقيقتها : أين تصير الروح حين تفارق الجسد ؟ وقد يكون المرء في أوج النضرة والاكتمال ، فإذا به ينتهي في طرفة عين ! وبينما المرء يكافح ويناضل في قوة وأمل ، يقف الدهر في وجهه فيفسد سعيه ! وبينا المرء فقير لا يجد الكفاف إذا بالثراء العريض ينهال عليه ! والحظ لا يعوقه عائق ، فلا يمنعه عجز أو ضعف ، ولا يجلبه جهد أو كد . قوم ناعمون هادئون ، وآخرون أشقياء بائسون ، وركب الحياة يسير بالناس في بحور عميقة الغور متلاطمة الأمواج ، بعض ترسو سفنه وتثبت ، وبعض يذهب جفاء ، وضعيف غبي يعيش في أبهة وترف ، وقوي ذكي يرزح تحت نير البؤس والفاقة !

---

(١) أرسى : ثبت . ارتمى الآذي : رمى بعضه بعضاً . والآذي : الموج . الزبد : رغوة الماء ، ويقصد به كل تافه حقير .

(٢) القُوَى : جمع قوة ، وهي الطاقة من الحبل أو الخيط ، أو نحو ذلك .

(٣) لبيب : عاقل ، واللُّب : خالص العقل . أيِّد : شديد ، وهو فعيل من الأيْد وهو القوة . المِرّة : شدة الفتل . مأمون العقد : مضمونها ، ولا يخشى انحلالها .

(٤) حصه : أسقط عنه ماله . انتضاه : سلّه وأخرجه . سبد : شعر ، ويقصد به هنا جميع المال .

تأملات عجيبة أثارتها عنده حالته التي صار إليها ، وهي تدل على نفسية متعبة ، بائسة ، يائسة ، تنكرت لها الظروف ، وتغيرت بها الأحوال ، وابتلعتها الحياة في متاهاتها ، فضَلَّ سعيُها ، وخاب أملها !

* * *

إن هذا الركن من معرض الفنان يصور آخر فصل من حياته تصويراً دقيقاً ، إنه يعرض فيه آماله وآلامه ، وتتضح فيه خبراته وخلجات نفسه من خلال تجاربه مع الحياة والناس .

لقد رأينا في الفصل السابق ما قام به من محاولات مع الأفراد والقبائل لمساعدته على تحقيق أمانيه،وقد صور لنا هناك انطباعاته عن هذه المحاولات. أما في هذا الفصل فنرى فيه آخر محاولاته في سبيل الوصول إلى هدفه ، وما تركته التجارب التي قام بها في نفسه من آثار وخبرات .

إنه هنا يصور رحلته إلى قيصر الروم ، فنراه يخرج مصطحباً بعض الرفاق ، ويخترق شبه الجزيرة العربية حتى يصل إلى خملى وأوجر ، ثم تظهر له في الأفق حوران ، ويتابع سيره حتى يجتازها ويجتاز حماة وشيزر ،ويصل إلى بعلبك وحمص ، ويسير خمس عشرة ليلة في البلاد الخاضعة لحكم القيصر . وإلى هنا يتوقف الشاعر عن إكمال وصف الرحلة ، فلا نجد في شعره الذي اخترناه للدراسة والتحليل أخباراً أخرى عن رحلتههذه . فلا نعرف من هذا الشعر ما تم فيها ؛ أسارَ فيها إلى النهاية أم رجع ؟ وإن كان قد أكملها، فماذا كان موقف القيصر ؟ وكيف كانت النتيجة ؟ كل ذلك ونحوه لا نجد له أجوبة في هذا الشعر .

إلا أنه قد ورد له قصيدة أخرى أبيات تذكر موته في أرض الرومبدون تحديد لبقعة معينة منها ، إذ يقول [١] :

---

(١) ديوانه ، ص ٢١٣ .

فلو أني هلكتُ بدارِ قومي   لقلتُ الموتُ حقٌّ لا خُلودا
ولكني هلكتُ بأرض قومٍ   بَعيدٍ من دياركُم بَعيدا
أُعالجُ مُلْك قيصرَ كلَّ يومٍ   وأَجْدِرْ بالمنية أن تَعُودا
بأرض الروم لا نَسَبٌ قريب   ولا شافٍ فيُسنِد أو يَعُودا

ولكن من الواضح في شعره أن هذه الرحلة كانت شاقة على نفسه وعلى رفاقه، ويظهر عليهم الضيق والضجر ويشتد بهم الحنين إلى ديارهم، وكانوا موزعين بين ألم الحاضر وأمل المستقبل، وكلما تقدموا في السفر وبعدوا عن الأهل والوطن أحسوا الغربة والوحشة مما يدل على أنها كانت ثقيلة لا على أصحابه فقط، بل وعليه هو نفسه كذلك.

ومع ما كان يشعر به هو من ضيق ومضاضة وألم نفسي لما يلاقي في هذا السفر الطويل الشاق، فقد ظهر التبرم والأسى على وجوه الرفاق ونفوسهم، فازداد هو ضجراً وقلقاً، واشتد به التأثر الحزين، وعلته الكآبة، وبدت له الدنيا متجهمة سوداء قاتمة، وقد كانت الشاعرية شفافة لدى الشاعر في كل هذه الأطوار، فسجلت إحساساته فيها جميعاً كما رأيناها في العرض السابق، فصور لنا خلجات نفسه وأصحابه في كل مرحلة.

وتظهر الدقة والصدق في تصوير المشاعر الانسانية في كثير من المواقف، فهو في وقت الحزن والألم لا ينسى أن يتذكر أوقات لذته ومتعته فيظهرها من خلال مناظر الصورة القاتمة كأنما كان يبغي بها الترويح عن نفسه، وتسليتها بأنها قد كان لها نصيب من المتعة في هذه الحياة.

والأسى يبعث الأسى كما يقولون، فالحزن يثير ما سبقه من أحزان ويجددها، وهكذا رأينا الشاعر كلما ألمت به كارثة تذكر ما نزل به من كوارث سابقة فيستعيد ذكرياتها، كأنما يريد أن يصور ظلم الحياة له ليستثير العطف أو الشفقة نحوه، أو كأنما يبغي أن يظهر نفسه بمظهر الجلد الصبور

الذي تعود على تلقي الصدمات والنوازل بصدر رحب ، وقد وطد نفسه على تلقيها . ولن تؤثر فيه أكثر من عجم عوده وبناء شخصيته ، فهو بطل لايأبه بالكوارث ولا يتهيبها .

والمرء في ساعات الضيق واليأس ، تظلم الدنيـا في عينيه ، ويبدو كل ما حوله أسود قاتم ، وتتراءى له الحياة كأنها ليس فيها مـا يستحق الاهتمام ، فتحجب عن بصيرته كل ما فيها من مباهج ومسرات ، ولا يظهر أمامـه إلا كل سيء قبيح ، فيرى ظواهر تبدو كأنها متناقضات وعجـائب ، يستعصى عليه فهمها وإدراك حقيقتها ، وهنا يستولي عليه اليأس والقنوط ، وهذا هو ما رأينا الشاعر يصوره بدقة واتقان .

إن صوره في هذا الجانب توضح حالته النفسية في أواخر حياتــه ؛ فهو يبدو في أول الأمر طامح العينين ، يرنو ببصره الى العلا والمجد ، ويملأ التفاؤل جوانبه ، فيصمم مشروعاً لصروح من الأماني والآمال ، ويستجمع كل قواه للبدء في المشروع ، ويأخذ في البناء بوضع الأساس ، ويكد ويتعب ، ويواصل العمل والجهاد ، وفي أثناء العمل تتكشف له حقائق ما كان يتوقعها ولا يحسب لها حساباً ، فيشغل بها عن السير في إكمال البناء ، وكأنما كانت أسس هــذه الصّروح من رمال ، سرعان ما انهارت فوق رأسه ، فخر مغشيـاً عليه ، واختفى تحت رمال الآمال .

الشعر المنسوب إلى امرئ القيس

بعد التحليل والدراسة للقسم الذي اخترناه من ديوان امريء القيس للتعرف على جوانبه المختلفة ، أعتقد أنه تكونت لدينا فكرة عن شخصية امريء القيس واتجاهاته وميوله الفنية ، ونستطيع على ضوء هذه الفكرة أن نستعرض الشعر المنسوب إلى امريء القيس ، لنرى ما في كل منه مما يتفق مع هذه الفكرة وما يخالفها وبذلك يتبين ما يمكن أن ينسب إليه وما لا يمكن .

ونعني بالشعر المنسوب إلى امريء القيس ، كل ما ورد له في الديوان غير ذلك القسم الذي مرّ تحليله ودراسته ، وهو الذي يبدأ من القصيدة رقم ٤٨ إلى القصيدة رقم ١٠٠ [١] ، ويضاف إليه الشعر الذي ألحقه بالديوان محققه الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم ، وهو الذي عثر عليه في قراءاته ولم يرد في أصول الديوان الخطية التي اعتمد عليها في نشر الديوان ومعظم هذا الملحق [٢] مقطوعات كل منها بيت واحد أو بيتان .

أما القصيدة رقم ٤٨ فقد أجمع أهل البصرة والكوفة على أنها منحولة ، وقيل إنها لإبراهيم بن بشير الأنصاري ،وإذا نظرنا فيها نجد أن في بعض أبياتها ما لا يتفق مع ما عهدناه لامريء القيس من المعاني والأسلوب ، مثل[٣] .

---

(١) الديوان ، ص ٢٢٥ - ٣٦٤ .

(٢) الديوان ، ص ٤٥٧ - ٤٧٧ .

(٣) الديوان ، ص ٢٢٥ . غربيب : أسود. القصب : جمع أقصاب وهي الأمعاء. مضطمر: ضامر . ملحوب : قليل اللحم .

الخيرُ ما طلعتْ شمسٌ وما غربتْ   مُطَلَّبٌ بنواصي الخيل مَعصوب
والعين قادحةٌ ، والبدُّ سابحةٌ   والرِّجلُ طامحة ، واللون غِربيب
والماءُ منهمرٌ ، والشَّدُّ مُنحدِرٌ   والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والمتنُ مَلحوبُ

فالمعنى في البيت الأول ليس من معانيه ، والتقسيم الموسيقى وهو المعروف بالترصيع في البيتين الآخرين لم يعهد له بهذا الشكل . ثم إنه في القصيدة يشبه سرعة فرس الصيد وشدتها بجال عُقاب تطارد ذئباً وهو تصوير طويل لم يعهد له كذلك .

ومثل ذلك نجده في القصيدة التاسعة والأربعين ، ففيها حديث عن لهوه مع مجموعة من النساء (١) :

بَرَدت مَراشِفُها عليَّ فردَّني   عنها وعن قُبلاتها البَرْدُ
وتسومُني الأُخرَى وتلك شهية   والموتُ دون رقابنا بَعْدُ
فأَبِيتُ أنعمَ ناعِمٍ مُطِرِ الصِّبا   لو نال حيًّا نالني الخُلْدُ
وكَعَابُها مسروقة ، وَدَرِيمةٌ   أقدامُها ، وتَكادُ لا تبدو
وفَواترٌ أبصارها ، وبَواهِر   أعجازها ، وكذاك ما أشدُو
وخصورها مَحنُوَّةٌ ، ومتونُها   مَحطوطةٌ ، وبطونُها مُلْدُ
وفروعُها سَبغيةٌ وأنوفُها   شرعية ، وثُديُّها نُهدُ

---

(١) ديوانه ، ص ٢٣١ . مراشفها : شفاهها . البرد : النوم . كعابها مسروقة : يعني لا تستبين كأنها سرقت . دريمة أقدامها : غير ظاهرة العظام . فواتر : فاترة . بواهر : ضخمة . محطوطة : مُلْس سهلة ليست منتفخة . ملد : ناعمة . سبغية : كثيرة طويلة . شرعية : طويلة. نهد : منتصبة . رُبد : تميل إلى السواد .

وخدودُها مصقولة ، وعيونها مكحولة ، وشفاهها رُبد

ويبدو أن صانعها قد قلد فيها قصة امرىء القيس مع بيت العذارى ، ولكن هذه فيها معان بعيدة عن امرىء القيس ، ثم هذا الترصيع الكثير ليس من أسلوبه وظاهر التكلف . وعلى العموم هذه القصيدة ظاهرة الضعف، ويتضح ذلك في هذه الأبيات :

ولقد لهوتُ بِكُلّ ذَلِكَ حِقْبَةً ولقد يُقلّ غَوَايتي الرُّشْد

للناس أموالٌ تُرَى ومَعايشٌ مالٌ يَبيدُ ومالِيَ الجَمْدُ

المجد والإقدامُ أجمع والندَى أَحْمِي العشيرةَ ذلك المجدُ

والقصيدة الخمسون [1] روى صاحب الأغاني أربعة أبيات ونسبها إلى امرىء القيس بن عابس الكندي، وقال : « هكذا روى أبو عمرو الشيباني ، وقال: إن من يرويها لامرىء القيس بن حجر يغلط» وإذا نظرنا في هذه القصيدة نجدها مختلطة مع القصيدة الأربعين ، وقد سبق أن ذكرنا أن الأصمعي دفعها، وتتضمن كذلك معاني يستبعد مجيئها من امرىء القيس ، مثل .

لا أستقيد لِمَنْ دَعا لِصِباً قسراً ، ولا أُصْطَادُ بالخَتْل [2]

فما سمعناه يُرغَم على اللهو ، ولا ادّعي أنه خُدع عن نفسه حتى وقع في العبث ، ومثل [3] :

اللهَ أَنْجَحُ ما طلبتُ به والبرُّ خيرُ حَقيبةَ الرَّحلِ

ومن الطريقة جائرٌ وهُدًى قصدُ السبيل،ومنه ذو دَخْل

---

(١) ديوانه ، ص ٢٣٦ .

(٢) قسراً : قهراً . الختل : المخادعة والاستلاب .

(٣) ديوانه ، ص ٢٣٨ .

فمتى كان امرؤ القيس مؤمناً بالله ، وداعياً الى الهـدى ، كأنه واعظ ؟ إنها معان إسلامية ، ولا شك .

أما الحادية والخمسون [1] ، فقيل عنها إنها منحولة ، وقيل إنها ليزيد بن الطثرية ، وأغلب الظن أنها تقليد لامرىء القيس ، وضح فيها صانعها أماني أمرىء القيس الأربع التي أشرنا إليها عند الحديث عن فخره ، ويقلد فيهـا قصة « بيضة الخدر » ولكنه هنا يزداد في العبث إذ يصوره قد بعث إليها ، بدلاً من ذهابـه هو ، فتأتي ويصحبها أربع كواعب ، وقد تركت وليدها الرضيـع .

وأما الثانية والخمسون [2] فمستبعد مجيئها من امرىء القيس ، لأنهـا عبارة عن محاورة بين حبيبين : فهو ينتقص من قيمة زوجها ، وترد عليه هي ، على النحو التالي :

فأقول نَحسٌ ، إنه رجـل من عُصبة كأكولة الرأس [3]
فتقول قوادُ الجياد إلى أرض العدو وبلدة البأس

وهكذا إلى آخر القصيدة ، فكلها حوار تمثيلي طويل وهذا أسلوب بعيد كل البعد عن امريء القيس .

وأما الثالثة والخمسون ، فهي ثلاثة أبيات ، وقـد زعم ابن الكلبي أنها لرجل يلقب بالذائد ، وقد نسبها الآمدي [4] إلى امريء القيس بن الحارث بن معاوية بن ثور الكندي . وقد اوردناها فيما سبق .

---

(١) ديوانه ، ص ٢٤٠ .
(٢) ديوانه ، ص ٢٤٣ .
(٣) العصبة : الجماعة . أكولة الرأس : يكفيهم رأس واحد ، كناية عن قلة العدد . الجياد: الخيل الكريمة السريعة القوية . البأس : الشدة .
(٤) المؤتلف والمختلف ، ص ١٢ .

والقصيدة الرابعة والخمسون [1] يبدو أنها من نسج صانعي قصة حياته ؛ فقد ذكر فيها منادمة لقيصر ، وإكرامه ، ويغلب على الظن أن واضعها من طيء ، ففيها دعاء بالخير لهم ، وتحامل على معدّ ، ووصية بالبطولة في الحرب وتمجيد للأبطال والكرام ، وذلك لم يعهد له ، فبعيد الاحتمال أن يقول امرؤ القيس [2] :

فأوصيكُمُ بطعان الكماة إذا ما مَعَدٌّ أرادت مَريدا
فِنعم الفوارسُ تحتَ العَجاج إذا ما الحديدُ أصَلّ الحديدا
ونعم المعاقلُ للخائفين إذا خِيفَ مِنْ ذائد أن يَحيدا
كرامٌ إذا الضيفُ عندَ الشتاء إذا ما المَشارِعُ أضحتْ جليدا

وأما القصيدة الخامسة والخمسون فهي متداخلة في القصيدة السادسة عشرة ففيها كل أبياتها ، وتزيد الخامسة والخمسون أبياتاً كثيرة واضح فيها أنها ليست من أسلوبه الذي ألفناه ، مثل [3] :

قولا خليليَّ لذا العاذِل هل يُجعَلُ الجائرُ كالعادل
هل ماجدٌ أظهرَ في قومه عُذراً كمن سارعَ في الباطل
أم هل ذوو الغيّ كأهلِ الحجا أم هل رشيدُ الأمرِ كالجاهل

والأبيات الأربعة التي تتكون منها المقطوعة السادسة والخمسون وأولها [4] :

أَلَا حَيِّ ابنة الغنويِّ مَيَّا وإن بَعُدت نَواها من نَوَيَّا

---

(١) ديوانه ، ص ٢٥١ .

(٢) ديوانه ، ص ٢٥٤ . مريداً : مراداً . أصل : أحدث صوتاً . المشارع : جمع مشرعة وهي الطرق التي تشرع فيها الإبل وغيرها إلى الماء .

(٣) ديوانه ، ص ٢٥٥ .

(٤) ديوانه ، ص ٢٥٩ .

ليس فيها روح غزله ، بل ليس فيها روح الغزل الجاهلي . وكذلك أبيات المقطوعة السابعة والخمسين التي يمدح فيها سعد بن الضباب ، وأولها [١] :

منعتَ الليثَ من أكل ابن حُجْر ... وكادَ الليثُ يُودِي بابن حُجْر

يستبعد أن تكون له ، والضعف فيها ظاهر ، وليس من المعقول أن يصف عدوه بأنه ليث ، وأنه كاد يفترسه . والمقطوعة الثامنة والخمسون التي تقول الأخبار عنها إنه قالها عندما علم بقتل أبيه ، وقد أوردناها في سرد الأخبار التي تروي قصة حياته ، أبياتها ضعيفة ، كما أن البيت الأخير منها وهو [٢] :

ألا يَحضُرُونَ لدى بابه ... كما يَحضُرون إذا ما أكل

لا يليق به ، فما ينبغي لمن يبحث عن المُلك أن يعيّر الأعداء بالأكل عند أبيه ، وبخاصة أنه كان ملكاً عليهم .

وأما القصيدة التاسعة والخمسون فهي شبيهة بغزل الفرزدق ، ويبدو أنها مصنوعة على غرار يوم دارة جلجل . وربما كان مما يؤيد أن القصيدة الستين[٣] منحولة أنها تتحدث عن شيبه وأثره في نفسه ، والمعروف أنه لم يكن قد شاب ، أو على الأقل لم يصل به الشيب إلى الحد المذكور في القصيدة . ثم إنه يصف نفسه بالملك الكندي ، ولم يحدث أن كان ملكاً ، وتشيد القصيدة بسيادة كندة وسلطانها . ويغلب على الظن أن صانعها من كندة ، وقد احتذى في صناعتها معلقة امرىء القيس ، وقصيدته الثانية حتى أنه جاء فيها بأبيات وألفاظ هي هي ، أو مع تغيير طفيف .

أما القصيدة الحادية والستون [٤] فليس فيها روحه ، وقد ورد فيها أنه

---

(١) ديوانه ، ص ٢٦٠ .

(٢) ديوانه ، ص ٢٦١ .

(٣) ديوانه ، ص ٢٦٥ .

(٤) ديوانه ، ص ٢٧٠ .

كان ربيئة للقوم في الصيد ، وأنه مارَسَ الميسر ، وكان دليلاً يهدي من ضل به الطريق ، وهذا كله لم يعهد فيه .

وأما القصيدة الثانية والستون [١] فيغلب على الظن أنها إسلامية ، ففيها تصوير لقصة أصحاب الصريم [٢] ، والتواثق بالله غريب منه ، كما أن فيها تصوير ريق الحبيبة بعسل الرُّطب ، وحديث طويل عن جني النخل ، ولم يعهد له مثل هذا من قبل .

والقصيدة الثالثة والستون [٣] شبيهة بكلامه . وأما الرابعة والستون [٤] فليست مما يميل إليه ، ويبدو أن صانعها من كندة. وأما بيتا المقطوعة الخامسة والستين [٥] فربما كانا له يبكي فيهما حاله وحال قومه . والمقطوعة السادسة والستون [٦] يحتمل أنها من وضع رواة قصة حياته . وبيتا المقطوعة السابعة والستين [٧] اللتين فيهما هجاء لقيصر لا شك في اختلاقهما على امرىء القيس ، ولعل مما ساعد على دسهما عليه ما شاع عنه من العبث والمجون .

وأما المقطوعة الثامنة والستون [٨] ، فليس فيها أسلوبه . وأما القصيدة التاسعة والستون [٩] ، فقيل إنهـا لبشامة البجلي ، ويبدو أنها ليست من أسلوب امريء القيس كذلك .

والقصيدة السبعون [١٠] ، قيل إنها لعبد الله بن عبد الرحمن ، وموضوعاتها

---

(١) ديوانه ، ص ٢٧٢ .
(٢) سورة القلم ، الآية ١٧ وما بعدها .
(٣) ديوانه ، ص ٢٧٥ .
(٤) ديوانه ، ص ٢٧٧ .
(٥) ديوانه ، ص ٢٧٨ .
(٦) ديوانه ، ص ٢٧٩ .
(٧) ديوانه ، ص ٢٨٠ .
(٨) ديوانه ص ٢٨١ .
(٩) ديوانه ، ص ٢٨٢ ،
(١٠) ديوانه ، ص ٢٨٨ ،

ليست مما كان يطرقه امرؤ القيس ، ففيها حنين ولهفة لبُعد الشقة بينه وبين الحبيبة ، ووصية لمراد وغسان وشنوءة ودعاء للاخيرة ، وفداء لها بنفسه ، فلماذا يكون كل ذلك من امريء القيس ؟ .

وأما القصيدة الحادية والسبعون [١] ، فقيل إنها لأبي دؤار الإيادي ، وفيها حديث عن خلف الحبيبة له ، وذلك لم نعهده لامريء القيس ، وأسلوبها على العموم لا يشاكل أسلوبه .

والقصيدة الثانية والسبعون [٢] ، قيل إنها لعمرو بن مَيْناس المرادي ، وهو مخضرم . وفي الحديث عن الأطلال فيها نجد وصفاً للقوم الذين كانوا ينزلونها وأنهم كانوا أهل قباب وقرى ، وفيها حديث عن الشيب الذي كسا الحبيب ، وفيها :

عفت الدارُ بهمْ فانتجَعُوا أكل الدهرُ عليهمْ وشَرِب [٣]
عَهْدُهَا بِي ناشئاً ذا غِرَّةٍ فاضِلَ المئزر ذا بطنٍ أقب [٤]
ولَهَا ثَغرٌ نقيٌّ لونُه كالأَقاحِيّ يُرَى فيه شَنَب [٥]
بانَ منها الحُسْنُ إلا ذِكره وتدلَّى الثديُ منها فاضطَرب [٦]

وهذا كله مما لا نعهده في امريء القيس .

---

(١) ديوانه ، ص ٢٩١ .
(٢) ديوانه ، ص ٢٩٣ .
(٣) عفت : درست . انتجعوا : طلبوا النجعة وهي الكلأ والخصب .
(٤) ناشيء : غلام قارب الحلم . أقب : ضامر البطن .
(٥) ثغر : يعني الأسنان . الأقاحي والأقحوان : نبت له زهر أبيض صغير مستو . شنب : تحزير الأسنان وتحديدها .
(٦) بان انقطع .

وأما القصيدة الثالثة والسبعون [1] فأسلوبها غنائي راقص ، وفي معانيها ما لا يمت بسبب لامريء القيس مثل :

عظيمةُ حِلْمٍ إذا استنطِقَت تُطيل السكوتَ إذا لم تُسَلْ
وبَلْهَاءُ من غير عِيٍّ بها يَرَى لُبَّهَا ظاهرا مَن عَقَلْ
وما ذقتُ فاهَا ولكنني أراهُ عَلى كلِّ نَعْتٍ فضَلْ
وعاصيتُ في حبِّها مَن لَحَا ولم يَشْفِ قلبَ السقيمِ العذَلْ
وبُدِّلْتُ منها اتباعَ المُنَى لَعمرُ أبيها لبئس البــدَلْ

وفي القصيدة الرابعة والسبعين [2] ، أسلوب وموضوعات لم يعهد تصويرها لامرىء القيس بمثل ما جاء فيها . فهناك الترصيع المفتعل في :

قطَّاع واصلة ، وَصَّال قاطعة وهَّاب أو هِبة ، للخير مُحتَسِب
طعّان مَقْتَلة ، وهّاب مثقلة شَعّـالُ مُشْعَلة ، شعواء تَلْتَهِب
جَوّاب طامِسةٍ ، طَلّاب آنسة غرّاء من دونها الأَستار والحُجُب

وهذا التنغيم ، وما يتضمنه من معان ليس من المـألوف لامريء القيس ، كذلك ما جاء في القصيدة من تصوير بديع للماء المهجور ، والثعبان ، والبيد ما عهدناه عند امريء القيس .

أما القصيدة الخامسة والسبعون [3] ، فواضحة الانتحال ، وواضعها قـد

---

(١) ديوانه ، ص ٢٩٦ ،

(٢) ديوانه ، ص ٣٠٠ . أوهبة : جمع وهبة وهي الهبة والعطية . مثقــلة : يقصد الديات التي يثقل حملها . مشعلة : يعني الحرب . شعواء : منتشرة متسعة . طامسة : أرض طمست لا ترى معالمها . الآنسة : المرأة التي تؤنس بحديثها . غراء : بيضاء .

(٣) ديوانه ، ص ٣٠٨ .

يكون من كندة ، أو أزد شنوءة ، أو غسّان ، وقد نسب فيها إلى امريء القيس أشياء لم تكن فيه ، مثل :

أرَى المَلِكَ الذي قد كانَ فينا ﻳُفيد رغائباً ، ويُقيتُ مالا
ويُعطِي القينةَ الحسناءَ تُروِي نداماه ، ويضطلع الثقالا

فمتى كان ذلك ، هو نفسه لم يدّع هذه الادعاءات في الشعر الذي درسناه له ، ولعل أحد أقاربه آلمه ألا يجد له ذلك في شعره ، فصنعها له . وعجيب أن نرى له مثل :

وإنْ تَهْلِكْ شَنوءةُ أو تَبدَّلْ فَسيرِي إنَّ في غسّان خالا
بعزِّهِمُ عَززْتَ ، وإن يَذِلّوا فذلُّهُمُ أَنالَك ما أنالا

حقيقة كانت بين كندة وغسان مصاهرة ، ولكن كانت بينهما عداوة كذلك ، مما يجعلنا نستبعد أن يتيه امرؤ القيس بعزهم ويذل لذلهم .

وأما السادسة والسبعون [١] ، فيظهر فيها بوضوح أنها ليست له ، بل ولا من العصر الجاهلي ، ففيها تنويع في الأوصاف ، وتلاعب بالألفاظ يصل إلى حد الإلغاز ، مما لا يؤلف عند الجاهليين ، ففيها [٢] عن الحبيبة :

بَلْ أمُّ عمرٍو لَكَ شَجوٌ مُضمَرُ

(١) ديوانه ، ص ٣١٢ ،

(٢) شجو : حزن . أبغث : أغبر اللون . أغثى : كريه المنظر . غثث : بشع الصورة . غثوثر : مخلّط في أمره . غثاغث : منظره مرعب . فعم : ممتلىء . الحماة : ما كان على الوركين . دغفر : ضخم . أهرت : واسع الشدق جداً . هزبر : من أسماء الأسد . أزبر : عظيم ما فوق العُرْف . منعكر الكر : يكرور الهجوم دائماً . مضامض : فاتح فمه . مصكّ : يرمي نفسه على كل شيء . مطحر : مفعل من الطحْر وهو الدفع. قضاقض : يدق الرءوس والأصلاب ويكسرها. والقضقضة : الذي يكثر من تكسير العظام . قضور : من أسماء الأسد . ضار : متعود للقتال والصيد . ضبور : وثاب . ضيغم : كثير العض .

هي الجوَى والسُّقْم المُقَدَّر

وفيها عن الاسد :

أبغثُ أَغثى غَثيثٌ غَثَوْثَرُ
غُثاغِثٌ فَعْمُ الحماة دَغْفَرُ
أهرتُ هَرّاتٌ هِزَبْرٌ أزْبَرُ
مُنعكِر الكَـرِّ سميـعٌ مُبْصِر
مُضَامِضٌ ماضٍ مِصَكٌّ مِطْحَرُ
قُضَاقِضٌ قُضْقُضَة قَضَوّر
ضـارٍ ضبورٌ ضَيغم ضَبَيْطَرُ

وكذلك القصيدة السابعة والسبعون (١) ، موسيقاها ، ونسجها ، وكثير من معانيها توحي بأنها غير جاهلية ، فهنـــاك الترصيع الكثير والجناس ، والطباق ، والمقابلة ، والمعاني غير المألوفة لامريء القيس في :

بِحَمل الديات ، وفكِّ العُناة وقتـــل الكُماةِ مَعَدًّا عَلَوتُ
أَبى اللهُ والسيفُ لي والسِّنَانُ أَنْ اخْذَلَ في كِنْدَةٍ ما حييتُ
وقومٍ ضَرَرتُ ،وقومٍ نفعتُ وقومٍ مدحتُ ، وقومٍ هجوتُ
وقَومٍ جررتُ إلى رُشدهم وقوم إلى حتفهم قـــد دعوتُ

(٣) ديوانه ، ص ٣١٩ . بيض منعت : يريد النساء . بيض سلبت : يريد السيوف . بيض كنفت : يريد النساء أي جعلتهن في كنفي . بيض كفيت : لم أعرض لهن أنا ولا غيري . قِرن: نظير ومماثل . شأوت : سبعت . شِعر وقفت : حبسته .

وحيٍّ أبرتُ وحيٍّ جَبرت وحيّ عصمتُ ، وحيّ نَفَيت

وخيلٍ طرَدتُ،وحربٍ ضَرَستُ وأمرٍ نَهَيْت ، ونَهبٍ حَوَيت

وبِيضٍ مَنعْت،وبِيضٍ سَلَبتُ وَبيض كَنفت ، وبيض كَفَيت

وقِرْنٍ غلَبتُ ، وقِرْن سَلَبتُ وَقرن كتَفت ، وقرن شأوت

وشِعر نطقتُ ، وشِعر وقفتُ وشعر كتمتُ ، وشعر رويتُ

ومثل ذلك القصيدة الثامنة والسبعون [١] فقيل إنها لرجل من كندة ، وكذلك فيها معان ليست جاهلية ، وفي كثير من أبياتها تلاعب بالألفاظ ، وأهم ما فيها وصف للانفعالات النفسية التي تعتري الشاعر حينما يقرض الشعر ، فيشبه ما يجيش في صدره بقاصف من الرعد .

إذا ما اعتلَجْنَا خِلْتَ في الصدر قاصِفاً

كَرَجَّة رَعْدٍ صادقٍ حينَ يَرْجُف [٢]

مُلِثٌّ مُربٌّ مُكفَهِرٌّ يَحُثّه حَثيثٌ يُزَجِّي وَبلَه فيُوَكِّفُ [٣]

أَجَشٌّ هَزِيم جَوْشَنيٌّ رَشيشُه مَرِيشٌ كَمِيشُ الرَّشِّ رِيٌّ يُرَيِّفُ [٤]

---

(١) ديوانه ، ص ٣٢٣ .

(٢) اعتلج : افتعل من المعالجة ، وهي المحاولة . القاصف : الذي يكسر كل شيء من الرعد أو الريح أو الصواعق . رجة : زلزلة . يرجف : يزعزع.

(٣) ملث : دائم . مرب : مقيم لا يبرح . مكفهر : مظلم . يزجى : يسوق . الوابل : المطر العظيم القطر . يوكف : يعني يتلقاه ويتوقعه .

(٤) الأجش : الصوت الذي فيه بُحَّة . هزيم : متكسر بالمطر . جوشني : ضخم كثير . رشيش : فعيل من الرش . مريش : مُعانٌ ومساعَد ، من قولهم : راشني فلان أي أعانني وأنهضني كأنما جعل لي ريشاً . كميش : منكمش . ريّ : يروي الناس والبلاد . يريّف : من الريف وهو الخصب .

مَهِيلٌ مَهُولٌ مُسْتَهِلٌّ مُهَلْهَــلٌ مُصِلٌّ صَئُولٌ مُصْمَئِلٌّ مُسَفْسَفُ(١)

تَكَبْكَبَ فانكَبَّتْ مناكِبُ نُكَّبٌ تنكّبَ مستخفي الكَواكب يَكْنُفُ(٢)

فَغَمْغَمَ في جوّ السماء مُغمغماً فغمغم مِلْثامُ السحاب المؤلَّفُ(٣)

تَرقْرَقَ فاهراقَ ورَنَّق برقُـه وراقتْ بُروقٌ في نواحيه تَخْطف(٤)

فلما طفَا طافٍ عليه وقد طَفَا طَفيفٌ أطفّ الطبلَ بالرعد مُسْقِفُ(٥)

وروّى سحابٌ بعدكُنهٍ وأُرسِلت عليـه سماء تستمدٌّ وتعطفُ(٦)

---

(١) مهيل ومهول ومستهل : كثير متدفق . ومهلهل : رقيق خفيف ، يقصد أنـه يجيء بالسيل الشديد مرة وبالرقيق مرة أخرى . مصلّ : له صلصلة أي صوت . صئول : صلب شديد وكذلك المصمئل ، مسفسف : دان من الأرض .

(٢) الكبكبة : الجماعة ، وتكبكب السحاب : صار قطعة قطعة . انكب : هبط وسقط . مناكبه : أعاليه . نُكّب : آخذة على غير الجهة ، وكذلك السحاب تدرّ على السهل والجبل . مستخفي الكواكب : ظاهرة بالليل ، أو المستترة . يكنف : يعم الأرض والبلاد بالمطر .

(٣) الغمغمة : الكلام في الحرب الذي لايفهم. جو السماء : ما بينها وبين الأرض . مغمغماً: يعني في حال غمغمته . ملثام السحاب : الذي يلثم الأرض يعني يدنو منهـا . المؤلف : الذي ألفته الرياح بعضه فوق بعض .

(٤) ترقرق : يعني السحاب تبـع بعضه بعضاً . اهراق : انصب وسال ، رنـق برقه : ارتفع . تخطف : يريد تأخذ الأبصار مستعجلة .

(٥) طفا طاف : ارتفع عليه مرتفع من الغثاء والزبد وغيره . طفا طفيف : ارتفع من شيء يسير .المسقف:الذي هو فوقه كالسقف.أطف الطبل مسقف:شبه صوت الرعد والرياح بالذي يرفع الطبل فيضربه .

(٦) روّي : سقى الأرض . بعد كنه : بعد غاية بلغت من المطر . سماء (هنا) مطر . تستمد : تَدُرّ من مدد جاءها من سحابات أخر .

نشاءةَ إنشاءٍ لذي العرشِ واحـــداً
فأنشأ نَشْئاً مُنشِيء الريحِ مكسِفُ [1]

فذلك منا الدأب حتى نَقُدَّها مثالاً كبُنيان يشادُ ويُرصَف [2]

ولا نعتقد أن مثل ذلك كان يخطر على بال امريء القيس ، والتكلف ظاهر في الألفاظ ، والعبارات ، وهذا يؤيد بـُعدها عن امريء القيس .

والقصيدة التاسعة والسبعون[3] انتحالها واضح، ففيها كثير من الأشياء التي لم تكن من صفات امرىء القيس ولا من طبيعته ، كما أن فيها مبادىء وتعبيرات إسلامية كثيرة ، منها :

وأعرفُ غِشَّ المرء في لحنِ قوله لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا
خذ العفو واصفح عن أمور كثيرة ودَعْ كدَرَ الأخلاق واعمد لِماصَفَا
ولا تزهَدنّ الدهرَ في نُصْح مُقْترِ مُقِلٍّ ولا يُعجبْك إن كانَ ذا غِنَى
وإن كنت يوماً بين خصمين شاهدا فقل لهما وجهاً من الحق والتُّقَى
ولا تكُ مختالاً بمشيك واقتصِدْ فإن الذي يختال يمشي على قِلَى
إذا ما اتقى الله الفتى ثم لم يكن على أهله كَلاًّ فقد كَمَلَ الفتى

والمقطوعة الثمانون [4] خمسة أبيات تذكر علته بانقرة ويغلب على الظن أنها من نسج واضعي قصته الذين يذكرون أنه أتم الرحلة إلى قيصر الروم . وأما

(١) نشاءة : خلقة . ذي العرش : الله تعالى . منشىء الريح : خالقها ومبتدئها . مكسف لها : أي إذا أذهبها .
(٢) الدأب : العادة . يشاد : يبنى بالشيد وهو الجص ، يرصف : يؤلف بعضه إلى بعض .
(٣) ديوانه ، ص ٣٣٠ .
(٤) ديوانه ، ص ٣٣٩ .

أبيات الحادية والثمانين الثلاثة فهي تشابه كلامه . وكذلك المقطوعات الثانية والثمانون والثالثة والثمانون والرابعة والثمانون والخامسة والثمانون [١] يجوز أن تكون له .

وأبيات السادسة والثمانين [٢] الثلاثة يستبعد أن تكون له ، فهي مدح ضعيف وفيها إقواء ،أما بيتا السابعة والثمانين [٣] ، فيشابهان كلامه ، ويحتمل أن يكونا له .

وأما القصيدة الثامنة والثمانون [٤] ففيها أبيات مكررة مع القصيدة الثامنة، وقد سبق أن أخرجناها من دائره البحث ، لأن أبا عبيدة قال عنها إنها محمولة عليه .

وأبيات القصيدة التاسعة والثمانين [٥] تتحدث عن ذكريات ماضيه،ولكنها ضعيفة لا تشاكل ما عهدناه له في مثل ذلك ، وكذلك بيتا كلٍّ من المقطوعتين التسعين والحادية والتسعين [٦] .

أما بيتا الثانية والتسعين فهما ذم لبني عدوان وفهم ، ويحتمل أن يكونا مما صنعه بعض أعداء هؤلاء الناس . وكذلك الثالثة والتسعون [٧] بأبياتها الثلاثة يحتمل أن تكون مما اختلقه بعض أعداء بني حنظلة .

والمقطوعة الرابعة والتسعون [٨] فيها أربعة أبيات مجزوءة يقال إنه قالها لما حضرته المنية بأنقرة ، ويحتمل أن تكون من وضع من يروون قصة موته هناك .

---

(١) ديوانه ، ص ٣٤١ - ٣٤٣ .
(٣٠٢) ديوانه ، ص ٣٤٤ .
(٤) ديوانه ، ص ٣٤٥ .
(٥) ديوانه ، ص ٣٤٦ .
(٦) ديوانه ، ص ٣٤٧ .
(٧) ديوانه ، ص ٣٤٨ .
(٨) ديوانه ، ص ٣٤٩ .

أما أبيات الخامسة والتسعين[1] وهي خمسة مجزوءة ، فلا تشاكل كلامه .

وفي المقطوعة السادسة والتسعين[2] ثلاثة أبيات تتحدث عن طبيعة الحرب، ويستبعد أن تكون له ، لأنه ليس من رجال الحرب ، ولا وردت له فيها أشعار تدل على انفعاله بها .

والمقطوعتان السابعة والتسعون والثامنة والتسعون [3] كل منهما ، يتكون من بيتين ، وفيهما حديث عنه عند موته ، وقد تكونان من وضع من تحدثوا عن قصة حياته .

أما القصيدة التاسعة والتسعون [4] فيغلب على الظن أنها لكنديّ متأخر عن العصر الجاهلي ، فهي تضم مفاخر لكندة ، فتذكر ملوكها ، وحكمهم القبائل ، وثأر امرىء القيس من بني أسد ، وفيها تعبيرات قرآنية ، مثل :

هل تَرْقينَّ إلى السَّماء بسُلَّم ... ولترجِعَنَّ إلى العزيز ذليلا

حتى أباحَ ديارُهمْ فأبارَهُمْ ... فَعَمُوا فهم لا يهتدون سبيلا

وأما القصيدة المائة [5] فليست مما يشاكل كلامه .

وإذا نظرنا في الملحق الذي بآخر الديوان ، نجد أن معظمه مقطوعات تتكون بيت أو بيتين ، وفيها كثير قدنص على انتحاله، أو نسب إلى شخص آخر ، مع امرىء القيس ، ثم إن الأبيات المفردة من الصعب إبداء الرأي فيها من ناحية نسبتها إلى شاعر معين ، إذ لا يتبين سياقها ، وقد لا يتضح المقصود منها وهي وحدها وليس هناك ما يستحق النظر ، من هذا الملحق ، إلا القصيدة الخامسة عشرة فيه [6] والقصيدة السابعة والعشرون ، وقدرويت

(١،٢) ديوانه ، ص ٣٥٣ .

(٣) الديوان ، ص ٣٥٧ .

(٤) ديوانه ، ص ٣٥٨ .

(٥) ديوانه ، ص ٣٦٢ .

(٦) الديوان ، ص ٤٦١ .

برواية أُخرى في القصيدة الثامنة والعشرين [1] .

أما القصيدة الخامسة عشرة ، فهي أسئلة من عبيد بن الأبرص عن الأوابد ، وإجابات عنها من امرىء القيس ، فهي من الأحاجي ، ويغلب على الظن أنها صنعت بعد الإسلام ، فقد ورد فيها :

تلك السحاب إذا الرحمن أرسلها   روّى بها من مُحول الأرض أيباسا

وايضاً :

تلك الموازينُ والرحمنُ أنزلها   ربُّ البرية بين الناس مقياسا

فروح الإسلام ظاهرة فيهما بوضوح .

وأما القصيدة السابعة والعشرون وروايتها الأخرى الثامنة والعشرون ، ففي منتهى البعد عن امرىء القيس فكلٌّ منهما غزل سهل ليس من الغزل الجاهلي في شيء ، وهناك إشارة إلى لعبة الشطرنج وقطعه ، ثم تلاعب عجيب بالألفاظ ، ويبدو أن من تلاعب بالألفاظ ونسبها إليه ، أعجبه ذلك ، فجاء في هذا بما يثير الضحك ، فهناك مثلاً :

ألا لا ألَا إلَّا لآلاءِ لابثٍ   ولا لا ألا إلّا لآلاءِ من رَحَلْ

فكم كم وكم كم ثم كم كم وكم وكم   قطعتُ الفيافي والمهامهَ لم أمَلّ

وكافٌ وكفكافٌ وكفّي بكفّها

وكافٌ كفوف الوَدْق من كفها انْهَمَلْ

فلَوْ لو ولَوْ لَو ثم لَو لَو ولَو ولو   دنا دار سلمى كنت أولَ من وصَلْ

---

(١) ديوانه ، ص ٤٦٥ .

وفي في وفي في ثم في في وفي وفي   وفي وجنتيْ سَلمى أقبّل لم أَمَل
وَسَلْ سَلْ وسَلْ سَلْ ثم سَلْ سَلْ وسلْ وسلْ
وَسَلْ دارَ سَلمى والربوعَ فكم أَسَلْ
وَشصْنَلْ وشَصْنَلْ ثم شَصْنَل عَشَنْصل
عَلَى حاجبَيْ سَلمى يزينُ مع المُقَلْ

فهذا وأمثاله ليس بعيداً عن امرىء القيس فقط ، بل عن العصر الجاهلي كله ، فلم يكن هذا من سمة ذلك العصر .

وتكملة لهذا الموضوع يجدر بنا أن نلقي نظرة على هذه القصائد التسع التي أخرجناها عن دائرة البحث من روايتي الأصمعي والمفضل ، فهي مع ذلك تعتبر من الشعر المنسوب إليه .

وإذا رجعنا إليها فإننا نجد أن فيها جميعها ما يثير الشك، ماعدا القصيدة الثامنة ، فإنها تشابه شعر امرىء القيس ، ولكن ما دامت قد طعنت فقد أصبحت موضع الاتهام ولا تصلح في مجال البحث في شخصية الشاعر وفنه .

أما القصائد الثماني الأخر فيوجد في كل منها بعض الظواهر التي رأيناها في الشعر المنسوب الذي عرضناه هنا ؛ فالقصيدة الخامسة فيها إشارة إلى لعب الميسر ، والجناس المتعمد ، وذكر أخته ضعيفة ، والصعود على المرقبة ربيئة ، وهذه كلها لم نعهدها في امرىء القيس . والقصيدة الثانية عشرة فيها وصف لكلاب الصيد ، والثامنة عشرة أسلوبها ومعانيها مما يستبعد أن يكون لامرىء القيس .

وقال المرزباني : « روى أبو الحسن علي بن هارون المنجم ، قال : حضر أحمد بن أبي طاهر مجلس جدي أبي الحسن علي بن يحيى يوماً بعد أن أخل به أياماً ، فعاتبه أبو الحسن على انقطاعه عنه . فقال أحمد : كنت متشاغلاً

باختيار شعر امرىء القيس . فأنكر عليه أبو الحسن قوله هذا ، وقال : أما تستحي من هذا القول ؟ وأي شيء مرذول في شعر امريء القيس حتى تحتاج إلى اختياره ؟ واتسع القول بينهما في ذلك إلى أن قال أبي – أبو عبدالله هارون بن علي – لأبيه أبي الحسن :قد صدقت ياسيدي في وصف شعر امرىء القيس ، ولكن فيه ما يفضل بعضه بعضا ، وإلا فقوله [1] :

يا هندُ لا تنكحي بَوهَة عليه عقيقته أحسبَا
مُرَسَّعةٌ بين أرباقه بـه عَسَم يبتَغي أرنبا
ليجعل في ساقِه كعبَهـا حِذارَ المنية أن يَعطَبـا
ولست بخزراقة في القُعودِ ولستُ بطيَّاخـة أخْدَبا
ولست بذي رَثْيَةٍ إمَّرٍ إذا قِيدَ مستكرَهاً أصْحَبَا

أهو مما يختار ويوصف بهذه الأوصاف مع ما في هذه الأبيات من حوشي الكلام ، وجساء الألفاظ ، وخلوها من كثير الفائدة ؟ قـال : فأمسك أبو الحسن [2] . » وقد سبق أن ذكرنا أن الآمـدي نفى نسبتها لامريء القيس ابن حجر .

وأما الثانية والعشرون فلا تتناسب مع طموحه كما قال الأصمعي ولكن ربما تكون قد قالها امرؤ القيس بعد غدر الزمان به وتغير أحواله . والتاسعة والعشرون ، فيها موضوعات ، وطريقـة في العرض والتصوير ، مما لم نعهده

---

(١) القصيدة ١٨ ، ديوانه ص ١٢٨. وقد سبق أن ذكرنا شرح ما في الأبيات الثلاثة الأولى من غريب . والخزراقة : الخوار الضعيف ، أي يضعف عن النهوض من القعـود . والطياخة : الأحمق المستمر على السفه . الأخدب : الذي يتطاول في حمقه وجهله . الرثية : وجع المفاصل من الضعـف والكبر . والإمرّ : الضعيف . مستكرهاً : رغماً عنه . أصحبَ : انقاد وتبـع . والأرباق : جمع ربق ، وهو الحبل .

(٢) الموشح ، ص ٤٣ - ٤٤ .

له . وفي القصيدتين الثانية والثلاثين والأربعين من المعاني ما لم نجده في شعره الذي حللناه ، هذا بالإضافة إلى الضعف الظاهر فيهما وفي الأبيات الثلاثة التي تتكون منها المقطوعة الثالثة والأربعون .

* * *

وهكذا نجد أن هناك قلة ضئيلة من الشعر المنسوب إلى امرىء القيس فيها مشابهة لروح امرىء القيس وميوله وأسلوبه ، وهي لم تكن عرضة للطعن ، ولا مثيرة للشك والاحتمالات ، ومن ثم يجوز أن تكون نسبتها إليه صحيحة.

أما الغالبية العظمى من هذا – كما رأينا في تتبعنا لقصائده ومقطوعاته ، واحدة واحدة – فتثير الشك والاتهام ، فمنها ما نص العلماء والنقاد السابقون على انتحاله ، وبعضها قد عيّن فيها اسم شاعر آخر غير امرىء القيس نسبت إليه ، ومنها ما فيه ظواهر تجعلها عرضة للاتهام واحتمال الانتحال ، كأن يكون فيها مـا لم نعهده لامرىء القيس من حيث الفكرة أو الأسلوب ، أو الصفات والعادات ، أو الروح العامة له ، أو كأن يكون فيها ما لا يتفق مع الاتجاه الأدبي العام للعصر الجاهلي ، أو كأن يكون فيها تأثر ظاهر بالقرآن الكريم والإسلام .

نقد شعر امرئ القيس

آراء السابقين فيه :

كان امرؤ القيس ميالاً بطبيعته إلى الشعر ، فأحبه وقرأ منه كثيراً ، وكان راوية ابي دؤاد الإيادي ، ولما اكتمل نموه الأدبي ، فاضت عواطفه بالشعر ، ويبدو أنه أحس من نفسه قوة في هذا الميدان ، فكان « شديد الظنة في شعره كثير المنازعة لأهله ، مدلاً فيه بنفسه ، واثقاً بقدرته » [١]. قال الأصمعي [٢]: « قال أبو عمرو بن العلاء : كان امرؤ القيس مِعَنّاً [٣] ، ضلّيلا ، ينازع كل من ادّعى الشعر » .

وكان أبو عبيدة يقول : « افتتح الشعر بامرىء القيس ، وختم بابن هرمة [٤] » وقال الجمحي : « فارس اليمن في بني زبير عمرو بن معد يكرب ، وشاعرها امرؤ القيس [٥] » .

وقال ابن رشيق [٦] : « والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكرهم حتى غلبوا على

---

(١) العمدة ، ج ١ ص ٢٠٣ .
(٢) ديوان امرىء القيس ص ١٤٧ .
(٣) المِعَنّ : من يدخل فيما لا يعنيه .
(٤) العمدة ، ج ١ ص ٩٠ .
(٥) العمدة ، ج ٢ ص ١٩٣ .
(٦) العمدة ، ج ١ ص ٩٤ .

سائر من كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله ، وتتعصب له ، وقلّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرىء القيس : أنه أشعر الشعراء، وقائدهم إلى النار. يعني شعراء الجاهلية والمشركين. قال دعبل بن علي الخزاعي: ولا يقود قوماً إلا أميرهم . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله ، وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم ، خَسَف لهم عين الشعر فافتقر عن معانٍ عورٍ أصحّ بصرٍ[1] » .

وفضّله علي رضي الله عنه بأن قال : « رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة[2]. »

وقال الأصمعي : « طريق الشعر هو طريق الفحول ، مثل امرىء القيس وزهير والنابغة[3] . »

وقال ابن سلام[4]: «أخبرني أبان بن عثمان البجلي ، قال : مر لبيد بالكوفة في بني نهد ، فأتبعوه رسولاً يسأله : من أشعر الناس ؟ قال : الملك الضليل » . وقال ابن سلام كذلك : « أخبرني شعيب بن صخر بن هارون ابن إبراهيم قال : سمعت قائلا يقول للفرزدق : من أشعر الناس يا أبا فراس؟ قال : ذو القروح . يعني امرأ القيس » .

« وقيل لكُثيّر أو لنصيب : من أشعر الناس ؟ فقال امرؤ القيس اذا

---

(١) قال عبد الكريم في تفسير قول عمر رضي الله عنه : خسف لهم : من الخسيف ، وهي البئر التي حفرت في حجارة ، فخرج منها ماء كثير . افتقر : فتح، وهو من الفقير أي فم القناة. عن معان عور : يعني أن امرأ القيس من اليمن ، وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزار ، فجعل لهم معاني عُوراً فتح منها امرؤ القيس أصحّ بصرٍ . قال : وامرؤ القيس يماني النسب ، نزاري الدار والمنشأ .

(٢) العمدة ، ج ١ ص ٩٤ .

(٣) الموشح ، ص ٨٥ .

(٤) طبقات الشعراء ، ص ١٦ .

ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب [1] ».

وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلمة يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية ، وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس ، وأضربهم مثلاً طرفة ، وأما أشعر شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم ، وجرير أهجاهم ، والأخطل أوصفهم [2] . »

وقال ابن سلام : « أخبرني يونس بن حبيب أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرؤ القيس بن حجر [3] » .

وقال ابن رشيق : « وقد قال العلماء بالشعر : إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوه، ولكنه سبق إلى أشياء، فاستحسنها الشعراء ، واتبعوه فيها ، لأنه قيل أول من لطف المعـاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبَيْض ، وشبّه الخيل بالعِقبان والعِصيّ ، وفرّق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرّب مآخذ الكلام ، فقيّد الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه [4] » . وهذا مأخوذ من ابن سلام اذ قال : « فاحتج لامريء القيس من يقدّمه ، وليس أنه قـال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعته فيها الشعراء ، منها : استيقاف صحبه ، والبكاء في الديار ، ورقـة النسيب ، وقرب المأخذ ، وشبّه النساء بالظباء والبَيْض ، والخيل بالعقبان والعصِيّ ، وقيّد الأوابد ، وأجاد في التشبيه ، وفصل بين النسيب وبين المعنى ، وكان أحسن طبقته تشبيهاً [5] » .

وقال ابن رشيق عن امريء القيس : « [6] وله اختراعات كثيرة يضيق

---

(١) العمدة جـ ١ ص ٩٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٦ .
(٣) طبقات الشعراء ، ص ١٦ .
(٤) العمدة ، جـ ١ ص ٩٤ .
(٥) طبقات الشعراء ، ص ١٧ .
(٦) العمدة ، جـ ١ ص ٢٦٢ .

عنها الموضع ، وهو أكثر الناس اختراعاً في الشعر ، وأكثرهم توليداً . ويقول: ومن المخترع قوله :

سموتُ إليها بعد ما نامَ أهلُها　　سُموَّ حَباب الماء حالاً علَى حالِ[(١)]

فإنه أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء إليه ، فلم ينازعه أحداً إياه ، وقوله :

كأن قلوب الطير رَطباً ويابساً
لدَى وَكرِها العُناب والحشَف البالي[(٢)]

وعدّه ابن رشيق من وصّافي الخيل كأبي دؤاد ، وطفيل الغنوي والنابغة الجعدي[(٣)] .

وقد أعجب بعض النقاد بأبيات له ، فقالوا إنها أحسن بيت في موضوعه؛ من ذلك : أن الأصمعي كان يقول[(٤)] : « أغزل بيت قالته العرب قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي　　بسهميك في أعشار قلب مقتل[(٥)]

وروي أن عبد الأعلى الجمحي قال[(٦)] : « كنت في موكب المهدي يوماً ، وهو يسير بين أبي عبيد الله وعمر بن أبي بزيغ ، وأنا وراءه ، فقال لهما : ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال أبو عبيد الله : قول امرىء القيس :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي　　بسهميك في أعشار قلب مقتل

---

(١) ديوان امرىء القيس ، ص ٣١ .
(٢) الديوان ، ص ٣٨ .
(٣) العمدة ، جـ ٢ ص ١٢٠ .
(٤) الديوان ، ص ١٣ .
(٥) الموشح ، ص ٢٣٤ .

« ويقولون (١) : أحسن الطعن الخلاسُ والخِلاج ، كقول امريء القيس:

نطعنهم سُلكَى ومخلوجة كرَّك لأمين على نابل (٢)

وقال أبو هلال العسكوي ، بعد أن أورد بيت امريء القيس في وصف الفرس .

على سابح يعطيك قبل سؤاله أفانينَ جري غير كزّ ولا وانِ (٣)

« وما سمعنا أجود ، ولا أبلغ ، من قوله : « أفانين جري » . (٤) ، ويقول كذلك (٥) : » ومن الجيد قول امريء القيس :

ألم ترأني كلما جئت طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تطيَّب (٦)

ويقول ابن رشيق (٧) : « قول امرىء القيس :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل »

هو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر ، لأنه رقف، واستوقف ، وبكى ، واستبكى ، وذكر الحبيب ، والمنزل ، في مصراع واحد » .

وأحياناً كان بعض أبياته يثير نزاعاً بين النقاد ، فكان أحدهم يستحسن له قولاً ، ويعيبه آخر ، ويحاول كل منهما أن يبرر وجهة نظره . من ذلك أن أبا الحسن محمد بن أحمد بن طَبَاطَبا العَلَوي ، قال (٨) : روى الرواة

---

(١) الموشح ، ص ١٦٦ .
(٢) ديوانه ، ص ١٢٠ .
(٣) ديوانه ، ص ٩١ .
(٤) كتاب الصناعتين ، ص ٧٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١١١ .
(٦) ديوانه ، ص ٤١ .
(٧) العمدة ، جـ١ ص ٢١٨ .
(٨) الموشح ، ص ٣٨ .

لامريء القيس [1] :

كأني لم أركب جواداً لِلَذّة ولم أتبطَّن كاعباً ذات خَلخال
ولم أَسبأ الزق الرويّ ولم أقل لخيلي كرّي كَرّةً بعد إجفال

وهما بيتان حسنان ، ولو وضع مصراع كل واحد منهما في موضع الآخر كان أشكل وأدخل في استواء النسج ، فكان يروى :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كرّي كـرّة بعد إجفال
ولم أَسبأ الزق الرويّ للـذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ويورد ابن رشيق ذالك بطريقة أخرى ، فيقول : [2] » كان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمنتخب ، لا يكاد يسلم منه أحـــد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابـــه ، وظهر على صاحبه بالحجة الواضحة ، فأنشد يوماً هذين البيتين لامريء القيس :

كأني لم أركب جواداً للـذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلجال
ولم أَسبأ الزق الرويّ ولم أقل لخيلي كرّي كَرّة بعد إجفال

فقال : قد خالف فيهما وأفسد ، لو قال :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخيلي كري كرة بعد إجفال
ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

لكان جمع بين الشيء وشكله ، فذكر الجواد والكر في بيت ، وذكر

---

(١) الديوان ، ص ٣٥ .
(٢) العمدة ، ج ١ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

النساء والخمر في بيت . فالتبس الأمر بين يدي سيف الدولة ، وسلموا له ما قال . فقال رجل ممن حضر : ولا كرامة لهذا الرأى ؛ الله أصدق منك ، حيث يقول : » إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرَى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي[1]» فأتي بالجوع مع العرى،ولم يأت به مع الظمأ . فسُرّ سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة » .

ثم يستمر ابن رشيق ، قائلاً : « قول امرىء القيس أصوب ، ومعناه أعز وأغرب ، لأن اللذة التي ذكرها إنما هي للصيد ، هكذا قال العلماء ، ثم حكي عن شبابه وغشيانه النساء ، فجمع في البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة تدل على السلطان . وكذلك البيت الثاني ، لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه ؛ لأن الزق لا يسبأ إلاّ للذة ، فإن جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم في الصيد ، قلنا : في ذكر الزق الروي كفاية ، ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهية » .

ويعقّب على الآخر ، فيقول ابن رشيق : « وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء ؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة وفيه مع ذلك تناسب ، لأن العادة أن يقال : جائع عريان . ولم يستعمل في هذا الموضع « عطشان ولا ظمآن » . وقوله تعالى : « ظمأ » و « تضحى » متناسب ؛ لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس ، والظمأ من شأن مَن كانت هذه حاله » .

ومما أثير حول بعض أبياته كذلك : ما حدث من المرزباني إذ يقول عن امرىء القيس[2] : « تجده يفخر بطلب المجد والملك ، ويترفع عن العيش القليل والمال الكفاف ، ولكنه يَرِدُ له ما يدل على أنه يرضى بأدنى مستوى في الحياة ، ولذلك روي عن أبي عمرو بن العلاء أنّ رؤبة قال : ما رأيت

---

(١) سورة طه ، الآيتان : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) الموشح ، ص ٢٦ .

أفخر من قول امريء القيس [1] :

فلو أن ما أسعَى لأدنى معيشة كفاني، ولم أطلب، قليل من المال
ولكنما أسعى لمجـــد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

ولا أنذل من قوله [2] :

لنا غنم نسوِّقهـــا غِزار كأنّ قرون جِلّتهـــا العِصيّ
فتملأ بيتنا أَقِطـــاً وسَمْناً وحسبُك من غنىً شِبعٌ ورِيّ

وفي معرض الحديث عن المعـــاني في الشعر يقول قدامة بن جعفر [3] : « إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتـــين بأن يصف شيئاً وصفاً حسناً ، ثم يذمه بعد ذلك ذمًّا حسناً بيّناً ، غير منكر عليه ، ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم ، بل ذلك عندي يدل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها .... وكذلك رأيت من يعيب هـــذا الشاعر (يقصد امرأ القيس) أيضاً في سلوكه للمذهب الثاني الذي قدمته ، حيث استعمله باقتدار ، وقوة ، وتصرف فيه إحساناً وحذاقة ، وذلك في قوله :

فلو أن ما أسعي لأدنى معيشة كفاني ولم أَطلب قليلاً من المال
ولكنما أسعى لمجـــد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أَمثالي

وقوله في موضع آخر :

فتَملأ بيتنا أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وريّ

(١) الديوان ، ص ٣٩ .
(٢) الديوان ، ص ١٣٦ .
(٣) نقد الشعر ، ص ١٤ - ١٧ .

فإن من عابه زعم أنه من قبيل المناقضة حيث وصف نفسه في موضع بسموّ الهمة ، وقلة الرضا بدنيء العيش وأطرَى في موضع آخر القناعة وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشبعه وريه » .

ثم يستمر قائلاً : « وإذ قد ذكرت ذلك فلا بأس بالرد على هذا العائب في هذا الموضع ليكون فيما احتج به بعد التطريق لمن يؤثر النظر في هذا العلم إلى التمهر فيه ؛ فأقول : إنه لو تصفح أولاً قول امريء القيس حق تصفحه ، لم يجد معنى ناقض معنى ، فالمعنيان في الشعر متفقان ، إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقص ما في الآخر ، وليس أحد ممنوعاً من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض ؛ وذلك أنه قال في أحد المعنيين :

فلو أن ما اسعى لأدنى معيشة كفاني، ولم أطلب، قليل من المال

وهذا موافق لقوله « وحسبك من غنى شبع وريّ » ، ولكن في المعنى الأول زيادة ليست تناقضه لشيء ، وهو قوله : « ولكنني أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أؤثله » فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين ، والزيادة التي في الشعر الأول التي دل بها على همته ليست تنقص واحداً منهما ، ولا تنسخه ، وأرى أن هذا العائب ظن أن امرأ القيس قال في أحد الشعرين : إن القليل يكفيه ؛ وفي الآخر : إنه لا يكفيه . وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقل شيئاً من ذلك ولا ذهب إليه. ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئاً؛ من أجل أنه لم يكن في شرط شَرَطَه ، يحتاج إلى أن ينقض بعضه بعضاً ؛ ولا في معنى سلكه في كلمة واحدة أيضاً لم تجر مجرى العيب ؛ لأن الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقاً ، بل إنما يراد منه إذا أخذ في معنى من المعاني كائناً ما كان أن يجيده في وقته الحاضر ، لا أن ينسخ ما قاله في وقت آخر » .

ويظهر أن قدامة بن جعفر كان من أنصار امريء القيس المشغوفين بشعره حتى إنه دافع عنه فيما عيب عليه من الحديث في شعره عن الخلاعة والمجون ،

فيقول في نفس الموضع السابق : « رأيت من يعيب امريء القيس في قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

ويذكر أن هــذا معنى فاحش » . ثم يقول قدامه : « وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيــل جودة الشعر فيه ، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً كرداءة الخشب في ذاته » .

وفي بعض الأحيان كان أنصار امريء القيس يعقدون موازنات بينه وبين غيره من الشعراء لبيان أفضليته ، من ذلك ما يقوله المرزباني (١) : « قال محمد بن عبد الله العتبي : تشاجر الوليد بن عبد الملك وسلمة أخوه في شعر امريء القيس والنابغة الذبياني في وصف الليل أيهما أجود ، فرضيا بالشعبي فأحضر ، فأنشده الوليد :

كليني لهَمّ يا أُميمــــة ناصب وليل أُقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنْقضٍ وليس الذي يرعى النجوم بآيب
وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وأنشده الوليد قول امرى القيس (٢) :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عــليّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطّى بصلبــه وأردفَ أعجازاً وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليــل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

---

(١) الموشح ، ص ٣٢ وما بعدها .

(٢) الديوان ، ص ١٨ - ١٩ .

كأن الثريا علقت في مصامهـا بأمراس كُتان إلى صم جندل

قال : أما قول النابغة : « وصدر أراح الليل عازب همه » فإنه جعل صدره مألفاً للهموم ، وجعلها كالنعم العازبة بالنهار عنه ، الرائحة مع الليل إليه ، كما تُريح الرعاةُ السائمةَ بالليل إلى أماكنها . وهو أول من وصف أن الهموم متزايدة بالليل ، وتبعه الناس .. .. فالشعراء على هذا المعنى متفقون ولم يشذ عنهم إلا أحذقهم بالشعر » .

ثم قال : والمبتدىء بالإحسان فيه امرؤ القيس ؛ فإنه بحذقه وحسن طبعه وجودة قريحته ، كره أن يقول : إن الهمّ في حبه يخفّ عنه في نهاره ، ويزيد في ليله، فجعل الليل والنهار سواء عليه في قلقه وهمه ، وجزعه وغمه ، فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فأحسن في هذا المعنى الذي ذهب إليه ، وإن كانت العادة غيره ، والصورة لا توحيه » .

ويقول : « وإنما أجمع الشعراء على ذلك من تضاعف بلائهم بالليل ، وشدة كلفهم ، لقلة المساعد ، وفقد الحبيب، وتقييد اللفظ عن أقصى مرامي النظر الذي لا بد أن يؤدي إلى القلب بتأمله سبباً يخفف عنه ، أو يغلب عليه فينسى ما سواه » .

ثم يقول: « وأبيات امرىء القيس في وصف الليل أبيات اشتمل الإحسان عليها ، ولاح الحذقُ فيها ، وبان الطبع بها ، فما فيها مَعَاب إلا من جهة واحدة عند أمراء الكلام والحذق بنقد الشعر وتمييزه ، ولولا خوفي من ظن بعضهم أني أغفلت ذلك ما ذكرته . والعيب قوله – بعد البيت الذي ذكرته – :

فقلت له لّما تمطّى بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فلم يشرح قوله « فقلت له » ما أراد ، إلا في البيت الثاني ، فصار مضافاً إليه ، متعلقاً به ، وهذا عيب عندهم ؛ لأن خير الشعر ما لم يحتج بيت منه إلى بيت آخر ، وخير الأبيات ما استغنى بعض أجزائه ببعض إلى وصول القافية ..... وقد تبع الناس امرأ القيس وصدّقوا قوله ، وجعلوا نهارهم كليلهم ، لِما أراده امرؤ القيس ولغيره » .

* * *

وقد استغل العلماء والنقاد شعر امرىء القيس فتتبعوه بالدراسة والتحليل ليستنبطوا منه ما يهمهم في مختلف العلوم والدراسات، ومن ثم نجده في كثير من البحوث ، ومن أهم ما عني به الباحثون دراسته من الناحية البلاغية ، وقد وجد فيه من المحسنات :

التشبيه : وهو كثير جداً في شعره ، وقد يكون تشبيه شيء بشي ، كقوله [1] :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه نصال النبل بأنياب الأغوال ، لما في النفس من الغول من بشاعة الصورة [2] . وقد يكون تشبيه شيئين بشيئين في بيت واحد ، كقوله [3] :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدَى وكرِها العُنّاب والحَشَف البالي

---

(١) ديوانه ، ص ٣٣ .

(٢) العمدة ، جـ ١ ص ٢٨٨ .

(٣) ديوانه ، ص ٣٨ .

وقد يكون أكثر من ذلك كقوله [1] :

له أيطلا ظبي ، وساقا نعامـــة وإرخاءُ سِرحان ، وتَقريب تَنْفُل

فشبه فيه أربعة بأربعة ، بدون كاف التشبيه ، ويقـول ابن رشيق [2] : « وهو أول من فتح هذا الباب ، فجاء بتشبيه إضافـة كما ترى ، حتى جعله تحقيقاً ، لولا مفهوم الخطاب » . ومن تشبيهاته بغير الكاف قوله [3] :

سموتُ إليها بعد ما نام أهلهـا سموّ حَباب الماء حالاً على حال

وقوله [4] :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرُّض أثناء الوشاح المفصَّل

ويقول ابن رشيق ، ومن التشبيهات العُقم[5] ، أي التي لم يسبق أصحابها إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم إليها ..... قول امرىء القيس [6] :

كأن ثبيراً في عرانـــين وبله كبير أناس في بجاد مُزمَّـــل

والاستعارة . كقوله [7] :

وليل كموج البحر أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتـــلي

---

(١) الديوان ، ص ٢١ .
(٢) العمدة ، جـ ١ ص ٢٩٣ .
(٣) ديوانه ، ص ٣١ .
(٤) الديوان ، ص ١٤ ،
(٥) العمدة ، جـ ١ ص ٢٩٧ . وقيل إن العقم هنا مشتق من الريح العَقيم ، وهي الـــتي لا تلقح شجرة ، ولا تنتج ثمرة .
(٦) ديوانه ، ص ٢٥ .
(٧) ديوانه ، ص ١٨ .

فقلت له لمـــا تمطّى بصلبـــه وأردف أعجـــازاً وناء بكلكل

فاستعار للّيل سدولاً يرخيها ، وهي الستور ، وصلباً يتمطّى بـــه ، وأعجازاً يردفها ، وكلكلاً ينوء به [1] . وقال الرماني : « الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ببيان لا تنوب منابـة الحقيقة كقول امرىء القيس : « قيد الأوابد » . [2]

ويقول ابن رشيق[3] : ومن ضروب الاستعارة **التمثيل** ، وهو المماثـــلة عند بعضهم، وذلك بأن تمثل شيئاً بشيء فيه استعارة نحو قول امرىء القيس[4] — وهو أول من ابتكره ، ولم يأت أملح منه — :

وما ذرفت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثّل عينيها بسهمي الميسر ، يعني المعلّى وله سبعة أنصباء ، والرقيب وله ثلاثة أنصباء ، فصار جميـع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثّل بهما عينيها، ومثّل قلبه بأعشار الجزور ، فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .

ويقول أبو هلال العسكري عن المماثلة[5] : «هي أن يريد المتكلم العبارة (أي التعبير) عن معنى فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر إلا أنـــه ينبىء إذا أورده عن المعنى الذي أراده ، كقول امرىء القيس [6] :

ثياب بني عوف طَهارَى نقيـــة وأوجُههم عنـد المشاهد غُرّان

يريد أنهم لا عيب فيهم ، وليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب ،

---

(١) العمدة ، ج ١ ص ٢٧٦ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ص ٢٧٢ .

(٣) العمدة ، ج ١ ص ٢٧٧ .

(٤) الديوان ، ص ١٣ .

(٥) كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٥ .

(٦) الديوان ، ص ٨٣ .

وإنما استعمل فيه تمثيلاً .

والكناية ؛ كقوله [١] :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتعت من لَهْوٍ بها غير معجل

فقد كنّى بالبيضة عن المرأة .

والرمز ؛ كقوله [٢] :

ظللتَ ردائي فوق رأسي، قاعدا ... أعد الحصَى ما تنقضي عبرَاتي

يرمز إلى الهم والحزن ، يقول إنه لما غشي ديار الحي ، فلم يجد أحداً ، وضع رداءه فوق رأسه، وجلس مفكراً، يعد الحصى ، ودموعه لا ترقأ [٣].

والطباق ؛ كقوله [٤] :

مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطَّه السيل من عل [٥]

وقوله [٦] :

بماء سحاب زلّ عن ظهر صخرة ... إلى بطن أخرى طيب طعمه خَصر

والمقابلة ، كقوله [٧] :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

---

(١) الديوان ، ص ١٣ .

(٢) الديوان ، ص ٧٨ .

(٣) العمدة ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(٤) كتاب الصناعتين ، ص ٣٤٨ .

(٥) ديوانه ، ص ١٩ .

(٦) الديوان ، ص ١١١ .

(٧) الديوان ، ص ٣٨ . والعمدة ، ج ٢ ص ١٩ .

قابل الرطب أولاً بالعتاب ، وقابل اليابس ثانياً بالحشف .

والجناس ، مثل (١) :

بلاد عريضة ، وأرض أريضة   مدافع غيث في فضاء عريض

وقوله (٢) :

وخَرق كجوف العير قفر مَضِلة   قطعتُ بِسامٍ ساهم الوجه حُسّان

والترصيع ، ويقول قدامة(٣) إنه من نعوت الوزن ، وهو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع ، أو شبيه به، أو من جنس واحد في التصريف ، كقول امرئ القيس (٤) :

وأوتاده ماذية، وعماده   ردينية ، فيها أسنة قعضب

فقد سجع في لفظتين بالحرف نفسه ، وقوله (٥) :

سَليم الشّظَى ، عَبل الشوَى ، شَنِج النّسا

له حَجبات مشرفات عَلى الفالِ (٦)

والتكرار ؛ ويقول ابن رشيق (٧) : « أكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني ، وهو في المعاني دونه الألفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى فذلك الخذلان ، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلاّ على جهة التشوق

---

(١) ديوانه ، ص ٧٣ .

(٢) الديوان ، ص ٩٢ .

(٣) نقد الشعر ، ص ٢٩ . والعمدة ، ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) ديوانه ، ص ٥٣ .

(٥) كتاب الصناعتين ، ص ٣٧٥ .

(٦) الديوان ، ص ٣٦ .

(٧) العمدة ، ج ٢ ص ٧٤ .

والاستعذاب إذا كان في تغزل أو نسيب ، كقول امرىء القيس [1] » ويقول ابن رشيق : « ولم يتخلص أحد تخلصه ، فيما ذكره عبد الكريم وغيره ، ولا سلم سلامته في هذا الباب :

ديار لسلمى عافياتٌ بذي الخال   ألحَّ عليها كلّ أسحم هطـال
وتحسب سلمى لا تزال كعهدنا   بوادي الخُزَامى أو على رأس أوعَال
وتحسب سلمى لا تزالُ تَرَى طَلًا   من الوحش أو بَيْضاً بميثاء مِحْلَال
ليالي سلمى إذ تريك منضدا   وجِيداً كجِيد الرئم ليس بمعطال »

ويقول : «ومن تكرار المعاني قول امرىء القيس [2] – وما رأيت أحداً نبه عليه [3] :

فيا لك من ليل كأن نجومـه   بكل مغار الفتل شدت بيذْبل
كأن الثريا علقت في مصامهـا   بأمراس كتان إلى صم جندل

فالبيت الأول يغني عن الثاني ، والثاني يغني عن الأول ، ومعناهما واحد، لأن النجوم تشتمل على الثريا ، كما أن يذبل يشتمل على صُمّ الجندل ، وقوله : « شدت بيذبل » مثل قوله : « علقت بأمراس كتان » .

والاتساع؛ « وهي أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل ،فيأتي كل واحد بمعنى ، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى ، من ذلك قول امرىء القيس [4] :

---

(١) الديوان ، ص ٢٧ - ٢٨ . أسحم : سحاب أسود . الرسّ : البئر . أوعال : هضبة يقال لها ذات أوعال . الطلا : ولد الظبية والبقرة . الميثاء : مسيل الوادي. محلال: الذي يُحَل أي ينزل عليه كثيراً . منضداً : ثغراً أسنانه حسنة .

(٢) الديوان ، ص ١٩ .

(٣) العمدة ، جـ ٢ ص ٧٧ .

(٤) الديوان ، ص ١٩ .

مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل

فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر ، ويحسن مقبلا ومدبرا، ثم قال : «معاً» أي جمع ذلك فيه ، وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل ، فاذا انحط من عال كان شديد السرعة ، فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه » ويقول ابن رشيق : « وذهب قوم منهم عبد الكريم إلى أن معنى قوله : « كجلمود صخر حطه من عل » إنما هو الصلابة ، لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب ». ثم يستمر فيقول: «وقال بعض من فسره من المحدثين : إنما أراد الإفراط ، فزعم أنه يرى مقبلا ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر ، لشدة سرعته ، واعترض على نفسه، واحتج بما يوجد عياناً ، فمثله كالجلمود المنحدر من قنة الجبل ، فإنك ترى ظهره في النصبة على الحال التي ترى فيها بطنه ، وهو مقبل إليك » . ثم قال ابن رشيق : « ولعل هذا ما مرّ قط ببال امرىء القيس ، ولا خطر في وهمه ، ولا وقع في خلده [1] » .

والتتميم ؛ ويقول ابن رشيق [2] : « ومن التتميم الحسن قول امرىء القيس [3] :

على هيكل يعطيك قبل سؤاله أفانين جري غير كز ولا وان

فقوله : « قبل سؤاله » تتميم حسن لقوله : « أفانين جري » .

والاشارة ؛ ويقول قدامة بن جعفر [4] :«وهي أن يشير باللفظ إلى معان كثيرة » . ويمثل لها بقول امرىء القيس [5] :

---

(١) العمدة ، ج ٢ ص ٩٣ .

(٢) العمدة ، ج ٢ ص ٥٢ .

(٣) الديوان ، ص ٩١ .

(٤) نقد الشعر ، ص ١١١ .

(٥) الديوان ، ص ٩١ .

على هَيْكَلٍ يعطيك قبل سؤاله   أفانين جرى غيرَ كزٍّ ولا وانِ

ويقول : « فقد جمع بقوله : « أفانين جري » على ما لو عُدّ لكان كثيراً ، وضم إلى ذلك أيضاً جميع أوصاف الجودة في هذا الفرس ، وهو قوله : « قبل سؤاله » ، أي يذهب في هذه الأفانين طوعاً من غير حث ، وفي قوله : « غير كز ولا وان » ينفى عنه أن يكون معه الكزازة من قبل الجماح ، والمنازعة ، والوني » . ومن أمثلته أيضاً هنا قول امرىء القيس [1]:

فظل كمثل الخشف يرفع رأسه   وسائره مثل التراب المدقق

وجاء خفياً يسفن الأرض بطنُه   ترى الترب منه لازقاً كل ملزق

ويقول : « في هذا الشعر إجمال للمعاني كثير ، وأوكد ما فيه للمعاني من ذلك قوله : « كل ملزق » .

والارداف : ويقول قدامة : [2] « وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني ، فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى ، بل بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له ، فإذا دل على التابع أبان عن المتبوع ، كقول امريء القيس [3] :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها   نؤوم الضحا لم تنتطق عن تفضل

وإنما أراد امرؤ القيس أن يذكر ترف المرأة وأن لها من يكفيها ، فقال : نؤوم الضحا ، وأن فتيت المسك يبقى إلى الضحا فوق فراشها ، وكذلك سائر البيت ، أي هي لا تنتطق لتخدم ، ولكنها في بيتها متفضلة » . وأما

---

(١) ديوانه ، ص ١٧٢ .
(٢) نقد الشعر ، ص ١١٣ .
(٣) ديوانه ، ص ١٧ .

ابن رشيق [١] ، فيسمى هذا النوع : **التتبيع** [٢] ، ويقول إن قوماً يسمونه: **التجاوز** ؛ وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه في الصفة ، وينوب عنه في الدلالة عليه » ويقول : « وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف المرأة :

وتضحي فتيت المسك فوق فراشها نؤوم الضحا لم تنتطق عن تفضل»

ويشرح ذلك بقوله : « يضحى فتيت المسك » تتبيع ، وقوله : نـؤوم الضحا « تتبيع ثان ، وقوله : « لم تنتطق عن تفضل تتبيع ثالث » .ويقول « وإنما أراد أن يصفها بالترفـُّه والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة ، وأنها شريفة مكفية المؤونة ، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة » .

ومن الأمثلة التي ذكر هنا قدامة كذلك ، قول امرؤ القيس [٣] :

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ويقول : « فإنما أراد أن يصف هذا الفرس بالسرعة وأنه جواد ، فلم يتكلم باللفظ عينه ، ولكن بأردافه ، ولواحقه التابعة ، وذلك أن سرعة الفرس يتبعها أن تكون الأوابد ، وهي الوحوش ، كالمقيدة له إذا نجا في طلبها ، والناس يستجيدون لامرىء القيس هذه اللفظة ، فيقولون:هو أول من قيد الأوابد ، وإنما عني بها الدلالة على جودة الفرس وسرعته ، فلو قال ذلك بلفظه لم يكن عند الناس من الاستجادة ما جاء من إتيانه بالردف له » .

والمبالغة ، وهي عند أبي هلال العسكري [٤] : « أن تبلغ بالمعنى أقصى

---

(١) العمدة ، جـ ١ ص ٣١٣ .

(٢) جمع أبو هلال العسكري الاصطلاحين في تسمية هذا النوع فسماه:« الأرداف والتوابع» (كتاب الصناعتين ، ص ٣٥٢) .

(٣) الديوان ، ص ١٩ .

(٤) كتاب الصناعتين ، ٣٦٥ .

غاياته وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة منه على أدنى منـــازله وأقرب مراتبه » . ومن أمثلتها ، قول امرىء القيس [١] :

من القاصرات الطرف لو دبَّ مُحوِل

من الذرِّ فوق الإتب منهـــا لأثَّرا

والايغال ، وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً قبل القافـــة ، ثم يأتي بالقافيـــة فيزيد بها في المعنى وضوحاً أو توكيداً أو حسنـــاً ، كقول امرىء القيس [٢] :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الذي لم يثقب

فالمعنى المقصود في البيت كامل قبل « الذي لم يثقب » وذلك أن عيون الوحش شبيهة به ، فلما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف وكده ، لأن عيون الوحش غير مثقبة ، والجزع الذي لم يثقب أدخل في التشبيه . ويمثل له ابن رشيق كذلك بقول امرىء القيس [٣] :

إذا ما جرى شأوين وابتلَّ عِطفه تقول هزيزُ الريح مرّت بأثأب

ثم يقول ابن رشيق [٤] : « وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس ، فبالغ في صفته ، وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتلّ عطفه بالعرق ، ثم زاد إيغالاً في صفته بذكر « الأثأب » وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت » .

وجمع المؤتلف والمختلف ، وهو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة

(١) الديوان ، ص ٦٨ .
(٢) ديوانه ، ص ٥٣ .
(٣) الديوان ، ص ٤٩ .
(٤) العمدة ، ج ٢ ص ٥٧ .

مختلفة [1] ، كقول امرىء القيس [2] :

سماحة ذا ، وبرّ ذا ، ووفاء ذا   ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر

فقد جمع فيه مكارم الأخلاق في حالتي الوعي والسكر .

والتصريع ، وهو أن يكون مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها ، وربما صرع الشاعر أبياتاً أُخر من القصيدة بعد البيت الأول . ويقول قدامة [3] : « وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره ، وأكثر ما يستعمله امرؤ القيس ، فمنه قوله :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل [4]

وفي أثناء القصيدة قال :

أفاطم مهلاً بعض هــذا التّدلل
وإن كنت قد ازمعت صرمي فأجملي [5]

وبعد عدة أبيات صرّع فقال :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي   بصبح وما الإصباح فيك بأمثل [6]

وقوله في قصيدة أخرى :

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي   وهل يعمن من كان في العصر الخالي [7]

ثم :

ديار لسلمى عافيات بذي خال   ألحّ عليها كل سحم هصّـال [8]

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٤٠١ .
(٢) الديوان ، ص ١١٣ .
(٣) نقد الشعر ، ص ٣٥ .
(٤) القصيدة الأولى ، البيت الأول ص ٨ .
(٥) البيت الثامن عشر من القصيدة الأولى ، ص ١٢ .
(٦) البيت السادس والأربعون من القصيدة الأولى ، ص ١٨ .
(٧) البيت الأول من القصيدة الثانية ، ص ٢٧ .
(٨) البيت الرابع من القصيدة الثانية ، ص ٢٧ .

وفي قصيدة ثالثة :

غشيت ديار الحيّ بالبكرات　　فعارمةٍ فبُرقةِ العَيِرات [1]

ثم :

أعنّي على التّهام والذِّكرات　　يَبِتْن على ذي الهم معتكرات [2]

* * *

ومع اهتمام النقاد بامرىء القيس ، وإعجابهم بشعره ، ومحاولتهم إظهار ما فيه من المحاسن ، حتى بلغ الإعجاب ببعضهم إلى حد التعصب له ، فقد وقف بعض الدارسين على عيوب وأخطاء ، وجدوها له .

ومن أهم العيوب التي أخذوها عليه : **الخلاعة والمجون** في شعره ، قال ابن سلام [3] : « وكان من الشعراء من يتألّه في شعره ، ولا يَستَبْهِر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء ، ومنهم من كان ينعي على نفسه ، ويتعهر ، ومنهم امرؤ القيس والأعشى » .

ويقول المرزباني [4] : « وعيب على امرىء القيس فجورُه وعهرُه في شعره » .

وقال ابن قتيبة : « وكان هذا العيب وصمة في جبين الشعر العربي عامة ، إذ كان امرؤ القيس في طليعة أربابه » .

ويشير إلى ذلك الأستاذ فؤاد البستاني ، مبيّناً السبب ، فيقول : « حكي أن ملاهي الأمير الجميل الفتي ، مع ما فطر عليه من رقة الجانب ، ولطف المحادثة ، والبصر بمواقع الكلام ، ومفاعيل المحاورات كانت تقوده إلى طرق

---

(١) البيت الأول من القصيدة السادسة ، ص ٧٨ .
(٢) البيت الرابع من القصيدة السادسة ، ص ٧٨ .
(٣) طبقات الشعراء ، ص ١٤ .
(٤) الموشح ، ص ٤٠ .

أنواع الملذات المختلفة من حسنة وسيئة ، فأثر ذلك في شعره ، حتى دفعه تتبع الوصف وذكر المغامرات إلى الفحش في القـــول والتصوير ، واستعمال ألفاظ شوّه بها ذلك الوصف الدقيق وقبّح ذلك الغزل الرقيق ، حتى نعى عليه الأدباء الحقيقيون تعهره وتهتكه [١] ».

ومما أخذ عليه في بعض أبياته :

العيب في المعنى . قـــال عبدالله بن المعتز [٢] : « عيب على امريء القيس قوله [٣] :

أَغَرَّكِ مِني أنَّ حبّكِ قاتلي   وأنكِ مهما تأمري القلب يفعل

وقالوا : إذا لم يغرّ هذا ، فأي شيء يغرها ؟ إنما هو كأسير قـــال لمن أسره : أغرّك منّي أني في يديك ؟ »

ويقول أبو هلال العسكري : « ومما أخذ على امريء القيس قوله :

فللسوط ألهوب ، وللساق درة   وللزجر منه وقع أخرج مُهْذِبِ [٤]

وقال : « فلو وصف أخس حمار وأضعفه ما زاد على ذلك [٥] » .

وقال العسكري أيضاً [٦]: « ومن اضطراب المعنى قول امريء القيس [٧]:

أراهن لا يحببن من قلّ ماله   ولا مَن رأين الشَّيبَ فيه وقوّسا

---

(١) الروائع ـ المقدمة .

(٢) الموشح . ص ٣٨ .

(٣) الديوان ، ص ١٣ .

(٤) ديوانه ، ص ٥١ . والأخرج : ذكر النعام . مهذب : شديد العدو .

(٥) كتاب الصناعتين ، ص ٧٤ .

(٦) كتاب الصناعتين ، ص ٨٤ .

(٧) الديوان ، ص ١٠٧ .

وهن يبغضنه من قبل التقويس ، فما معنى ذكر التقويس ؟ ، فأما بغضهن لمن قوّس فجدير ، وليس ببديع » .

ومن الخطأ في المعنى قوله في وصف الفرس [1] :

وأسحم ريان العسيب كأنـه عثاكيل قنو من سميحة مرطب

فوصف العسيب وهو عظم الذَنب بأنه ريان أي ممتلىء ناعم ، وهذا غلط لأنه يستحسن في الفرس يُبْس العسيب .

ومن ضعف المعنى قوله في وصف الحبيبة [2] :

عقيلَةُ أتراب لهـــا ، لا دميمةٌ ولا ذاتُ خَلْق إنْ تأملتَ جَأنبِ

والدميمة : القصيرة الحقيرة ، والجأنب الغليظـــة اللحم ، يقول : إذا تأملتها رأيتها غير دميمة تزدريها العين ، ولا جافية الخلق غليظة المنظر . وهذا كما نرى معنى ضعف في مقام الإعجاب بحسن الحبيبة وجمالها ، لأن نفي الدمامة وقبح المنظر لا يستوجب الجمال الرائع .

ومن ذلك قوله [3] :

وقد أغتدي قبل العُطَاس بهيكل شديدِ مَشَكٍّ الجَنْبِ فَعْمِ المُنَطَّقِ

فتعبيره عن قيام الناس بعطاسهم ، غير قوي في هـــذا المقام ، بل هو عادي ، وليس من اللازم أن يعطس الناس حين يستيقظون من نومهم .

والتشبيه الفاسد ؛ في قوله [4] :

---

(١) الديوان ، ص ٤٨ .
(٢) الديوان ، ص ٤١ .
(٣) الديوان ، ص ١٧٢ .
(٤) الديوان ، ص ١٠٥ .

ألم تسأل الربع القديم بعسعسا   كأني أنادي أو أكلم أخرسا

قال أبو هلال العسكري [1] : « هذا التشبيه فاسد، لأجل أنه لا يقال : كلمت حجراً فلم يُجب ، فكأنه كان حجراً . والذي جاء به امرؤ القيس مقلوب » .

والتشبيه غير المحبوب ؛ في قوله [2] :

وتعطو بِرَخصٍ غير شَثْن كأنه   أساريع ظبيٍ أو مساويك إسحل

قال ابن رشيق [3] : « فالبنان لا شك شبيهة بالأسروعة ، وهي دودة تكون في الرمل ، وتسمى جماعاتها : « بنات النقا » ..... فهي كأحسن البنان ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد أصابه الحناء ، وربما كان رأسه أسود ، إلا أن نفس الحضري المولد إذا سمع قول علي بن العباس الرومي :

أشار بقضبان من الدر قمّعت   يواقيتَ حُمراً فاستباح عفَافي

أو قول عبدالله بن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة   مقومة أثمارهن عقيق

كان ذلك أحب إليه من تشبيه البنان بالدود في بيت امريء القيس ، وإن كان تشبيهاً أشد إصابة » .

والتشبيه الرديء ؛ مثّل له أبو هلال العسكري [4] ، بقول امريء

---

(١) كتاب الصناعتين ، ص ٧٠ .
(٢) ديوانه ، ص ١٧ .
(٣) العمدة ، جـ ١ ص ١٠٠ .
(٤) كتاب الصناعتين ، ص ١١١ .

القيس [1] :

أرانا مُوضِعين لأمر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

عصافير وذبّان ودود ... وأجرأ من مجلحة الذئاب

ويقول : « هذا وإن لم يكن مستحيلاً فهو على غاية القباحة في اللفظ وسوء التمثيل » .

ومن التشبيهات الرديئة تشبيه الناقة بالإران وهو تابوت الموتى في قوله :[2]

وعَنْس كألواح الإران نسأتها ... على لاحب كالبُرْدِ ذي الحِبَرات

وتشبيه شغف الحبيبة به بشغف الناقة المهنوءة بمن يطليها بالقطران في قوله [3] :

أيقتلني وقد شغفت فؤادها ... كما شَغَفَ المهنوءة الرجُل الطالي

والترخيم في غير النداء ، كقوله [4] :

لنعم الفتى تعشو إلى ضوء ناره ... طريفُ بن مالِ ليلةَ الجوعِ والخَصَر

يريد « مالك » فرخم في غير موضع النداء .

والتضمين ؛ وهو عدم استقلال البيت عن سابقه ولاحقه ، كقول امرىء القيس [5] .

أبَعْد الحارث الملك بن عمرو ... وبَعْدَ الملك حجر ذي القباب

---

(١) ديوانه ، ص ٩٧ .

(٢) ديوانه ، ص ٨١ ب ١٣ .

(٣) الديوان ، ص ٣٣ ب ٣٠ .

(٤) الديوان ، ص ١٤٢ .

(٥) الديوان ، ص ٩٩ .

أُرجيّ من صروف الدهر لينـا   ولم تغفل عن الصم الصلاب

والإقواء ، وهو اختلاف حركة الرويّ ، كقوله : (1)

ثياب بني عوف طهارَى نقية   وأوجُهُهمْ عند المشاهد غُرّانُ

هُم أبلغوا الحيَّ المضلَّل أهلَهُم   وساروا بهمْ بين العراق ونجرانِ

وقوله (2) :

جالت لتَصْرَعني فقلت لهـا اقصري

إني امْرؤ صَرْعي عليـكِ حرامُ

فجُزيتِ خيرَ جزاء ناقةِ واحدٍ   ورجعتِ سالمةَ القَرا بِسلامِ

* * *

وإذا نظرنا في أقوال النقاد السابقين عن امرىء القيس ، نجد أن معظمها أحكام عامة ، مثل ؛ هو : شاعر اليمن ، أشعر شعراء الجاهليـة ، أشعر الشعراء ، أشعر الناس ، أحسنهم نادرة ، أسبقهم بادرة .

وبعضهم كان يعلل تفضيله إياه أو إعجابه به بسبب جزئية من الجزئيات كأن يورد له بيتا رآه أروع ما قيل في موضوعه،أو بأن يرجعه إلىاختراعاته وتوليداته ، أو سَبْقه إلى معان استحسنها الشعراء بعده واتبعوه فيها .

وبعض النقاد كما رأينا كان يتعصب له، ويراه أنه مُحسن مُجيد في كلشيء، وتصدى للرد على كل من يعيب عليه ، أو يؤاخذه على معنى أو تعبير .

وإن تتبع الدراسين لشعره وأستنباط ما في بعض أبياته من المحسنات أو المآخذ دليل على اهتمام الباحثين بفنه الأدبي ، وتقديرهم له .

---

(1) ديوانه ، ص ٨٣ قصيدة رقم ٧ .

(2) ديوانه ، ص ١١٦ قصيدة رقم ١٥ .

التصوير

ظهر لنا في تحليل شعر امرىء القيس أهم الموضوعات التي أثارت عواطف الشاعر ، وعرضنا بالتفصيل ما في كلٍّ منها من أفكار ، وقد عقبنا على ما في كل موضوع من هـذه الموضوعات من الحقائق ، في مكانه ، عقب استعراض صوره، واتضح لنا من خلال هذا التحليل أن الشاعر كان قوياً في موضوعات المرأة والطرد والطبيعة ، والشكوى والتحسر ، وهذا معناه أنه كان هناك في كل ناحية من هـذه النواحي عاطفة قوية ، ثارت في نفس الشاعر ، فانعكست قوتها على تصويره وتعبيره في هذه الموضوعات ، فجاء فنه فيها قوياً ، وهذا يدل على أن انفعاله بهذه المؤثرات كان صادقاً ، نابعاً من حقيقة نفسه وحسه ، فظهرت صورة مؤثرة ومثيرة ، وبجانب القوة في هـذه الموضوعات يتبين الضعف في كل من الفخر والمدح والذم ، وهذا يدل على فتور الشعور والعاطفة في هذه النواحي . وذلك معناه أن طبيعة امرىء القيس كانت تميل إلى الموضوعات الأولى ففيها استعداد قوى للتأثر بها ، وأنها ترغب عن الموضوعات الأخرى ولا تنفعل انفعالاً قوياً بها . ومن ثم انعكست هذه الطبيعة على هذه الموضوعات تبعاً لشعورها نحو كلٍّ منها .

وقد تجلّى بوضوحٍ خصبُ الخيال وقوتـه لدى الشاعر ، وبخاصة في المغامرات التي استعرضناها هناك .

واذا تتبعنا امرأ القيس في تصويره نجد أنه كان يهتم فيه على العموم بزاوية خاصة ، ففي المرأة يعنى بتصويرها من ناحية الجمال الحسي خَلْقاً، ومَظهراً، في جو من الأبهة والترف ؛ وفي صور الخيل يبرزها ضخمة الجسم ، صلبة البنيان ، متينة العضلات ، في منتهى السرعة عند الجري ، ولا يفتر نشاطها مهما بذلت من مجهود ؛ وفي الطبيعة يحاول أن ينقل منها صورة طبق الأصل ؛ أما المدح والذم والتهديد ، فصوره فيها تدور حول إيوائه وحمايته والدفاع عنه والمساعدة في تحقيق أمنيته ، وفي الفخر حاول أن يصور نفسه بصورة البطل في بعض الميادين ، ولكن يبدو أن الواقع لم يكن يؤيده بالحرارة

والقوة ، فكانت فيه العاطفة فاترة ، فجاءت صوره هنا هزيلة ضعيفة ، وفي الشكوى والتحسر يتجلى في صوره الأسى واليأس ، فقد جاءت من تجاربه الشخصية في ميدانه الخاص فانعكست فيها حالته النفسية في تلك الفترة .

وقد استعان امرؤ القيس في إظهار صوره وتوضيح معالمها بكثير من الظواهر التي كان يرى فيها ما يساعده على تحقيق غرضه من الصور ، فاستعمل كثيراً من التشبيهات والاستعارات وكانت مصادره في ذلك كثيرة ، بلغت ١٢٢ مصدراً وهي الآتية مرتبة ترتيباً أبجدياً :—

الإبل (١) ، والأتان (٢) ، والأثل (٣) ، والأجير (٤) ، والأخرس (٥) ، والإران (٦) ، والأعسر (٧) ، والإماء (٨) .

والبازي (٩) ، والبان (١٠) ، والبحر (١١) ، والبستان (١٢) ، والبلح (١٣) ، والبقر الوحشي (١٤) ، والبيضة (١٥) .

---

(١) الديوان ، ص ٣٣ ب ٢٧ .

(٢) الديوان ، ص ٣٥ ب ٤ .

(٣) ص ٦٢ ب ٢٤ .

(٤) ص ٧٩ ب ٧ .

(٥) ص ١٠٥ ب ١٣ .

(٦) ص ٨١ ب ١٣ .

(٧) ص ٦٤ ب ٢٩ .

(٨) ص ١٣٠ ب ٢ .

(٩) ص ١٧٣ ب ٢٤ .

(١٠) ص ١٧٣ ب ٢٢ .

(١١) ص ١٨ ب ٤٤ ، ص ٢١٨ ب ١٧ .

(١٢) ص ٤٣ ب ١٠ .

(١٣) ص ٥٧ ب ٦ .

(١٤) ص ١٦ ب ٢٣ ، ص ٤٨ ب ٢٨ ، ص ١١٠ ب ٦ ، ص ١٧١ ب ١٦ .

(١٥) ص ١٣ ب ٢٢ ، ص ٢٨ ب ٥ .

والتجار [١٦] ، والتمثال [١٧] ، والتيس [١٨] .

والثعلب [١٩] ، والثور [٢٠] .

والجبل [٢١] ، والجدول [٢٢] ، والجذع [٢٣] ، والجراد [٢٤] ، والجمر [٢٥] ، والجندل [٢٦] ، والجؤذر [٢٧] .

والحبل [٢٨] ، والحجـــارة [٢٩] ، والحدائق [٣٠] ، والحرير [٣١] ، والحَـشَـف [٣٢] ، والحمار الوحشي [٣٣] ، والحِنـّاء [٣٤] ، والحنظل [٣٥] .

والخذروف [٣٦] ، والخَـرَز [٣٧] ، والخَـشَـب [٣٨] ، والخِشْف (ولد

---

(١٦) ص ٢٥ ب ٧٤ ، ص ٥٤ ب ٥٢ ، ص ١١٠ ب ٥ ، ص ١١١ ب ٨ .

(١٧) ص ٢٩ ب ١٠ .

(١٨) ص ٥٤ ب ٥٣ .

(١٩) ص ٢١ ب ٥٦ .

(٢٠) ص ١٩٠ ب ٦ .

(٢١) ص ١٤٠ ب ١ ، ص ١٩٠ ب ٥ .

(٢٢) ص ٤٤ ب ١٣ ، ص ١٨٩ ب ٢ .

(٢٣) ص ٤٨ ب ٢٩ .

(٢٤) ص ١٩٣ ب ١٦ .

(٢٥) ص ٢٩ ب ١٢ ، ص ١٢٥ ب ٥ .

(٢٦) ص ١٩ ب ٤٨ .

(٢٧) ص ١٦٨ ب ٤ .

(٢٨) ص ١٩ ب ٤٧ . ص ١٨٤ ب ٢٥.

(٢٩) ص ٤٧ ب ٢٥ .

(٣٠) ص ٥٧ ب ٤ .

(٣١) ص ١١ ب ١١ .

(٣٢) ص ٣٨ ب ٥١ .

(٣٣) ص ٤٥ ب ١٦ ، ص ٧٩ ب ٦ ، ص ٩٢ ب ١٣ ، ص ١٨٠ ب ١٢ .

(٣٤) ص ٢٣ ب ٦٥ ، ص ٥٥ ب ٥٤ ، ص ١٧٦ ب ٣٧ .

(٣٥) ص ٩ ب ٤ ، ص ٢١ ب ٥٧ .

(٣٦) ص ٢١ ب ٥٥ ، ص ٥١ ب ٤٠ .

(٣٧) ص ٢٢ ب ٦٠ ، ص ٥٣ ب ٥٠ ص ١٧٤ ب٢٧.

(٣٨) ص ١٢١ ب ٨ .

الظبية [٣٩] ، والخمرْ [٤٠] .

والدُّر [٤١] ، والدراهم [٤٢] ، والدَّعْص [٤٣] ، والدَّلْـــو [٤٤] ، والدُّمَى [٤٥] .

والذّر [٤٦] ، والذّهب [٤٧] ، والذئب [٤٨] .

والرأس [٤٩]، والراهب [٥٠]، والرحل [٥١]، والرمل [٥٢]، والريح[٥٣]، والرئم [٥٤] .

والستر [٥٥] ، والسحـاب [٥٦] ، والسرحـــة [٥٧] ، والسعالي [٥٨] ،

---

(٣٩) ص ١٧٢ ب ١٩ .
(٤٠) ص ٦٠ ب ١٦ ، ص ١١٠ ب ٥ ، ص ١١٥ ب ٧ .
(٤١) ص ١٦ ب ٣٢ .
(٤٢) ص ٦٤ ب ٣٠ .
(٤٣) ص ٤٧ ب ٢٦ .
(٤٤) ص ٤٤ ب ١٣ .
(٤٥) ص ٥٨ ب ١٠ .
(٤٦) ص ٦٨ ب ٤٤ .
(٤٧) ص ١٨١ ب ١٥ .
(٤٨) ص ٢١ ب ٥٦ ، ص ٦٧ ب ٣٩ ، ص ١٧٢ ب ١٨ .
(٤٩) ص ١٤٥ ب ٤ .
(٥٠) ص ١٧ ب ٣٧ ، ص ٢٤ ب ٦٨ ، ص ٨٩ ب ٢ .
(٥١) ص ١٧٣ ب ٢٣ ، ص ١٩١ ب ١٠ .
(٥٢) ص ٣٠ ب ١٥ .
(٥٣) ص ٤٩ ب ٣١ .
(٥٤) ص ١٦ ب ٣٤ ، ص ٢٨ ب ٦ .
(٥٥) ص ١٨ ب ٤٤ .
(٥٦) ص ١٧٠ ب ٩ .
(٥٧) ص ٤٦ ب ٢٢ .
(٥٨) ص ٢١٠ ب ٢ .

والسفن [٥٩] ، والسهام [٦٠] ، والسواك [٦١] ، والسيال [٦٢]، والسيور [٦٣].

والشهاب [٦٤] ، والشؤبوب [٦٥] ، والشيخ المسن [٦٦] .

والصحيفة [٦٧] ، والصخر [٦٨] .

والضباع [٦٩] ، والضرائر [٧٠] .

والطحلب [٧١] ، والطلا [٧٢] ، والطيلسان [٧٣] .

والظبي [٧٤] ، والظليم (ذكر النعام)[٧٥] .

والعذارى [٧٦] ، والعروس [٧٧] ، والعزيز الفارسي [٧٨] ، والعصا [٧٩] ،

---

(٥٩) ص ٥٧ ب ٤ .
(٦٠) ص ١٢٠ ب ٦ .
(٦١) ص ١٧ ب ٣٨ .
(٦٢) ص ١٧٨ ب ٥ .
(٦٣) ص ١٧ ب ٣٧ .
(٦٤) ص ٢١٧ ب ١١ .
(٦٥) ص ٥٠ ب ٣٨ .
(٦٦) ص ٢٥ ب ٧٣ .
(٦٧) ص ٥٢ ب ٤٣ .
(٦٨) ص ١٩ ب ٤٨ ، ب ٥٠ ، ص ٢٠ ب ٥١ .
(٦٩) ص ٢١٦ ب ٥ .
(٧٠) ص ٨٠ ب ٨ .
(٧١) ص ٤٧ ب ١٥ .
(٧٢) ص ٢٨ ب ٥ .
(٧٣) ص ١٧٨ ب ٥ ، ص ١٨١ ب ١٧ .
(٧٤) ص ١٧ ب ٣٨ ، ص ٢١ ب ٥٦ ، ص ٤٧ ب ٢٤ ، ص ٩٢ ب ١٢ .
(٧٥) ص ١٧٠ ب ١١ ، ص ١٧٩ ب ١٠ .
(٧٦) ص ٢٢ ب ٥٩ ، ص ٥٠ ب ٣٥ .
(٧٧) ص ٢١ ب ٥٧ .
(٧٨) ص ١٧٥ ب ٣١ .
(٧٩) ص ٣٧ ب ٤٤ .

والعقاب [٨٠] .

والعناب [٨١] ، والعنصل [٨٢] .

والغزال [٨٣] ، والغصن [٨٤] ، والغضى [٨٥] ، والغُلاَّن (الأودية الكثيرة) [٨٦] ، والغول [٨٧] .

وفلْكة المغزل [٨٨] ، والفُلفُل [٨٩] ، والفنا (عنب الثعلب) [٩٠] .

والقار [٩١] ، والقرنفل [٩٢] ، والقطا [٩٣] ، وقنو النخلة [٩٤] ، والقيد [٩٥] .

والكتابة [٩٦] ، والكتان [٩٧] ، والكنانة [٩٨] .

---

(٨٠) ص ٣٨ ب ٤٩ ، ص ٩٢ ب ١٢ ، ص ٩٤ ب ٢ ، ص ١٩٢ ب ١٢ .
(٨١) ص ٣٨ ب ٥١ .
(٨٢) ص ٢٦ ب ٧٥ .
(٨٣) ص ٣٤ ب ٣٢ ، ص ١١٥ ب ٨ ، ص ١٦٨ ب ٣ .
(٨٤) ص ٩٢ ب ١٤ .
(٨٥) ص ٢٩ ب ١٢ .
(٨٦) ص ٩٣ ب ١٥ .
(٨٧) ص ٣٣ ب ٢٨ .
(٨٨) ص ٢٥ ب ٧٢ .
(٨٩) ص ٨ ب ٣ .
(٩٠) ص ٩١ ب ١٠ .
(٩١) ص ٣٣ ب ٣٠ .
(٩٢) ص ١٥ ب ٢٩ .
(٩٣) ص ١٢١ ب ٧ .
(٩٤) ص ١٦ ب ٣٥ ، ص ٣٢ ب ٢٤ ، ص ٤٨ ب ٣٠ .
(٩٥) ص ١٩ ب ٤٩ ، ص ٤٦ ب ٢١ .
(٩٦) ص ٨٩ ب ٢ .
(٩٧) ص ١٩ ب ٤٨ .
(٩٨) ص ١٨١ ب ١٥ .

والماء [99]، والمجنون [100] ، والمخراق [101]، والمرآة [102]، والمرجل [103] ، والمزادة [104] ، والمشجب [105] ، والمصبـــاح [106] ، والمطر [107] ، والمقلاء [108] ، والملاء [109] .

والناقـــة [110] ، والناهل [111] ، والنخل [112] ، والندامى [113] ، والنشوان [114] ، والنعام [115] ، والنهر [116].

والهر [117] ، والهودج [118] ، والهيكل [119] .

والوشي [120] .

---

(٩٩) ص ٣١ بـ ٢٠ ، ص ١٨٩ بـ ١ .

(١٠٠) ص ٤٩ بـ ٣٣ .

(١٠١) ص ٨٢ بـ ١ .

(١٠٢) ص ١٥ بـ ٣١ .

(١٠٣) ص ٢٠ بـ ٥٣ .

(١٠٤) ص ٩٠ بـ ٤ .

(١٠٥) ص ٤٧ بـ ٢٣ .

(١٠٦) ص ١٧ بـ ١٩ ، ص ٢٩ بـ ١١ ، ص ٣١ بـ ١٩ ، ص ١٤١ بـ ٤ .

(١٠٧) ص ٥١ بـ ٤٢ ، ص ١٧٤ بـ ٢٨ .

(١٠٨) ص ١٧٣ بـ ٢٣ .

(١٠٩) ص ٢٢ بـ ٥٩ ، ص ٥٠ بـ ٣٥ ، ص ٦٣ بـ ٢٦ .

(١١٠) ص ١٨ بـ ٤٥ .

(١١١) ص ١٣٥ بـ ٧ .

(١١٢) ص ١٧ بـ ٣٧ ، ص ٤٣ بـ ١٠ ، ص ٥٧ بـ ٥ ، ص ١١٥ بـ ٥ ، ص ١٦٨ بـ ٢ ، ص ١٨٩ بـ ٢ .

(١١٣) ص ٤٥ بـ ١٧ .

(١١٤) ص ١١٥ بـ ٧ .

(١١٥) ص ٢١ بـ ٥٦ ، ص ٣٦ بـ ٤١ ، ص ٤٧ بـ ٢٤ ، ص ١١٥ بـ ١٠ .

(١١٦) ص ٤٤ بـ ١٣ .

(١١٧) ص ٦٣ بـ ٢٧ ، ص ٢١٥ بـ ٢ .

(١١٨) ص ٤٧ بـ ٢٦ ، ص ٤٩ بـ ٣٢ ، ص ٦٢ بـ ٢٢ ، ص ٩٠ بـ ٦ .

(١١٩) ص ١٩ بـ ٤٩ ، ص ٣٦ بـ ٣٩ ، ص ٩١ بـ ١١ ، ص ١٧٢ بـ ١٧ .

(١٢٠) ص ٣٧ بـ ٤٥ ، ص ٥٨ بـ ١٠ ، ص ٨١ بـ ١٣ .

واليد [١٢١] ، واليهودي [١٢٢] .

* * *

وقد استعملت هذه المصادر في ١٥٦ صورة شعرية ، موزعة كالآتي :

٤٢ في المرأة والظعائن والأطلال .

٣٦ في الخيل .

٢٠ في ظواهر الطبيعة الصامتة .

١٨ في أحوال الإنسان .

١٤ في الناقة .

١٠ في الحرب وأدواتها .

٩ في الحمار الوحشي .

٧ في البقر الوحشي .

فالمرأة بيضاء البشرة رقيقة ناعمة كالدرة [١] أو بيض النعام [٢] ؛ وكاملة الحسن [٣] ، كأنها تمثال تأنق صانعه في إبداعه وتحسينه ؛ أو دُمية [٤] أجاد الرسام تصويرها ، ورشيقه كالطــلا [٥] ، وفي ترف ونعمة كغزال في بيت ملوك [٦]، ووجهها مضيء كالمصباح [٧] ؛ وعينها حوراء واسعة كعيون البقر

---

(١٢١) ص ٢٤ بـ ٦٧ .
(١٢٢) ص ١٦٩ بـ ٧ .

(١) ص ١٦ بـ ٣٢ .
(٢) ص ١٣ بـ ٢٢ .
(٣) ص ٢٩ بـ ١٠ .
(٤) ص ١١٠ بـ ٦ .
(٥) ص ٢٨ بـ ٥ .
(٦) ص ٣٤ بـ ٣٢ .
(٧) ص ١٧ بـ ٣٩ ، ص ٢٩ بـ ١١ .

الوحشي [١] ، وثغرها جميل ، وأسنانها رقيقة بيضاء كشوك السيال [٢] ، ولثاتها كالطيلسان [٣] ، وريقها عذب مسكّر كالخمر [٤] ، وشعرها أسود لامع ، طويل ، غزير كقنو النخلة الكثيف الشماريخ [٥] ، وجيدها كجيد الرئم [٦]، وترائبها ناعمة مضيئة كالمرآة [٧] ، وصدرها بالحلي يتوهج كالجمر [٨] وكشحها ضامر ملفوف كالجديل [٩] ، وأصابعها بيضاء طويلة لينة ناعمه ، كالأساريع والمساويك [١٠] ، وساقها كأنبوب النخل الريان [١١] ، وعجيزتها كحقف الرمل [١٢] ، وحبها يبلغ شغاف القلب ، كما يبلغ الدهان شغاف المهنوءة[١٣] .

ومن نظر اليها خفق قلبه كما يخفق قلب الثمل إذا رأى كأس الصبوح[١٤] وإذا سار إليها مشى في خفة ورفق كحباب الماء [١٥] ، وعند الفراق يغشى عليه كمن فقد وعيه [١٦] ، وتنهمر الدموع من عينه كناقف الحنظل [١٧] ،

---

(١) ص ١٦ ب ٣٣ ، ص ١١٠ ب ٦ .

(٢،٣) ص ١٧٨ ب ٥ .

(٤) ص ١١٠ ب ٥ ، ص ١١١ ب ٨ - ١٠ .

(٥) ص ١٦ ب ٣٥ ، ص ٣٢ ب ٢٤ .

(٦) ص ١٦ ب ٣٤ ، ص ٢٨ ب ٧ .

(٧) ص ١٥ ب ٣١ .

(٨) ص ٢٩ ب ١٢ - ١٣ .

(٩) ص ١٧ ب ٣٧ .

(١٠) ص ١٧ ب ٣٨ .

(١١) ص ١٧ ب ٣٧ .

(١٢) ص ٣٠ ب ١٥ .

(١٣) ص ٣٣ ب ٣٠ .

(١٤) ص ٦٠ ب ١٦ .

(١٥) ص ٣١ ب ٢٠ .

(١٦) ص ١١٥ ب ٧ .

(١٧) ص ٩ ب ٤ .

وتفيض كالأوشال [1] ، وتسيل كالمزادة [2] وتتدفق كالجدول [3].

وتسير الظعائن في موكب الرحلة ، إما متفرقة فتبدو كحصى الجمرات [4] أو مجتمعة في ضخامة وتتابع كالسفن [5] ، وبألوانها الزاهية المزركشة كأنها جنة يثرب [6] ، أو حدائق الدوم [7] .

وفي وشي مختلف الألوان كالبلح الأحمر والأصفر وسط خضرة النخيل [8] ، وفي ارتفاع وأحمالٍ ثقال ، كسوامق النخل بقنوانها الكثيرة الثمر [9] ؛ وإذا ما كانت الرحلة في الليل ، بدت كأشجار النخيل غير المثمرة [10] ، وقد تكون الظعائن وحمولتها ، وما عليها من الألوان مرتفعة طويلة ، فتبدو كأشجار الأثل [11] . وإذا ما سارت في الوادي وسط النهار ، وقد كسا الصحراء السراب بدت الظعائن حينئذ كالدمَى المصورة على المرمر [12] .

وعندما تُهجَر الديار وتصبح أطلالاً ورسوماً تبدو كالكتابة في مصاحف الرهبان [13] ، وتسكنها الوحوش ، ويبدو بعرها في المكان كأنه حب الفلفل [14] .

---

(١) ص ١٨٩ بـ ١ .

(٢) ص ٩٠ بـ ٤ .

(٣) ص ١٨٩ بـ ٢ .

(٤) ص ٤٣ بـ ١١ .

(٥) ص ٥٧ بـ ٤ .

(٦) ص ٤٣ بـ ١٠ .

(٧) ص ٥٧ بـ ٤ .

(٨) ص ٤٣ بـ ١٠ .

(٩) ص ٥٧ بـ ٥ - ٩ ، ص ١١٥ بـ ٥ .

(١٠) ص ١٦٢ بـ ٢ .

(١١) ص ٦٢ بـ ٢٤ .

(١٢) ص ٥٨ بـ ١٠ .

(١٣) ص ٨٩ بـ ٢ .

(١٤) ص ٨ بـ ٣ .

أما الحصان في الضخامة والارتفاع فكالهيكل [١] ، والسرحة [٢] ، وهو عظيم الشأن والمنظر كالعزيز الفارسي [٣] ، وإذا مشى بين الإبل مـال يميناً وشمالاً كما ينثني غصن بانٍ ناضر [٤] وهو ضامر أملس صلب كالهراوة [٥] ، وعود المشجب [٦] ، وعود الرحل [٧] ، وظهره ناعم كالصخرة الملساء [٨] ، وخصره نحيل كخصر الظبي [٩] ، وكتفه لامع براق كمداك العروس [١٠] ، وصراية الحنظل [١١] ، وموضع الرديف من مؤخر ظهره مشرف عال كفرخ النعام [١٢] ، وكفله كدِعْص لبَّده الندى [١٣] ، وأعلى كاهله مرتفع عريض كالهودج الواسع [١٤] ، وعينه صافية كمرآة شديدة البريق واللمعـان [١٥] ، وأذناه حادتا السمع منتصبتان كأذني بقرة وحشية مـــذعورة [١٦] ، وعنقه طويل قصير الشعر منجرد كجذع مشذب [١٧] ، وساقه صلبة قصيرة كساق النعامة [١٨] فهي قصيرة الساقين طويلة الفخذين ، وذيله غزير الشعر كقنو نخل

---

(١) ص ١٩ بـ ٤٩ ، ص ٣٦ بـ ٣٩ ، ص ٩١ بـ ١١ ، ص ١٧٢ بـ ١٧ .

(٢) ص ٤٦ بـ ٢٢ .

(٣) ص ١٧٥ بـ ٣١ .

(٤) ص ٩٢ بـ ١: ، ص ١٧٣ بـ ٢٢ .

(٥) ص ٣٧ بـ ٤٤ .

(٦) ص ٤٧ بـ ٢٣ .

(٧) ص ١٧٣ بـ ٢٣ .

(٨) ص ٢٠ بـ ٥١ .

(٩) ص ٢٦ بـ ٥٦ ، ص ٤٧ بـ ٢٤ .

(١٠،١١) ص ٢١ بـ ٥٧ .

(١٢) ص ٣٦ بـ ٤١ .

(١٣) ص ٢٦ بـ ٤٧ .

(١٤) ص ٤٧ بـ ٢٦ ، ص ٤٩ بـ ٣٢ .

(١٥) ص ٤٨ بـ ٢٧ .

(١٦) ص ٤٨ بـ ٢٨ .

(١٧) ص ٤٨ بـ ٢٩ .

(١٨) ص ٢١ بـ ٥٦ ، ص ٤٧ بـ ٢٤ .

مُرطب [١] ، وحوافره صُمّ صلاب ، صفراء ملساء ، كحجارة علاهـــا الطحلب [٢] .

وإذا جرى الهوينى كان كالثعلب [٣] ، فاذا زاد قليلا كان كالذئب [٤] ، وإذا جرى أشواطاً كان كدفعات المطر [٥] ، والغيث [٦] ، وإذا ما اندفع انطلق بقوة وتماسك كجلمود صخر اقتلعه السيل فهوى من جبل شاهق [٧] ، واذا ما أرخي له العنـــان عدا كالمجنون [٨] ، وطار كالبازي المحلّق في السماء [٩] ، وفي جريه يشبه تيس الظبـــاء الذي تطارده عقاب من جبل شاهق [١٠] ، وهو والحصان ينقض على فريسته في الصيد كعقاب خفيفة تخطف ضحاياها خطفاً [١١] ، وفي أثناء جريه يجيش صدره كما تجيش القِدْر [١٢] ، ويجري في خفة وتتابع كخذروف الوليد [١٣] ، وله حفيف كخفق الريح في الشجر [١٤] . ودماء الضحايا في صدره كخضاب الحناء في الشيب [١٥] .

وهو دائماً نشيط كتيس الربل [١٦] ، وخفيف ناعم الملمس كالسهم النضيّ

---

(١) ص ٤٨ بـ ٣٠ .
(٢) ص ٤٧ بـ ٢٥ .
(٣،٤) ص ٢١ بـ ٥٦ .
(٥) ص ٥٠ بـ ٣٨ .
(٦) ص ١٧٤ بـ ٢٨ .
(٧) ص ١٩ بـ ٥٠ .
(٨) ص ٤٩ بـ ٣٣ .
(٩) ص ١٧٣ بـ ٢٤ .
(١٠) ص ٩٢ بـ ١٢ .
(١١) ص ٣٨ بـ ٤٩ .
(١٢) ص ٢٠ بـ ٥٣ .
(١٣) ص ٢١ بـ ٥٥ ، ص ٥١ بـ ٤٠ .
(١٤) ص ٤٩ بـ ٣١ .
(١٥) ص ٢٣ بـ ٦٥ . ص ٥٥ بـ ٥٤ . ص ١٧٦ بـ ٣٧ .
(١٦) صفحة ٥٤ بـ ٥٣ ، والتيس: الذكر من الظباء ، والربل نبت يظهر في آخر الصيف واستقبال الشتاء .

المفوّق [١] ، ورقيق لامع كَطير الماء [٢] .

أما حالات الانسان التي صورها ، فقد شبه الرجـــل العظيم بالأسد الباسل [٣] ، والحامي بالجبل الشامخ [٤] ، والكريم بمصباح الظلام [٥] ، والمرء في نضرة العيش بالشهاب الثاقب [٦] .

والربيئة في حدة النظر ، وخفة الحركة ، وإخفاء نفسه كذئب الغضى [٧] ، وفي النشاط والسرعة كولد الظبية [٨] .

والجبان ضعيف ذليل كأتان طُردت عن الماء ومُنِعت منه [٩] ، والأعداء في المهانة كالإماء [١٠] ، وفي الدناءة والِخسَّة كاست البعير الممتهن [١١] ، وقتلهم شفاء [١٢] .

والبخيل العاجز كالهرّ إذا وجد البرد أدخل رأسه في بطنه [١٣] .

ومن نزلت به الخطوب قَلِق كقلَق المِحْوَر في الحبل الشديد الفتل [١٤] ، والمَغيظ المُحنَق يضطرم صدره بزفرات كأصوات الجمل المختنق [١٥] .

---

(١) صفحة ١٧٦ بـ ٣٦ .

(٢) صفحة ١٧٦ بـ ٣٥ .

(٣) صفحة ١١٩ بـ ٣ .

(٤) صفحة ١٤٠ بـ ١ .

(٥) صفحة ١٤١ بـ ٤

(٦) صفحة ٢١٧ بـ ١١ .

(٧) صفحة ١٧٢ بـ ١٨ .

(٨) صفحة ١٧٢ بـ ١٩ .

(٩) صفحة ٩٥ بـ ٤ .

(١٠) صفحة ١٣٠ بـ ٢ .

(١١) صفحة ١٣٣ بيت ٤ .

(١٢) صفحة ١٣٨ بيت ١ .

(١٣) صفحة ٢١٥ بيت ١٢ .

(١٤) صفحة ٢١٦ بيت ٨ والمحور : العـود الذي يعترض فَلَكَ البَكَرَة ، وطرفاه في الخدين .

(١٥) صفحة ٣٣ بيت ٢٧ .

والأُنسان في الحياة تتقاذفه الأحداث وهو يصارعها كالملقى في بحر لجيّ تتلاطم أمواجه ، وتطغى غمراته [1] ، والسرير الذي يُحمل عليه المريض كالهودج [2] .

والناس ضعاف ، ليس في مقدورهم شيء ، كالعصافير ، والذبّان ، والدود ؛ ولكنهم في الطمع وارتكاب الآثام ، وفعل الجرائم أجرأ من الذئاب [3] .

والجيش في الضخامة والثبات كالجبل [4] ، وأسراب الغارة كالجراد في الكثرة والانتشار [5] ، وكالقطا في السرعة وشدة الطيران [6] ، والرماح متشوقة لدماء الأعداء كالعطشان يشرب ليرتوي [7] ، والسيف كالمخراق في الخفة وسرعة تحريكه بسهولة [8] ، والسهام حادة تتوهج كالجمر [9] ، وتنزل الرعب في قلوب من يراها كأنياب الأغوال [10] ، والطعن المستقيم والمعوج في آنٍ واحد كرد سهمين على نابل [11] ، والسبايا كالسعالي في الشناعة وبشاعة المنظر [12] . والقتلى ألقي بعضهم على بعض ، وارتفعت أرجلهم كالخشب الشائل [13] .

---

(١) صفحة ٢١٨ بيت ١٧

(٢) صفحة ٩٠ بيت ٤ .

(٣) صفحة ٩٧ بيت ٢ .

(٤) صفحة ٩٣ بيت ١٥ .

(٥) صفحة ١٢١ بيت ٧ ، صفحة ٩٣ بيت ١٦ .

(٦) صفحة ١٢١ بيت ٧ .

(٧) صفحة ١٣٥ بيت ٧ .

(٨) صفحة ٨٢ بيت ١٥ .

(٩) صفحة ١١٥ بيت ٥ .

(١٠) صفحه ٣٣ بيت ٢٨ .

(١١) صفحة ١٢٠ بيت ٦ .

(١٢) صفحة ٢١٠ بيت ٢ .

(١٣) صفحة ١٢١ بيت ٨ .

والناقة طويلة يحتمي بها صاحبها كبنيان اليهودي [١] ، وهي صلبة قوية كتابوت النصارى [٢] ، وحينما تجتمع الإبل يكثر صياحها ، وأصواتها كأصوات الضباع في الغابات [٣] .

وحينما تجري تمرّ في سرعة وسهولة كمرّ السحاب [٤] ، وفي نشاط وسرعة كالحمار الوحشي [٥] ، وإذا ما سارت في الهاجرة أسرعت كالنعامة [٦] ، وإذا عادت في المساء كانت كذكر النعام في رواحه للبيض البعيد عنه بُعداً شاسعاً [٧] ، وجريها قوي متتابع كثور وحشي يبحث عن مأوى في يوم ريح ممطر [٨] ، أو كظبية بعيدة عن الغزال فهي تطلبه كالوالهة [٩] ، وفي الفيافي الواسعة المملوءة بالمخاوف تجري بعنف وسرعة كأنها عقاب تطلب صيداً لأولادها الجياع [١٠] ، وفي أثناء الجري يتطاير الحصى من أخفافها في كل مكان كرمي الأعسر [١١] ، ويرتطم الحصى بعضه ببعض فيكون له صوت كصليل الدراهم المزيفة [١٢] .

وإذا ذبحت تبينت النعمة التي تعيش فيها من شحمها الناصع البياض كهُداب الحرير الأبيض [١٣] .

---

(١) صفحة ١٦٩ بيت ٧ .
(٢) صفحة ٨١ بيت ١٣ .
(٣) صفحة ٢١٦ بيت ٥ .
(٤) صفحة ١٧٠ بيت ٩ .
(٥) صفحة ٤٥ بيت ١٦ - ١٩، صفحة ٧٩ بيت ٦ - ١٠، صفحة ١٨٠ بيت ١٢-١٥.
(٦) صفحة ١١٥ بـ ١٠
(٧) صفحة ١٧٠ بـ ١١ - ١٣، صفحة ١٧٩ بـ ١٠
(٨) صفحة ١٩٠ بـ ٦ .
(٩) صفحة ١٩٠ بـ ٧ .
(١٠) صفحة ١٩٢ بـ ١٢ - ١٤ .
(١١) صفحة ٦٤ بـ ٢٩ .
(١٢) صفحة ٦٤ بـ ٣٠ .
(١٣) صفحه ١١ بـ ١١ .

وأما البقر الوحشي ، في بياضهن ، وطول أذنابهن ، ومشيتهن ، فيشبهن عذارى يمشين [١] أو يَدُرْن حول صنم [٢] ، وهن لابسات ملاحف طويلة ، والبقر الوحشي بما فيهن من البريق مع البياض والسواد مثل الخرز الذي يفصل بين حباته باللؤلؤ ، وقد وضع في عنق صبي كريم العمّ والخال [٣] ، أو غلام يلبس قميصاً له طوق [٤] ، والثور الوحشي أبيض كالصحيفة [٥] ، وقرنـــه مدبب حاد كالإشفى [٦] ، وأما أكرع البقر الوحشي ، ففيهـا سواد وبياض كوشي البرود اليمنية [٧] ، وحينما تجري تعدو بقوة وسرعة فتبدو كأنها خيل عليها أجلال [٨] ، والصياد الماهر يرجع وقد ملأ حقـــائبه كمن يمتار تمراً من قرى البحرين [٩] . وعيون الوحش بما فيهـا من السواد والبياض مثل الخرز غير المثقب [١٠] .

أما قلوب الطير المَصيدة ، اذا كانت رطبة ، فهي مثل العناب في الحجم واللون [١١] ، فاذا جفت كانت مثل الحشف البالي ، وهو التمر الرديء [١٢] .

وأما الحمار الوحشي في ضُمره وخفته فيشبه مقلاء الوليـد ، وهو العود الذي يضرب به الغلامُ القلة [١٣] ؛ وفي قوة جسمه كالحبل الأندريّ الشديد

---

(١) صفحة ٥٠ بـ ٣٥ .

(٢) صفحة ٢٢ بـ ٥٩

(٣) صفحة ٢٢ بـ ٦٠

(٤) صفحة ١٤٧ بـ ٢٧ .

(٥) صفحة ٥٢ بـ ٤٣ .

(٦) صفحة ٥٢ بـ ٤٥ .

(٧) صفحة ٣٧ بـ ٤٥ .

(٨) صفحة ٣٧ بـ ٤٦ .

(٩) صفحة ٥٤ بـ ٥٢ .

(١٠) صفحة ٥٣ بـ ٥٠

(١١) ، (١٢) صفحة ٣٨ بـ ٥١ .

(١٣) صفحة ١٨٣ بـ ٢٣ .

الفتل [1] ، وإذا كان الحمار شرساً مع الأتـُن فإنه يعاملهن بعنف وغلظـة كما يفعل الأجير مع ذود الإبل [2] ، ويتصرف معهن بقسوة كما يتصرف الرجل مع الضرائر [3] ، ويضربهن بحـدة كذَلق الزُّج [4] . وأعالي أذناب الحمير وما يتفرع من شعرها بألوانه المختلفة تبدو كأنها حمائل جفون السيف المضفورة الموشاة [5] ، وما يتطاير من شعرها يبدو كالطيلسان في الخضرة والغبرة [6] . وظهره والخط الذي في وسطه مثل الكنائن الذي يجري بينهـا ذهب شديد البريق [7] .

أما النجوم فمثل مصابيح الرهبان في الإضاءة وهداية الضال [8] . وبعـد منتصف الليل تبدو ساكنة كأنها لا تتحرك مثل قطيع من بقر الوحش امتلأ من أكل الأوراق فخمد عن الحركة [9] . وفي ليـل المهموم الطويل لا يمرّ الوقت وتظهر النجوم كأنها مربوطة في جبل بحبل شديد الفتل [10] ، وترى الثريا كأنما شدت بحبل كتان إلى جندل أصم فهي لا تتزحزح عن مكانها [11] . ويحس المكروب أن الليل عليه ثقيل الوطـأة عنيف مخيف ، فكأنه بحر متلاطم الأمواج قد احتواه في لجه فأحاطت به ظلمات بعضها فوق بعض [12] ،

---

(١) صفحة ١٨٤ بـ ٢٥ ، والأندري نسبة إلى الأندر والأندر بالشام كالبيدر بالعراق والجرين بالحجاز والمربد بالبصرة .

(٢) صفحة ٧٩ بـ ٧ .

(٣ ، ٤) صفحة ٨٠ بـ ٨ .

(٥) صفحة ٨١ بـ ١٢ .

(٦) صفحة ١٨١ بـ ١٧ .

(٧) صفحة ١٨١ بـ ١٥ .

(٨) صفحفة ٣١ بـ ١٩ .

(٩) صفحة ١٧١ بـ ١٦ .

(١٠) صفحة ١٩ بـ ٤٧ .

(١١) صفحة ١٩ بـ ٤٨ .

(١٢) صفحة ١٨ بـ ٤٤ .

وإذا تحرك بدا كفحل من الإبل يمتد بصُلبه ، وينوء بصدره ويردف أعجازه [١] .

وعندما تتصوب الجوزاء للمغيب تظهر بعرضها ، فتبدو كأنها ثنيات وشاح بين كل خرزتين فيه لؤلؤة [٢] .

وحينما يتوهج الحر وقت الظهيرة يكسو السراب وجه الصحراء فيبدو كأنه ملاحف بيض منشورة [٣] .

وإذا ما تلبدت السماء بالغيوم ، وتراكم السحاب ، واحتك بعضه ببعض، تنطلق شرارة البرق في سرعة كحركة اليدين الخاطفة [٤] ، ويرسل ضوءاً قوياً كمصباح راهب شديد الإضاءة [٥] .

وينهمر المطر ، فيجري سيلاً جارفاً ، ويغمر البقاع والوديان ويختفي ما فيها من الأشجار إلا أعاليها فتبدو كرؤوس مقطوعة عليها العمائم [٦] ، ويجتاح السباع ويغرقها فترى كأنها أنابيش عنصل [٧] ، ويتراكم غُثاء السيل حول الجبال في كثرة وضخامة فيتراءى كأنه فلكه المغزل [٨] .

ثم تتنفس الحياة في الأرض ، ويكسوها النبت والزهر ، فتبدو في أبهج حلّة ، وأبهى منظر، ويُرى الجبل الشامخ كشيخ وقور في كساء مخطّط [٩]، وإذا ما علت الجبل الناضر بنبته وزهره سحابة حمراء بدا المنظر كأنه وشي بديع في ثوب فاخر [١٠] .

---

(١) ص ١٨ ب ٤٥ .

(٢) ص ١٤ ب ٢٤ .

(٣) ص ٦٣ ب ٢٦ .

(٤) ص ٢٤ ب ٦٧ .

(٤) ص ٢٤ ب ٦٨ .

(٦) ص ١٤٥ ب ٢ .

(٧) ص٢٦ ب ٧٥ . والأنابيش (هنا) : الأصول . والعنصل : نبت بري يشبه البصل .

(٨) ص ٢٥ ب ٧٢ .

(٩) ص ٢٥ ب ٧٣ .

(١٠) ص ٩٦ ب ٩ .

ويعم الخصب جميع الأرجاء ، وتملأ الخضرة والأزهار البقاع ، فتظهر الرياض والمروج كأنها ثياب مزركشة [1] ، أو طنافس حِيرّية [2] ، وما انحسر منها بين شعاب الطرق ومنحنياتها يُرى كالحبرات الموشاة [3] .

* * *

وإذا نظرنا في هذه الصور الشعرية ومصادرها أن تلك المصادر مأخوذة من بعض أحوال الإنسان والحيوان ، ومظاهر البيئة المختلفة من البر والبحر والجو، ولذلك نرى في صوره كثيراً من ألوان الحياة في عصره، كما نرى فيها مظاهر الصحراء بقفارها المترامية الأطراف، ورمالها، وصخورها، وجبالها ، ومنحدراتها ، ووديانها المتشعبة ، وعيونها ، ومروجها الواسعة ، وواحاتها الغناء ، وبساتينها الناضرة ، وثمارها اليانعة ، وازهارها المختلفة الألوان ، وما يجري على وجه الأرض من حيوانات مستأنسة ومتوحشة ، وحشرات ، وهوامّ ، وما يسبح في جو السماء من طير ؛ كما نرى فيها البحر، وأمواجه وسفنه ، والسماء بنجومها ، وكواكبها ، وما هنالك من رياح ، وعواصف ، وسحب ، وبرق ، وأمطار ، وسيل ، وجداول ، وأنهار ، وغُدران .

كما نجد من مظاهر الترف والنعيم : التماثيل ، والدمى، والدراهم، والدُّر، والذهب ، واللؤلؤ ، والمرايا ، والحرير ، والدمقس ، والطيلسان ، والوشي والزخارف ، والعطور ، وأنواع الفرش والرياش ، وفاخر الأثاث، والثياب .

وإذا وازنّا بين عدد كل من المصادر والصور الشعرية نرى أن عدد الصور أكثر من عدد المصادر ، فهناك ١٥٦ صورة، أما المصادر فعددها ١٢٢ مصدراً،

---

(١) ص ٢٥ ب ٧٤ .

(٢) ص ١٩١ ب ١٠ .

(٣) ص ٨١ ب ١٣ .

وهذا معناه أن الشاعر كان على العموم يحب أن يأخذ كل صورة من مصدر جديد ، بقدر الإمكان ، وذلك يوحي بقوة الملاحظة ، ووحدة الفطنة إلى مواطن المماثلة في الظواهر المختلفة ، وإذا وهب الفنان بجانب ذلك براعة في إبداع الصلة بين المتماثلات ، جاء فنه رائعاً ومثيراً ، والحق أن ذلك كله قد أتيح لامرىء القيس في كثير من الصور ، كما شاهدنا في نماذجه التي مرت بنا، وسوف نعرض بعض صوره الجميلة بعد قليل إن شاء الله .

وهذه المصادر التي استقى منها امرؤ القيس صوره الشعرية لم يستعمل كل واحد منها مرة واحدة فقط ، بل إن هناك بعض هذه المصادر استغلت أكثر من مرة في صور مختلفة ، وذلك مثلاً كالذئب استعمل في بعض صور الحصان [1] ، وفي تصوير الربيئة [2] ؛ وكالبحر جاء في تصوير الليل [3] ، وفي تصوير الحياة [4] وكالجمر صوّر به ما على لبات المرأة [5] ، كما صوّرت به السهام [6] ، وواضح أنه كان يستعمل مثل هذه المصادر في كل صورة من الزاوية التي تخدم غرضه ، فيأخذها من الناحية التي تزيد صورته وضوحاً ، أو حسناً ، أو تأثيراً .

وأحياناً كان الشاعر يستعمل المصدر الواحد أكثر من مرة في تصوير منظر بعينه ولكنه قد يأتي حينئذ بالصورة نفسها فتكون مكررة ، وسنعرض لذلك إن شاء الله في الحديث عن التعبير عند امرىء النيس ؛ وقد يأتي بنفس الصورة ومصدرها ولكن في تطوير وتحوير لتبدو كأنها جديدة .

فمن صوره الشعرية ومصادرها يتبين أنه كان يحب التنويع والتطوير في

---

(١) ص ٦٧ ب ٣٩ .

(٢) ص ١٧٢ ب ١٨ .

(٣) ص ١٨ ب ٤٤ .

(٤) ص ٢١٨ ب ١٧ .

(٥) ص ٢٩ ب ١٢ .

(٦) ص ١٢٥ ب ٥ .

معظم الأحوال . فمثلاً الباكي لفراق الحبيبة صوّره مرة بناقف الحنظل[٧] :

كأني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سَمُرات الحيّ ناقف حَنْظَل

والحنظل له حرارة تدمع منها العين ، فناقفه وهو الذي يستخرج حبه يسيل دمعه حتماً ولا يمكن منعه ، وكذلك من اشتد به الشوق والحزن لفراق الأحبة : ومرة يصور دموعه الغزيرة بسيل المزادة[٨] :

فسحَّت دموعي في الرداء كأنها كُلىً من شَعيب ذات سَحٍّ وتَهْتان

وفي مرة أخرى تظهر الدموع في صورة نهر يجري في انحداره[٩] :

فعيناك غَرْباً جَدولٍ في مفاضَةٍ كَمرٍّ الخليج في صَفيحٍ مُصوَّب

والمرأة في جمالها كالبيضة ، أو التمثال ، أو غزال في بيت ملوك[١٠] :

وماذا عليه أن ذكرتُ أوانساً كغِزْلان رمل في محاريب أقيال

وموكب الظعائن في قطاره المتتابع الضخم وسط السراب كالسُّفُن ؛ وفي الألوان المختلفة يبدو كأنه حدائق الدَّوم ؛ أو نخيل طويلات مغروسات في الماء ، وقد أينع ثمرها الأحمر والأصفر وسط الخضرة ؛ ثم يصور هذا كله بأنه كان يبدو في وسط الصحراء التي كساها السراب كالدُّمَى المصورة على المرمر ، فكأنما صنعت الظعائن لوحة فنية للوادي ؛ وهذه الصور الكثيرة

---

(١) ص ٩ ب ٤ . والسَّمُر : شجر الصمغ العربي .

(٢) ص ٩٠ ب ٤ . سحت : سالت وصبت . وشعيب : مزادة . كُلاها : رقع تكون في أصول عراها ، وأكثر ما يسيل الماء منها . تهتان : سيلان .

(٣) ص ٤٤ ب ١٣ . الغَرْبان : الدَّلْوان . الجدول : النهر الصغير ويريد هنا البئر . المفاضة: الأرض الواسعة. الصفيح : حجارة تجعل على جنبي الجدول لئلا يتهدم. مصوَّب: منحدر.

(٤) ص ٣٤ ب ٣٢ . المحاريب : الغرف . الأقيال : الملوك، وهم يتخذون الغزلان ويربونها.

للظعائن قد صنعها الشاعر في لوحات متتالية دفعة واحدة هكذا[1] :

بعينيّ ظُعنِ الحيِّ لّما تحمَّلوا ... لَدى جانب الأفلاج من جَنْب تيمرا
فشبهتهم في الآلِ لّما تكمشوا ... حدائق دَوْمٍ أو سَفيناً مقيّرا
أو المكْرَعات من نخيل ابن يا مِنٍ ... دُوَين الصَّفا اللَّائي يلين المُشقَّرا
سوامق جبّار أثيث فُروعُه ... وعَالَيْنَ قِنْواناً مِن البُسْر أحْمَرا
حمته بنو الربداء من آل يامنٍ ... بأسيافِهِم حتى أُقِرَّ وأُوقِرا
وأرضى بني الربداء واعتمَّ زهوُه ... وأكمامُه حتى إذا ما تهصّرا
أطافت به بنُو جَيلانَ عِندَ قِطاعِه ... تَرَدَّدُ فيه العينُ حتى تَحَيَّرا
كأنَّ دُمى سقْفٍ على ظَهر مَرْمَرٍ ... كَسَا مُزْبدَ السَّاجُوم وشْياً مصوَّرا

فهو يعطينا صورة للظعائن وقت الظهيرة وهي تسير في الصحراء وقد كساها السراب ، فتبدو كالسفن تمخر عباب البحر ، أو حدائق الدوم ، أو النخيل في وسط المياه ، ثم يظهر ألوان الظعائن بما تحتويه الحدائق من أزهار وثمار ، أو بألوان البلح الأحمر والأصفر وسط خضرة النخيل وبين ضخامة ما تحمله إبل الموكب من أحمال ثقال وطول الموكب وارتفاعه بضخامة السفن ، وارتفاع شجر الدوم، والنخيل، والمحافظة على ثماره حتى تم وكَمُل فكان ضخماً كثيراً . ثم السراب وفي وسطه هذا كله بألوانه الخضراء والحمراء والصفراء كان كلوحة مصنوعة من المرمر .

وفي منظر آخر يصوّر الظعائن في الليل فيأخذ الصورة كذلك من النخل

---

(١) ديوانه ، ص ٥٦ ب ٣ — ١٠ ، الآل : السراب . تكمشوا : أسرعوا في السير . الدوم: شجر باليمن يطول ويرتفع كالنخل. المكرعات : المغروسات في الماء . سوامق: مرتفعات طِوال . جبار : زائد الطول . أثيث : غزير . اعتم زهوه : كمل وتم نضج ثمره . الساجوم : وادٍ .

ولكنه في هذه المرة غير مثمر (١)

وحدِّث بأنْ زالتْ بليلٍ حمولُهم ... كنَخل من الأَعْراض غير منبَّق

ففي الليل لا يظهر إلا السواد، ولا تتبين الألوان . وفي صورة أخرى نرى له صورة للظعائن في البكور فيأخذها أيضاً من النخل المثمر ولكن قد تمّ نضجه وحان قطافه (٢)

أو ما ترى أظعانهن بَوَاكِراً ... كالنخل من شَوْكانَ حينَ صِرَام

فضوء الصباح الباكر لا تظهر فيه الألوان بوضوح كما في الشمس ، ولا تختفي كما في الليل ، بل تكون بين بين .

وصوّر سرعة الحصان ونشاطه في الجري بصورة ظبي انقضّت له عقاب من قمة جبل شامخ ، فولى هارباً (٣) :

كَتَيْس الظباء الأعفر انضرجت له ... عُقابٌ تدلّت من شماريخ ثهلان

وفي صورة أخرى يطير طيراناً ليهجم على الصيد ، فكان في صورة باز يحلق في السماء وينقض على أرنب (٤) :

كأن غُلامي إذ عَلا حالَ مَتْنِهِ ... على ظهرِ بازٍ في السماء مُحلِّق

رأى أرنباً فانقضَّ يَهوِي أمامَه ... إليها ، وجلاَّها بِطَرفٍ مُلَقْلِق

وفي صورة ثالثة يُبين سرعته ، وعنف هجومه على الوحوش ، وكثرة ضحاياه ، فيأتي بصورة عقاب خفيفة سريعة ، ذات أفراخ، فتصيد كثيراً من

---

(١) ديوانه ص١٦٨ ب ٢ . غير منبق : غير مثمر . والأعراض : أودية واحدها عِرْض.
(٢) الديوان ص ١١٥ ب ٥ ، شوكان : موضع كثير النخل ناعمه .
(٣) ص ٩٢ ب ١٢ . انضرجت : انقضت . شماريخ ثهلان : أعالي جبل ثهلان .
(٤) ديوانه ص ١٧٣ ب ٢٤–٢٥ .

الطير ، وتخطفها خطفاً ، حتى امتلأ مكانها بقلوب الطير رطبة ويابسة [1] :

كأني بفَتْخاء الجناحيْن لِقوةً ... صَيُودٍ من العِقبان طأطأتُ شِمْلالِ
تَخَطَّف خِزّانَ الشَّرَبَّة بالضُّحا ... وقد حَجرتْ منها ثعالبُ أوْرالِ
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لَدَى وكرها العُنّاب والحشَف البالي

ومنظر البقر الوحشي في البياض وطول الأذناب والمشي كمنظر العذارى يمشين في ملاحف بيض طويلة الأهداب [2] ، أو كمنظر خيل تجول وعليها أجلال بيض [3] ، وما في البقر الوحشي من بريق وسواد وبياض يجيء في في صورة وشي البُرود [4] ، أو كالخرز الذي يفصل بين حباته اللؤلؤ [5] .

ومما استعمله الشاعر في تصوير سرعة الناقة ونشاطها ، صورة الحمار الوحشي ، وقد استعرضنا له في النماذج ثلاث صور في ذلك ، وإذا تأملنا هذه الصور الثلاث فسوف نجد ، أنها ، وإن اتفقت في المصدر ، فهي تختلف في الملامح والتفصيلات ؛ فالأولى صورة بسيطة ، فهي صورة حمار وحشي قوي يعيش في خصب ورغد ، أما الثانية فهي لحمار يعيش في خصب أيضاً ، ومعه أُتن حيال يتحكم عليها بقسوة ، ويضربها بجدة وعنف : أما الثالثة فلحمار يطارد جماعة من الأتن ذوات الأولاد، وهو في منتهى الشراسة ، وآثار العراك ظاهرة فيه من الجروح والكدمات التي بجسمه ، وقد ساق هذه الأتن

---

(١) ص ٣٨ ب ٤٩–٥١ . فتخاء : لينة الجناحين . لقوة : سريعة. صيود : كثيرة الصيد لتطعم فراخها الكثيرة . طأطأت : خفضت ودانيت . تخطف : تأخذ بسرعة . خِزان : جمع خُزَز ؛ وهو ذكر الأرانب . حجرت : اختفت . أورال والشربة : موضعان . الحشف : التمر الرديء .

(٢) ص ٢٢ ب ٥٩ .

(٣) ص ٣٧ ب ٤٦ .

(٤) ص ٣٧ ب ٤٥ .

(٥) ص ٢٢ ب ٦٠ .

أمامه ليوردها ماء بعيداً ، ثم أصدرها ، فكانت تجري ذهاباً وإياباً بسرعة عنيفة حتى فقدت أولادها ، فمنها ما تخلف ، ومنها ما اندقت عنقه ونفق .

فترى أن الشاعر كان يحاول أن يأخذ صوره - كلما استطاع - من مصادر متعددة ، فاذا اضطر لاستعمال مصدر أكثر من مرة في صورة أخرى لمنظر معين ، بذل كل ما في جهده لجعل الصوره المتشابهة متغايرة بما يدخله فيها من تحوير أو تفصيل ، وقد يجره ذلك إلى الإطالة في الحديث عن المصدر الذي استعان به في الصورة، مما يجعلنا نظن أنه يتحدث عن هذا المصدر لِذاته ، لا لغرض تصوير شيء آخر .

***

وقد سبق أن ذكرنا بعض صور له أخذت عليها عيوب معنوية أو لفظية ولكن على العموم يبدو أن الشاعر كان رقيق الحس ، مرهف الشعور ، قوي الملاحظة ، دقيق الإدراك في تصويره ، وقد وجدت كثير من الصور تتجلى فيها المهارة الفنية بشكل واضح ؛ انظر مثلاً هذه اللمحة الخاطفة التي يصور بها منظراً في رحلة صيد (١)

فبينا نِعاجٌ يرتعين خميلةً ... كمَشْي العذارى في الملاء المهذَّب
فكان تنادينا وعَقْدَ عِذاره ... وقال صحابي: قد شأونك، فاطلُب
فلأياً بلأْيٍ ما حَمَلْنا وَليدَنا ... على ظهر محبوك السراة مُحنَّب
وولَّى كشُؤبوب العشيِّ بوابلٍ ... ويخرجن من جَعْدٍ ثراه مُنَصَّب

فهو وأصحابه تقع أعينهم فجأة على قطيع من بقر الوحش يتهادى في مشيته كالغيد الحسان ، فتنطلق صيحات الجماعة بالهجوم فوراً ، وفي نفس

(١) الديوان ، ص ٥٠ ب ٣٥-٣٨ .

اللحظة بوضع اللجام في الحصان، ويصرخ الأصحاب بأن القطيع أخذ يجرى، وتزداد حمية الفرس ، ويستجمع كل قواه ونشاطه ، حتى إن الوليد لم يستطع أن يمتطي ظهره إلا بعد جهد عنيف ، وفي طرفة عين يندفع الحصان كوابل منهمر ، وكان القطيع قد تحقق الخطر فانطلق يجري بقوة حتى أثار الغبار عالياً مع أن الأرض كانت خصبة ندية ، فترى في الصورة أن هذا قد حدث كله في لمح البصر . وكذلك الصورة الرائعة في قوله (١) :

كأن دُمَى سَقْفٍ على ظهر مَرْمَر ... كسا مُزْبدَ الساجوم وشْياً مُصوَّرَا

فقد كان الوقت في الظهيرة حينما كسا السرابُ وادي الساجوم ثم مَرَّت فيه الظعائن وما عليها من الوشي ، والألوان الجميلة المختلفة ، فبدا منظر الوادي بسرابه والظعائن فيه كأنه دُمى سقف مصورة على سطح من المرمر .

ويصور نفسه في ديار الحبيبة بعد رحيلها مع قومها بقوله (٢) :

ظَلِلت رِدائي فوق رأسيَ قاعدا ... أَعُدُّ الحصَى ما تنقضي عَبَراتي

فهذه صورة توضح حالتيه المرئية والنفسية في ذلك الوقت ، فلما وجد الديار مقفرة ، متغيرة ، غشيه الهم، وغاب عنه وعيه ، فجلس جلسة البائس الحزين ، وقد وضع ثيابه فوق رأسه ، ولعله فعل ذلك ليخفي نفسه ، فلا يعرفه أحد ، ولا يرى منظره وهو يبكي أو يتألم ، ثم أخذ يعبث بالحصى ويقلّبه بين يديه ، كأنما يعده ويحصيه ، وهذا من فعل الحزين المتحير .

ومن صوره الجميلة صورة السكارى(٣) :

ونشرب حتى نَحسِبَ الخيلَ حولنا ... نِقاداً، وحتى نَحسبَ الجَوْنَ أشقرا

فقد ذهبت الخمر بعقولهم وادراكهم، حتى فقدوا التمييز بين الأنواع

---

(١) ص ٥٨ ب ١٠ .

(٢) ص ٧٨ ب ٣ .

(٣) ص ٧١ ب ٥٤ . والنقاد : صغار الغنم، والجون (هنا) الأسود .

والأحجام والألوان ؛ فلا يعرفون الخيل من الغنم ، ولا الصغير من الكبير ، ولا الأبيض من الأسود .

* * *

ولم يهمل امرؤ القيس الجانب النفسيّ في شعره، بل كان له فيه نصيب ، وقد بلغ التصوير النفسي قمته عند امرىء القيس في شكواه وتحسره ، وقد عرضنا ذلك في موضعه عرضاً مفصلاً ، تتجلى فيه النفس المضطربة المتحيرة ، التي أحاط بها البؤس واليأس ، وقاست من ويلات الحياة وبلائها ونكدها ، بعد ما كانت تمرح في انطلاق واسع ، وبُعدٍ تام عن الاعباء والمسؤوليات ، فقد اصطدمت نفسه بحقائق مُرّة ، وضاع أمله في الحياة ، بذهاب قومه ، وانفضاض الأعوان من حوله ، وتضعضع شأنه ، فاستسلم ؛ وكانت تعاوده ذكريات الماضي الحلوة ، وتختلط بأنين الحاضر وآلامه ، فجاء شعره في هذا الموضوع مصوراً هذه المشاعر المختلطة المتضادة، مما يدل على قلق نفسي واضح.

وبجانب ذلك نجد له في أغراضه الشعرية الأخرى ما يتصل بالجانب النفسي كذلك ؛ من هذا مثلاً ، قوله[1] :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها   منارة مُمْسَى راهب مُتَبتِّلِ

فهو ولا شك يقصد أن يصور الجمال الحسي في بياض وجهها وبشرتها حتى لكأنها تشع نوراً وضياء كالمنارة التي ترسل أشعتها في جميع الأرجاء ، ولكن أليست المنارة تبدد الظلام وينبعث منها الدفء مع الضياء ، وترشد الضال ، وتهدي إلى الطريق الصحيح ، خصوصاً أنها منارة راهب ، مجتهد في العبادة والطاعة ؟ وإذا كانت تلك صورة يصور بها شعوره نحو حبيبته ، فليس ببعيد أن يقصد منها أنها تؤثر في نفسه تأثير هذه المنارة فيمن يراها أو يكون في نطاق دائرتها ، إنه في بُعده عنها يشعر بالحيرة والقلق والظلام ،

---

(١) ديوانه ص ١٧ .

فاذا ما رآها تبددت الغشاوة ، ووضح أمامه الطريق ، وإن أصبح في محيط تأثيرها أحس الدفء يسري في نفسه ؛ دفء المحبة والمودة والصفاء ، وشعر بالهدوء والراحة والاطمئنان . ولعل مما يؤيد هذه الناحية في الجانب النفسي ، ما جاء له في صورة أخرى ، يقول فيها [1] :

كأنّ على لَبّاتِها جَمْرَ مُصْطَلٍ أصابَ غَضىً جَزْلاً وَكُفّ بأجْذالِ
وهبَّتْ له ريحٌ بمختَلِفِ الصُّوَى صَباً وشَمالٌ في مَنازِلِ قُفّالِ

فالذي يظهر من هذه الصورة أنه يشبه توقُّد الحلي بجمر غضي ، وقال المفسرون هنا إنه خص الغضى لأن جمره أبقى الجمر ، وجعله الشاعرُ جمرَ مصطل لأن المصطلي يقلّب الجمر ويتعاهده لئلا يخمد ، ثم إن هذا الجمر قد حُلّق حوله بأجذال الشجر وهي أصوله ، ليكون الجمر أحسن ما يكون وزاد في توقد الجمر أنه كان في مكان مرتفع تختلف عليه الريح فيشتد لهيبه ، وأنه قد أوقِد خصيصاً لقوم راجعين من السفر ، وهؤلاء في العادة أحوج إلى النار عند النزول .

هذا هو ما قيل حول هذه الصورة ، ولكن لا يجوز مع هذا أن يكون ذلك تصويراً لنار المحبة والهيام ، وما يشع من فؤاد الحبيبة وصدرها من تيارات تنفذ إلى نفس الحبيب الذي كان بعيداً ، وقد عانى من الفراق والهجر ، فإذا التأم الشمل ، دبت الحياة في أوصاله ، وانتعشت نفسه ، وأحس الراحة والمتعة والسعادة ، كما يحس المسافر في البرد من مكان بعيد عندما يحيط به الدفء من كل مكان ؟ .

ومما فيه تصوير للجانب النفسي تصويره ليلَ المهموم بالبحر وأمواجه ، وبمكان مُحكَم الإغلاق بالحُجب والأستار ، كأن الذي يعاني من القلق النفسي يتقلب في دوامة مظلمة ، مهلكة ، مؤلمة للحس والأعصاب ، فلا يرى ، ولا يسمع ، ولا يعرف ماذا يفعل ، ولا أين يسير .

---

(١) ديوانه ص ٢٩ - ٣٠ .

والحق أن امرأ القيس أبدع في التصوير الحسي في موضوعات المرأة ، والطرد والقنص ، والطبيعة والشكوى والتحسر ، كما أن التصوير النفسي كان له نصيب في فن امرىء القيس ، وفي كل من تصويره الحسي والنفسي جاءت صوره متقنة ؛ ظاهرة ، مما يدرك بالحواس البشرية في يسر ووضوح .

* * *

التعبير :

المقصود بذلك هنا الوسيلة التي اتخذها الشاعر ليترجم بها ما كان يجيش في صدره من انفعالات وعواطف في شتى النواحي التي تضمنها فنه ، محاولاً أن تجيء هذه الترجمة معبِّرةً تماماً عن شعوره ونفسه وفي أكمل الصور وأوضَحِها وأروعِها .

والمعروف أن الفنون الجميلة العليا لكل منها وسيلته الخاصة في التعبير ، ووسيلة الأدب إنما هي الألفاظ والعبارات وما تتضمنه من المعاني والموسيقا ، وتتوقف درجة كل نص أدبي على مدى موهبة الأديب ومقدرته على السيطرة على هذه الوسيلة ، والتصرف فيها بدقة وإتقان للوصول إلى الهدف المنشود .

والأدب في تعبيره ، مثل كل الفنون ، لكل وضع فيه تعبير معين ، ولكل تعبير لون خاص بحسب الغرض المقصود منه . وقد تحدث امرؤ القيس في عدة مجالات ، وعرض في فنه كثيراً من الصور الشعرية للظواهر المختلفة التي حركت مشاعره ، وأثارت عواطفه .

وبعد التحليل التفصيلي لشعر امرىء القيس الذي استعرضنا فيه أفكاره وصوره نستطيع أن نقول إنه كان يملك زمام وسيلة التعبير الأدبي ، حينما يكون المجال ملائماً لميوله وطبيعته ، وأنها كانت تستعصي عليه إذا حاول أن يسير في غير اتجاهه الطبيعي ، وهنا يساعدنا التعبير عند امرىء القيس على كشف نواحي شخصيته ونفسيته ، كذلك . وقد سبق أن ذكرنا أن أفكار امرىء القيس في مجالات المرأة والطرد والطبيعة والشكوى كانت قوية مما يدل على قوة عاطفته وصدقها في هذه النواحي ، وهذا يشير إلى ميله الطبيعي

إلى تلك المجالات ، كما أنه كان على العكس من ذلك في موضوعات المدح والذم والتهديد والحرب والفخر ، مما يدل على عدم وجود نفسية تهوى هذه الموضوعات وهاتان الحالتان نلمسهما بوضوح في تعبيره، فهو في النواحي الأولى قوي ورائع ويدل بوضوح على أن وسيلة التعبير الأدبي كانت طوع بنانه ، يتصرف فيها كيفما شاء ويقلّبها على كل وجه في أي مجال من هذه المجالات الأولى ، كما يؤيد ذلك ما شاهدنا له من الصور المتعددة في الموضوع الواحد ، وربما كان أكثر من صورة تشترك في المادة التعبيرية ، ولكن بما خلعه امرؤ القيس على كل منها من لون خاص ، أو ملامح معينة ، جعلها تبدو فيما بينها متغايرة ، ولا شك أن الفضل في ذلك راجع إلى مهارة الشاعر ، وحسن استعماله لوسيلة التعبير ومادته . أما تعبيره في النواحي الأخرى فكان أقل بكثير من ذلك . ولعل هذا هو السبب في قلة ما جاء له في الموضوعات التي لم يكن يميل إليها، فنتاجه في النواحي الأولى من حيث الكمية والمقدار أكثر وأغزر ، أما في النواحي الأخرى فقليل في الكمية والحجم ، وكل قصائده الطوال تقريباً جاءت في الأغراض التي قلنا إنه كان يميل إليها بطبيعته أما هذه التي كانت لا توائم طبيعته ، فكلها من المقطوعات القصار، وكل منها أبيات معدودات. فالظاهر أن نفسه كانت تنطلق على سجيتها فيما تحب ، وتتوارد عليها الخواطر ، فتجد وسيلة التعبير أمامها سهلة سلسة ، فتتكوّن منها الصور ، وتخرج قوية رائعة .

ومهما يكن فإن التعبير الفنيّ عند امرىء القيس يبين أن الشاعر كان يملك ثروة كبيرة من الألفاظ والعبارات وكان يحسن التصرف فيها ، ويجيد رصفها وصنعها ، في دقة وإحكام ؛ كما يدل على أنه كان على علم بما تتضمنه هذه الكلمات من معان وأفكار، وأنه كان دقيق الحس بما فيها من تنغيم موسيقي، وأنه كان يجيد اختيار أنسب الألفاظ ، وأحسن العبارات ، ويضعها في مواضعها الصحيحة . اللهم إلا في القليل النادر ، فقد ورد له في تعبيره بعض ألفاظ لم يحسن اختيارها ، وبعض عبارات لم يُفلح في إجادة وضعها ، من

ذلك مثلاً لفظة «مستشزرات» في قوله وهو يتحدث عن شعر الحبيبة [1] :

غَدائره مُستشزِرات إلى العُلا   تضل المدارَى في مثنًّى ومرسَل

ففيها ثقل في النطق، ومثلها لفظة «أشجذت» في قوله عن سحابة ممطرة [2] :

تُخرِج الودَّ إذا ما أَشجذَت   وتُوارِيه إذا ما تَشْتَكِرْ

فهي كذلك ثقيلة على اللسان. وفي قوله [3] :

جَعَلْن حَوايا واقتعدن قعائداً   وحَفَّفْنَ من حَوْكِ العراقِ المنمَّقِ

جملة « اقتعدن قعائداً » ثقيلة، وفيها تكرار للفظتين مشتقتين من القعود، ولو أنه غاير بينهما، مثل : «افترشن » أو اتخذن قعائداً»، أو نحو ذلك لكان أحسن . وفي البيت [4] :

فجزيت خيرَ جزاءِ ناقةِ واحدٍ   ورجعت سالمة القرا بِسلام

كثرة الإضافات المتوالية في «جزاءِ ناقةِ واحد» وهـذا غير مستحسن ، وكذلك قوله « سالمة القرا بسلام» فيه ضعف لفظي .

وفي قوله [5] :

تضيء الظلام بالعشاء كأنها   منارةُ ممسَى راهب متبتِّل

لفظة « متبتل » ومعناها : المتعبد المجتهد في العبادة المنقطع عن الناس ،

---

(١) الديوان ص ١٧ ب ٣٦ .
(٢) ص ١٤٤ ب ٢ .
(٣) ص ١٦٨ ب ٣ .
(٤) ديوانه ص ١١٦ ب ١٣ .
(٥) الديوان ص ١٧ ب ٣٩ .

لا تؤدي معنى مطلوباً هنا لأنه يتحدث عن جمال الحبيبة . وأنها لحسنها وبياضها مضيئة كمصباح الراهب الذي يشعله في المساء ليهتدي به الناس . والتبتل ليس له دخل في زيادة قوة الضوء ، اللهم إلا إن كان المقصود الجانب النفسي على النحو الذي أوضحته آنفاً .

وقوله (١) :

وهل يَعَمن مَنْ كان أَحْدَثُ عهدِهِ ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال

فيه التعبير « في ثلاثة أحوال ، أي ثلاثة أعوام » لا لزوم له لأن الثلاثين شهراً لا يمكن إلا أن تكون في ثلاث سنين ، فكان يمكن أن يستغنى بأحدهما عن الآخر .

ويظهر ضعف التأليف في قوله (٢) :

ألا رُبَّ خصمٍ فيك ألْوَى رَدَدْتُه نصيحٍ عَلَى تعذالِه غيرِ مُؤْتَلِ

فهو يريد أنه في حبه للحبيبة وإفراطه في ذلك لا يستمع لنصح الناصحين الذين يبالغون في عذله ولومه ، بل يردهم ويعتبرهم خصوماً ألداء ، فجاء بالخبر وهو « رددته » قبل أن تتم صفات المبتدأ التي ذكر منها بعد الخبر « نصيح » و « غير مؤتل » .

وكذلك في قوله (٣) :

ولم يُنسِني ما قد لَقِيتُ ظعائناً وَخَمْلاً لها كالقَرِّ يوماً مُخَدَّرا

فهو يقصد أن يقول : « إن ما لقيته من الهموم والأحزان لم يُنسِني في

---

(١) ص ٢٧ ب ٣ .
(٢) ص ١٨ ب ٤٣ .
(٣) ص ٦٢ ب ٢٣ .

يوم من الأيام ظعائناً وحُملاً مخدّراً لها كالقَرّ » . فجاء بهــذا التعبير المعقد في البيت .

وقيل إنه استعمل لفظة « الثريا » مكان « الجوزاء » في قوله [١] :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت تعرُّض أثناء الوِشاحِ المفَصَّل

لأن الثريا لا تتعرض ، وإنما الجوزاء هي التي تتعرض ، وتعرضها معلوم ومشهور .

* * *

ويتجلى ذوق امرىء القيس الفني في اختياره للألفاظ التي صاغ منها فنه ، فهي ألفاظ سهلة ، سلسة ، قوية ، تؤدي المقصود منها في يسر ، ولا يجــد القارىء أو السامع كبير عناء في معرفتها ، وكلها تقريباً من الألفاظ التي ما زال معظمها مفهوماً ومعروفاً لنا الآن ، بل إن كثيراً جداً منها نستعمله في عصرنا الحاضر بالرغم من هذا الزمن الطويل الذي يفصل بيننا ، وبين عصر الشاعر . وإنه لما يسترعي الانتباه ، ويثير الدهشة أننـــا في تتبعنا لألفاظ الشاعر في المجموعة الشعرية التي اخترناها للدراسة ، وجدناها كلها من الألفاظ التي تدور على ألسنتنا في العصر الحاضر إلا حوالي ثمانين كلمة هي التي ربمـا أصبحت قليلة الاستعمال لدينا ، وربما بدت غير مألوفة لنا الآن ، وإذا قسنا عدد هذه الكلمات بعدد الأبيات المدروسة له ، وهي ٥٥٣ بيتاً تبين أن نسبة الألفاظ غير الشائعة في استعمالنا الآن من ألفاظ امرىء القيس نسبة ضئيلة إذ تكون النسبة كلمةً في كل حوالي سبعة أبيات . وهذه الألفاظ هي :

الإتب[٢] : وهو الثوب الرقيق الذي له جيب وليس له كُمّان

---

(١) ص ١٤ ب ٢٤ .

(٢) الديوان ص ٦٨ ب ٤٤ .

أصُوص: [1] اي ناقة لم تحمل. **الإطـْل والأيطل** [2] للخاصرة والكَشح.

باصَ [3] : أي سبق وتقدم. **البَـاعُ** [4] : وهو الثقـْل. **البلاثق** [5] : وهي المواضع فيها المياه.

التائق [6] : وهو الممتلىء من كل شي. **المتفال** [7] : وهي التاركة للطيب حتى تقبح رائحتها.

الجَحِد [8] : الصلب. **جواحر** [9] : متخلفات. **الجُزارة** [10] بمعنى القوائم.

جَرْجَرَ [11] صَوَّت. **جَلـْعَد** [12] : غليظ شديد.

الإحثال [13] وهو سوء الغذاء. **الحرجوج** [14] : الطويلة على الأرض **الحرشف** [15] : الجراد. **الحُزُقـّة** [16] : القصير الضيق الباع.

---

(١) ص ١٧٨ بيت ٦.

(٢) ٢١ بيت ٥٦، ص ١٤٦ بيت ٨.

(٣) ص ١٧٧ بيت ١.

(٤) ص ٢٥ بيت ٧٤.

(٥) ص ١٨٢ بيت ٢١.

(٦) ص ١٩٥ بيت ٣.

(٧) ص ٣٠ بيت ١٦.

(٨) ص ٢١٥ ب ٨.

(٩) ص ٢٢ بيت ٦١.

(١٠) ص ١٦ بيت ٣٩.

(١١) ص ٦٦ بيت ٣٧.

(١٢) ص ٦٧ بيت ٤١.

(١٣) ص ١٩٢ بيت ١٣.

(١٤) ص ٤٥ بيت ١٦.

(١٥) ص ١٩٣ بيت ١٦.

(١٦) ص ٩٥ بيت ٤.

حلأ [١] : بمعنى طرد ومنع. **مُحَنَّب** [٢] : أي في يديه ورجليه انحناء.

التخترُ [٣]: الفتور والكسل . **الِخشْف** [٤]: ولد الظبية . **الخَنَنُوف** [٥] الذي يرمي بيديه في السير . **الخَيْفَق** [٦] : الطويلة .

الدَّثر [٧] : الكثير : **الدِّرْص** [٨] : ولد الفأر الصغير . **الدَّلِيص** [٩] : الذهب الذي له بريق .

الزُّهلول [١٠] : الخفيف الحركة .

سَافَ [١١] : شَمَّ . **السبَد** [١٢] : الشَّعر ، ويراد به المعز . **يَسْفِن** الأرض [١٣] : يمسحها .

سَهْوَق [١٤] : طويل . **والسَّجَنْجَل** [١٥] وهي المرآة بالرومية .

شاصَ [١٦] بمعنى استعمل السواك . **شَبُوب** [١٧] ، مُسِنّ. **أشْجَذَ** [١٨]

---

(١) ص ٩٥ ب ٤ .
(٢) ص ٥٠ بيت ٣٧ .
(٣) ض ٦١ بيت ١٧ .
(٤) ص ١٧٢ بيت ١٩ .
(٥) ص ٤٧ بيت ٢٣ .
(٦) ص ١٦٩ بيت ٧ .
(٧) ص ١١٢ بيت ١٤ .
(٨) ص ١٨٠ بيت ١٢ .
(٩) ص ١٨١ بيت ١٥ .
(١٠) ص ١٧٦ ب ٣٦ .
(١١) ص ٦٦ ب ٣٧ .
(١٢) ص ٢١٩ ب ٢١ .
(١٣) ص ١٧٢ ب ٢٠ .
(١٤) ص ١٧٥ ب ٣٠ .
(١٥) ص ١٥ ب ٣١ .
(١٦) ص ١٧٨ ب ٤ .
(١٧) ص ١٩٠ ب ٦ .
(١٨) ص ١٤٤ ب ٢ .

أقلع وسكن .

مُشَجَّر (١) مربوط . **مُشَرعَب** (٢) مصنَّف . **مستشزرات** (٣) : مفتولات .

شَعيب (٤) مزادة . **تَشتكر** (٥) : تحتفل الغمامة ويكثر مطرها .

الصَّفيف(٦) اللحم المشرح الرقيق. **الصَّليف** (٧) ، عُود من أعواد الرحل .

المضَهَّب (٨) : الشواء لم يتم نضجه .

والصَّائِك (٩) : وهو العرق الثقيل الريح .

طُرّان الحصَى(١٠) : الطويل من الحصى العريض المحدد .

معتكِر(١١) دائم متتابع. **مُتعَثكِل** (١٢) : متداخل متشابك .

العُجَى(١٣): عُصَيب في اليدين والرجلين. **عَقَابيل** (١٤): وجع في الفؤاد.
العكَرة(١٥) (من الإبل): ما بين الستين إلى السبعين. **العَنْس**(١٦): الناقة

---

(١) ص ٦٣ ب ٢٧ .
(٢) ص ٥٣ ب ٤٨ .
(٣) صفحة ١٧ ب ٣٦ .
(٤) صفحة ٩٠ ب ٤ .
(٥) صفحة ١٤٤ ب ٢ .
(٦) صفحة ٢٢ ب ٦٣ .
(٧) صفحة ١٧٣ب ٢٣ .
(٨) صفحة ٥٤ ب ٥١ .
(٩) ص ٥٤ ب ٥٣ .
(١٠) ص ٦٤ بيت ٢٨.
(١١) ص ٧٨ بيت ٣
(١٢) ص ١٦ بيت ٣٥ .
(١٣) ص٦٤ بيت ٢٨ .
(١٤) ص ٨٩ بيت ٣ .
(١٥) ص ١١٢ بيت ١٤ .
(١٦) ص ٨١ بيت ١٣ .

الطيبة الشديدة . **العُنْصُل** [١] : نبت برّي يشبه البصل .

العِيَاب [٢] : الحقائب وما فيها من المتاع . **الأعْيَس** [٣] : البعير الأبيض الذي يضرب بياضه إلى الحمرة ، وهو أكرم ألوان الإبل .

العِيط [٤] : وهي الإبل التي لم تحمل سننها ، وقيل هي الطوال الأعناق.

المفْرَب [٥] : الأبيض الوجه والأشفار .

الفُرَانِق [٦] : الذي معه دليل أو غيره . **فَرْفَر** [٧] : حرك اللجام في فمه .

فَصِيص [٨] : صوت **مُستَفْلِك** [٩] : مستدير . **يفْنُنّها** [١٠] : يعودها .

يُفِيص [١١] : يَبْرُق . **الفِيقَة** [١٢] : ما بين الحلبتين .

القَرْهَب [١٣] : الفحل المسنّ. **القَرِيّ** [١٤] :مجرى الماء. **القَضِيمة** [١٥] :

---

(١) ص ٢٦ بيت ٧٥ .

(٢) ص ٢٥ بيت ٧٤ .

(٣) ص ١٠٦ بيت ٨ .

(٤) ص ١٠٦ بيت ٨ .

(٥) ص ٤٥ بيت ١٦ .

(٦) ص ٦٦ بيت ٣٦ .

(٧) ص ٦٧ بيت ٤٠ .

(٨) ص ١٨٢ بيت ١٩ .

(٩) ص ٤٨ بيت ٢٩ .

(١٠) ص ١٧٩ بيت ١١ .

(١١) ص ١٧٨ بيت ٥ .

(١٢) ص ٢٤ بيت ٧٠ .

(١٣) ص ٣٧ بيت ٤٧ .

(١٤) ص ١٩١ بيت ١٠ .

(١٥) ص ٥٢ بيت ٤٣ .

الصفحة البيضاء **القطاة** [١] بمعنى مقعد الرديف . **المقاناة** [٢] : المخالطة .

الأقهَب [٣] : ما كان لونه إلى الكدرة مع البياض . **القَيْض** [٤] : فِلَق البيض وقشوره .

كدِنَة [٥] : شديدة صلبة .

اللاحب [٦] : أي الطريق التي أثرت فيها الحوافر فصارت فيها طرائق.
ملَقْلِق [٧] : حاد النظر لا يفتر . **اللَّكِيك** [٨] : اللحم الكثير الثخين .

مَشّ [٩] : مَسحَ . **الأمَقّ** [١٠] : الطويل. **الميثاء** [١١]: مسيل الوادي أو الطريق العظيم إلى الماء .

النأنأ [١٢] : الضعيف المقصّر . **ناصَ** [١٣] : تحوّل . **مُناصٍ** [١٤] : مائـل متحوّل . **نَحُوص** [١٥] أتان لم تحمل . **النَّقاد** [١٦] : الغنم الصغار .

---

(١) ص ٤٩ بيت ٣٢ .
(٢) ص ١٦ بيت ٣٢ .
(٣) ص ١٧٤ بيت ٢٨ .
(٤) ص ١٧٠ بيت ١٢ .
(٥) ص ٨١ بيت ١٤ .
(٦) ص ٦٦ بيت ٣٧ .
(٧) ص ١٧٣ بيت ٢٥ .
(٨) ص ١٧٥ بيت ٣٣ .
(٩) ص ٥٤ بيت ٥١ .
(١٠) ص ٩٨ بيت ٧ .
(١١) ص ٢٨ بيت ٥ .
(١٢) ص ١١٢ بيت ١٣ .
(١٣) ص ١٧٧ بيت ١ .
(١٤) ص ٢١٨ بيت ١٦ .
(١٥) ص ٢٨٢ بيت ٢٠ .
(١٦) ص ٧١ بيت ٥٤ .

النَّوَّار [1] : النفور .

الهِبَاب [2] النشاط . **الهَيْدَبَى** [3] : مشية فيها تبختر .

الوَبِيص [4] : البريق . **المَوْدِق** [5] : المسلك . **الموشّق** [6] : اللحم المطبوخ المجفف . **الأوْطف** [7] : كثير الأهداب طويلها .

اليرفئيّ [8] بمعنى الظليم وهو ذكر النعام .

وقد أوردنا هذه المجموعة لنبين أن تلك الألفاظ مع أنها قد تكون الآن غير شائعة الاستعمال في معانيها المبينة طبقاً لما وردت في شعر امرىء القيس، فهي حسنة الجرس ، خفيفة على اللسان ، موسيقية لطيفة الوقع على السمع . والحق أنّ ألفاظ امرىء القيس التي استعملها في شعره تدل على سعة ثروته اللغوية ، ودقة ذوقه في اختيار أعذب الألفاظ ، وأنسبها للمعنى المقصود ، كما أن طريقته في استخدام مجموعته اللغوية للتعبير عما يريد تبين أنه كان قويّ الشاعرية ، مرهف الحس ؛ يؤيد ذلك حسن استعماله لهذه الألفاظ ، ومجيء كثير من المحسنات البديعية اللفظية في شعره وقد أوردناها في ثنايا بيان ما وُجِد له من وجوه البيان والبديع .

* * *

وقد سبق أن ذكرنا ما قاله النقاد السابقون عن التكرار ، وما أوردوه من أمثلة لامرىء القيس مما وجدوه مستحسناً في ذلك . وبدراسة شعره تبين أنه قد كرر في شعره بعض الألفاظ أو العبارات ، أو أنصاف الأبيات أو

(١ ، ٢) ص ٢٠٦ بيت ١ .
(٣) ص ٦٧ بيت ٤٠ .
(٤) ص ١٧٩ ب ٩ .
(٥) ص ١٧١ ب ١٥ .
(٦) ص ١٧٥ ب ٣٣ .
(٧) ص ٩١ ب ١٠ .
(٨) ١٧٠ ب ١١ .

الأبيات الكاملة مع تحوير قليل ، وهو في ذلك كله كان يريد نفس المعني .

فمما كرره في الألفاظ : « منجرد قيد الأوابد » فقد قال [1] :

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها بمنجردٍ قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَل

وقال في قصيدة أخرى [2] :

بمنجردٍ قيدِ الأوابدِ لاَحَه طِرادُ الهوادي كلَّ شأوٍ مُغَرِّبِ

ومما كرره بنفس المعنى ، وبنفس الألفاظ تقريباً قوله في إحدى افتتاحياته [3] :

ألاَ عِمْ صباحاً أيها الطلل البالي وهل يَعِمَنْ مَن كانَ في العُصُر الخالي

وقد قال في افتتاحية أخرى [4] :

ألا انْعَمْ صباحاً ايها الرَّبْع وانطلق

وحدِّثْ حديثَ الرَكْب إن شئتَ واصْدُق

ومن ذلك قوله في الناقة [5] :

فَدَعْ ذا وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بجَسْرَةٍ ذَمولٍ إذا صام النهارُ وهَجَّرا

وقوله فيها ايضاً [6] :

فَعزَّيتُ نفسي حِينَ بَانُوا بِجَسْرَةٍ أَمُونٍ كبنيان اليهوديِّ خَيْفَق

(١) الديوان صفحة ١٩ ب ٤٩ .
(٢) صفحة ٤٦ ب ٢١ .
(٣) صفحة ٢٧ ب ١ .
(٤) صفحة ١٦٨ ب ١ .
(٥) صفحة ٦٣ ب ٢٥ .
(٦) صفحة ١٦٩ ب ٧ .

كذلك كرر ، أنصاف أبيات ؛ فمنها ما يختلف تكراره بكلمة واحدة في الشطر كقوله [1] :

قفا نبكِ من ذِكرَى حبيبٍ ومَنزِلِ
بسِقْطِ اللِّوىَ بين الدخُول فحَوْمَلِ

جاء له مكرراً مع تغيير كلمة واحدة في قوله [2] :

قفا نبكِ مِن ذكرَى حبيب وعرْفــان
ورَسْمٍ عَفَتْ آياتُه منــذ أزْمانِ

ومنها ما تكرر فيه شطر البيت كـله بنفس الألفاظ مثل [3] :

وقد أغتدي والطيرُ في وُكُنَاتها بمنجردٍ قيدِ الأَوابد هَيكَل

فقد كرره مرة أخرى في قوله [4] :

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها لغيثٍ من الوسميّ رائدُه خالِ

وكرر مرة ثالثة بقوله [5] :

وقد أغتدِي والطير في وُكناتها وماء الندى يجري على كلِّ مِذْنَب

ومثل الشطر الأول من البيت التالي ، فقــد كرره نفسه ثلاث مرات

---

(١) صفحة ٨ ب ١ .
(٢) ص ٨٩ ب ١
(٣) ص ١٩ ب ٤٩ .
(٤) ص ٣٦ ب ٤٢ .
(٥) ص ٤٦ ب ٢٠ .

كذلك ؛ في قوله (١) :

فَعادَى عِداءً بين ثَورٍ ونَعجَةٍ ... دِراكاً ولم يُنْضَح بماءٍ فَيُغْسَل

وفي قوله (٢) :

فَعادَى عِداءً بين ثور ونَعجةٍ ... وكانَ عِداءُ الوَحْشِ مِنّي على بالِ

وفي قوله (٣) :

فعادَى عِداءً بين ثور ونَعْجةٍ ... وبَيْنَ شَبُوبٍ كالقَضِيمَةِ قَرْهَب

وكالشطر الأول في قوله (٤) :

له أَيْطَلا ظَبْيٍ وساقَا نَعامَــــةٍ ... وإِرخاءُ سِرْحان وتقريب تَتْفُل

فقد كرره في قوله (٥) :

له أَيطلا ظَبْيٍ وساقا نعامــــة ... وَصَهْوَةُ عَيْرٍ قائمٍ فوقَ مَرْقَبِ

ومثل (٦) :

فيا رُبَّ مَكروبٍ كررتُ وراءه ... وعَانٍ فَكَكْتُ الغُلَّ عنه ففدَّاني

أعاده في (٧) :

فيا رُبَّ مَكروب كررتُ وراءه ... وطاعنتُ عنه الخيلَ حتّى تَنَفَّسا

(١) ص ٢٢ ب ٦٢ .
(٢) ص ٣٨ ب ٤٨ .
(٣) ص ٥٢ ب ٤٣ .
(٤) ص ٢١ ب ٥٦ .
(٥) ص ٤٧ ب ٢٤ .
(٦) ص ٩٠ ب ٧ .
(٧) ص ١٠٦ ب ٦

وكالشطر الأول في هذا البيت [1] :

كأني ورَحْلي والقِرابَ ونُمْرُقي   على يَرْفَئيٍّ ذي زوائد نِقنِق

فقد كرره في قوله [2] :

كأني ورَحْلي والقرابَ ونُمْرُقي   إذا شُبّ للمَرْوِ الصغار وَبِيض

ثم أتى به مع تغيير كلمة واحدة في قوله [3] :

كأني ورِدْفي والقرابَ ونُمْرُقي   على ظهر عَيْرٍ واردِ الخَبَراتِ

ومما جاء مكرراً له أبيات بأكملها إلا في كلمة واحدة ، هي في الغالب كلمة القافية ، مثل [4] :

كأنَّ دماءَ الهاديات بِنَحرِهِ   عُصارةُ حِنّاءٍ بشَيبٍ مُرَجَّل

فقد كرره في قوله [5] :

كأن دماءَ الهاديات بنَحره   عصارة حنّاء بشيب مُخَضَّب

وفي قوله [6] :

كأن دماءَ الهاديات بنَحره   عصارة حِنّاء بشيب مُفَرَّقِ

---

(١) ص ١٧٠ ب ١١

(٢) ص ١٧٩ ب ٩ .

(٣) ص ٧٩ ب ٦ .

(٤) ص ٢٣ ب ٦٥ .

(٥) ص ٥٥ ب ٥٤ .

(٦) ص ١٧٦ ب ٣٧ .

ومثل البيت [١] :

وأنتَ إذا استدبَرْتَه سَدَّ فرجَه ... بِضافٍ فُوَيقَ الأرضِ ليس بأعزَلِ

تكرر في قوله [٢] :

وأنت إذا استدبرته سدَّ فرجه ... بضافٍ فويق الأرض ليس بأصْهَبِ

والبيت [٣] :

ورُحنا كأنَّا من جؤاثى عَشِيَّةً ... نُعالي النِّعاجَ بينَ عِدلٍ ومُحْقَبِ

جاء مكرراً في قوله [٤] :

ورُحنا كأنّا مِن جؤاثى عَشِيّةً ... نُعالي النِّعاجَ بين عِدل ومُشْنَق

وأما البيت [٥] :

فأدبرْنَ كالجَزْعِ المفصَّل بينَه ... بجيدِ مُعَمٍّ في العَشيرةِ مُخْوَلِ

فقد جاء معظم كلمات الشطر الثاني مغيرة في قوله [٦] :

وأدْبَرْنَ كالجزع المفصَّل بينه ... بجيدِ الغُلامِ ذِي القميص المُطوَّق

ولعل هذا التكرار راجع إلى أن الشاعر كان قد أعجب باللفظ والمعنى

(١) ص ٢٣ ب ٦٦ .
(٢) ص ٥٥ ب ٥٥ .
(٣) ص ٥٤ ب ٥٢ .
(٤) ص ١٧٦ ب ٣٤ .
(٥) ص ٢٢ ب ٦ .
(٦) ص ١٧٤ ب ٢٧ .

في قوله له لأول مرة ، فاستقر هذا القول في نفسه ورسخ في ذهنه ، وحينما جاءت مناسبة تستدعي مثل هذا القول ، سرعان ما ورد إلى خاطره هذا التركيب ، ولم يسعفه من القول ما هو خير منه ، فأورده مع إدخال تغيير عليه بالقدر الذي يتطلبه الوضع الجديد .

وفي تعبير امريء القيس ، ورد كثير من أسماء الأماكن ، ومما ورد له من ذلك في الشعر الذي درسناه :

أبان[١] : جبل ، . **أجا**[٢] . **أَذرعات**[٣] من حدود الشام . **أرمام**[٤] . **أنطاكية**[٥] .

الأندَر[٦] : بالشام . **الأُنَيعم**[٧] . **أوْجر**[٨] : بالشام . **أوْرال**[٩] .

بَدْر[١٠] . **بَرْبعيص**[١١] . **بُسْيان**[١٢] : جبل . **بطن نخلة**[١٣] : بستان ابن معمر . **بعلبك**[١٤] . **بيشة**[١٥] : موضع به ماء .

---

(١) ص ٢٥ ب ٢٣ .
(٢) ص ٩٥ ب ٥ .
(٣) ص ٣١ ب ١٨ .
(٤) ص ١١٦ ب ١٤ .
(٥) ص ٤٣ ب ١٠ .
(٦) ص ١٨٤ ب ٢٥ .
(٧) ص ٩٣ ب ١٥ .
(٨) ص ٦١ ب ١٩ .
(٩) ص ٣٨ ب ٥٠ .
(١٠) ص ١١٦ ب ١٤ .
(١١) ص ٧٠ ب ٥١ .
(١٢) ص ٢٦ ب ٧٧ .
(١٣) ٤٣ ب ١٢ .
(١٤) ص ٦٨ ب ٤٢ .
(١٥) ص ٦٢ ب ٢٤ .

تاذف [١] . **تَبالة** [٢] : موضع تألفه الوحوش . **تَنُوفَى** [٣] : جبل من جبال طيء . **تُوضَح** [٤] . **تَيْماء** [٥] . **تُيْمُر** [٦] .

ثَهْلان [٧] : جبل

جُواثَى [٨] : قرية بالبحرين . **جَوّ** [٩] : أرض باليمامة . **جَوّ** [١٠] : موضع ببلاد طيء .

حائل [١١] : جبل . **حامر** [١٢] . **الحِسَاء** [١٣] . **حماة** [١٤] . **حمص** [١٥] . **حَوْران** [١٦] . **حَوْمَل** [١٧] . **الحيرة** [١٨] .

الخُصّ [١٩] : بالشام . **خَمَلَى** [٢٠] : بالشام .

---

(١) ص ٧٠ ب ٥٢ .
(٢) ص ١١٠ ب ٦ .
(٣) ص ٩٤ ب ٢ .
(٤) ص ٨ ب ٢ .
(٥) ص ٢٥ ب ٧١ .
(٦) ص ٥٦ ب ٣ .
(٧) ص ٩٢ ب ١٢ .
(٨) ص ٥٤ ب ٥٢ .
(٩) ص ٦٥ ب ٣٢ .
(١٠) ص ١٩٧ ب ٣ .
(١١) ص ٩٥ ب ٦ .
(١٢) ص ٢٤ ب ٦٩ .
(١٣) ص ٦٩ ب ٤٧ .
(١٤) ص ٦٢ ب ٢١ .
(١٥) ص ٦٨ ب ٤٢ .
(١٦) ص ٦١ ب ٢٠ .
(١٧) ص ٨ ب ١
(١٨) ص ٥٣ ب ٤٩ .
(١٩) ص ١١١ ب ٨ .
(٢٠) ص ٦١ ب ١٩ .

دارة جلجل (١) . **الدُّخُول** (٢) . **الدُّرب** (٣) : ما بين بلاد العرب والعجم . **ديار بني مَرينا** (٤) .

ذو أقدام (٥) : جبل .

رَيْدان (٦) : قصر بظفار مثل غمدان بصنعاء .

السِّتَار (٧) : جبل مما يلي البحرين . **سُحَام** (٨) .

الشام (٩) . **شِبام** (١٠) : اسم قرية . **الشَّوْبَة** (١١) . **شُطَب** (١٢) . **شَعبعَب** (١٣) . **شَوْكان** (١٤) : موضع كثير النخل . **شَيْزَر** (١٥) : بالشام.

صاحتان (١٦) . **الصفا** (١٧) : قصر باليمامة . **صفا الأطيط** (١٨) .

---

(١) ص ١٠ ب ٩ .

(٢) ص ٨ ب ١ .

(٣) ص ٦٥ ب ٣٤ ،

(٤) ص ٢٠٠ ب ٣ .

(٥) ص ١١٤ ب ١ .

(٦) ص ٢٠٢ ب ١ .

(٧) ص ٢٦ ب ٧٦ .

(٨) ص ١١٤ ب ١ .

(٩) ص ١٤٠ ب ٢ .

(١٠) ص ١١٥ ب ٨ .

(١١) ص ٣٨ ب ٥٠ .

(١٢) ص ٢٠١ ب ١ .

(١٣) ص ٤٣ ب ٩ .

(١٤) ص ١١٥ ب ٥ .

(١٥) ص ٦٢ ب ٢١ .

(١٦) ص ١١٤ ب ٢ .

(١٧) ص ٥٧ ب ٥ .

(١٨) ص ١١٤ ب ٢ .

طَميَّة [1] : جبل . **طَرْطَر** [2] .

ظَبْي [3] : اسم رملة .

عارمة [4] . **عاقل** [5] : جبل باليمامة . **عانة** [6] : قرية بالجزيرة . **عَبْقَر** [7] : موضع باليمن كان مشهوراً بالدراهم الزائفة . **العراق** [8] . **عَرْعَر** [9] . **عَسْعَس** [10] . **عماية** [11] : جبل بناحية نجد .

غاضر [12] . **غَضْوَر** [13] . **الغُمَير** [14] : موضع به ماء . **غَوْل** [15] .

قُذَاران [16] . **قَطَن** [17] : جبل في بلاد بني أسد . **قَوّ** [18] .

كاظمة [19] : موضع قرب البصرة مما يلي البحرين . **كَبْكَب** [20] :

---

(١) ص ٢٥ ب ٧٢ .
(٢) ص ٧٠ ب ٥٢
(٣) ص ١٧ ب ٣٨ .
(٤) ص ٧٨ ب ١ .
(٥) ص ٧٨ ب ٢ .
(٦) ص ١١٥ ب ٨ .
(٧) ص ٦٤ ب ٣٠ .
(٨) ص ٨٤ ب ٤ .
(٩) ص ٥٦ ب ١ .
(١٠) ص ١٠٥ ب ١ .
(١١) ص ٤٥ ب ١٨ .
(١٢) ص ١١٤ ب ٢ .
(١٣) ص ٦٢ ب ٢٤ .
(١٤) ص ٦٢ ب ٢٤ .
(١٥) ص ٧٨ ب ٢ .
(١٦) ص ٧٠ ب ٥٣ .
(١٧) ص ٢٦ ب ٧٦ .
(١٨) ص ٥٦ ب ١ .
(١٩) ص ١٢١ ب ٧ .
(٢٠) ص ٤٣ ب ١٢ .

جبل . **كُتَيفة** (١) : من بلاد باهلة .

مَاسل (٢) . **الجَيْمر** (٣) : أرض لبني فزارة . **مِسْطَح** (٤) : موضع ببلاد طيء . **المشقَّر** (٥) . **المِقْراة** (٦) . **منعج** (٧) . **مَيْسِر** (٨) .

ناعِط (٩) : حصن بأرض همدان . **نجران** (١٠) . **نِفْء** (١١) .

هَجَر (١٢) . **هَكِر** (١٣) مدينة باليمن .

وادي الخُزامَى (١٤) . **وادى الساجُوم** (١٥) . **وَجْرة** (١٦) .

يَثرب (١٧) . **يَذْبُل** (١٨) . **يُسُر** (١٩) . **اليَمن** (٢٠) .

---

(١) ص ١١٦ ب ١٤ .

(٢) ص ٩ ب ٧ .

(٣) ص ٢٥ ب ٧٢ .

(٤) ص ١٩٧ ب ٣ .

(٥) ص ٥٧ ب ٥ .

(٦) ص ٨ ب ٢ .

(٧) ص ٧٨ ب ٢ .

(٨) ص ٧٠ ب ٥١ .

(٩) ص ٦٥ ب ٣٢ .

(١٠) ص ٨٤ ب ٤ .

(١١) ص ٧٨ ب ٢ .

(١٢) ص ٥٧ ب ٥ .

(١٣) ص ١١٠ ب ٦

(١٤) ص ٢٨ ب ٦ .

(١٥) ص ٥٨ ب ١٠ .

(١٦) ص ١٦ ب ٣٣ .

(١٧) ص ٣١ ب ١٨ .

(١٨) ص ١٦ ب ٧٦ .

(١٩) ص ١١١ ب ٨ .

(٢٠) ص ٢٥ ب ٧٤ ، ص ٥٣ ب ٤٨ .

وإنما ذكرنا هذه الأسماء هنا لنبين أن الشاعر كانت لديه موهبة قوية في التعبير ؛ فهذه الأسماء الكثيرة وغيرها مما لم نذكره ، قد جاءت كلها في المجموعة الشعرية التي درسناها لامرىء القيس وهذا يدل على أن الشاعر كان يستطيع أن يصنع من هذه الأسماء العادية موسيقا تنسجم في النغم والإيقاع مع فنّه كيفما شاء .

ثم إننا إذا تأملنا هذه الأسماء نجد أنها لأمكنة في جهات شتى ، ففيها من الشام والحجاز ونجد والبحرين واليمامة واليمن، وتتضمن أسماء كثير من البلاد، والقرى ، والمدن ، ومنازل القبائل ، والجبال ، والرمال ، والوديان، والمياه، والبساتين ، وذلك يدل على أن الشاعر كان كثير التنقل والسفر في مختلف الجهات ، وأنه كان على علم بمواقع هذه الأماكن ، وطبيعتها .

ويلاحظ أن الشاعر كان كثيراً ما يذكر أسماء الأماكن عند الحديث عن أطلال الديار بعد أن هجرتها الحبيبة كأنما يريد أن يثبت أنه يعرف الديار معرفة تامة ، بحدودها ومساحتها ، ويُدلل على أن تأثره بحالها ناشىء عن حقيقة ويقين

* * *

أما الموسيقا الشعرية في تعبير امرىء القيس ، فهي متنوعة ، فقد جاء شعره من كثير من الأوزان ، واستعمل في الروي كثيراً من حروف الهجاء . وبالإحصاء تبين أن المجموعة الشعرية التي درسناها له وعددها ٥٥٣ بيتاً قد جاءت من عشرة من بحور الشعر ، وهي كما يلي ، مرتبة ترتيباً تنازلياً :—

البحر	عدد أبياته	النسبة المئوية
١ — الطويل :	٤٠٢	٧٢,٧
٢ — الوافر :	٣٨,٥	٧
٣ — الرمل :	٢٩	٥,٢
٤ — الكامل :	٢٥	٤,٥

٥ – البسيط :	٢٠	٣٫٦
٦ – السريع :	١٣	٢٫٣
٧ – المديد :	١١	٢
٨ – المتسرح :	٥	١
٩ – الرجز :	٤٫٥	٠٫٨
١٠– المتقارب :	٢	٠٫٤
١١– مضطرب الوزن :	٣	٠٫٥
المجموع	٥٥٣	١٠٠

وأما من حيث الرويّ فقد جاءت هذه المجموعة موزعـة بين أحد عشر حرفاً من حروف الهجاء ، كما يلي : –

الحرف	عدد أبياته	النسبة المئوية
١ – ل :	١٨٢٫٥	٣٣
٢ – ر :	١٠٥٫٥	١٩
٣ – ب :	٧١	١٣
٤ – ق :	٤٢	٧٫٦
٥ – د :	٣٦	٦٫٥
٦ – ن :	٣٠	٥٫٤
٧ – م :	٢٩	٥٫٢
٨ – ص :	٢٥	٤٫٥
٩ – ت :	١٥	٢٫٧
١٠– س :	١٤	٢٫٦
١١– ع :	٣	٠٫٥
المجموع :	٥٥٣	١٠٠

ومن هذه الإحصائية يتبين أن الشاعر كان مشغوفاً من حيث الأوزان الشعرية ببحر الطويل فقد استغرق هذا الوزن وحده ما يقرب من ثلاثة أرباع المجموعة المدروسة . ويليه بحراً الوافر والرمل ، وإن كان نصيبهما من هذه المجموعة أقل من المتوسط . وأقل البحور نصيباً من هذه المجموعة الرجز والمتقارب .

أمّا في الروي فاللام صاحبة النصيب الأوفى هنا ، فقد كان حظها ثلث المجموعة ويليها الراء والباء فهما أعلى من المتوسط ، وواضح أن بقية الحروف أقل من المتوسط ، وأقلها نصيباً حرف العين .

وهذا العدد من الأوزان وحروف الروي يدل على أن امرأ القيس كان في شعره لا يقف عند وزن معين ، أو حرف خاص للروي ، وإنما كان في استطاعته أن ينوّع في موسيقاه ، وأن يغاير بين أنغامه وإيقاعه ، وهذا دليل القوة الشاعرية ، والمقدرة الفنية .

* * *

أما من حيث التعبير عن أفكاره في موضوع أو موضوعات ككلٍّ واحد، وطريقته في العرض ؛ فهناك القصائد الطوال ، والمقطوعات القصار . وما له من هذه الأخيرة تتكون الواحدة منها من أبيات معدودة قد تكون بيتين ، ولا تتجاوز تسعة أبيات ، وفي الغالب لا يعرض الشاعر فيها إلا موضوعاً واحداً ، قد يكون مدحاً ، أو هجاءً أو تهديداً، أو رثاء ، أو وصفاً لمنظر، أو حديثاً عن الأطلال أو الذكريات ، وهي لقصرها تكون في الموضوع مباشرة ، وليس فيها مقدمات أو حديث عن موضوع آخر . وربما كانت هذه المقطوعات اجزاء من قصائد طوال ضاعت بقيتها ، وبخاصة ما كانت في الحديث عن الاطلال أو ذكريات الحبيبة ،كالمقطوعتين الثامنة والثلاثين [1]، والرابعة والأربعين [2] . ومن مثل هذه الأبيات القلائل لا يستطيع الباحث أن يتبين حقيقة اتجاه الشاعر وميوله في التعبير والعرض .

وأما القصائد الطوال ، فكل منها في العادة تتضمن عرضاً لأفكار

(١) الديوان ص ٨ .

(٢) ص ٢٧ .

متعددة في موضوعات مختلفة . وإذا نظرنا في هذه القصائد نجد أن الشاعر حينما يكون طبيعياً ، وفي حالة عادية كان يسير على طريقة تكاد تكون واحدة في جميع القصائد الطوال ، أما إذا لم يكن في حال طيبة ، فإنه كان يسير في التعبير بطريقة أخرى تبيّن نفسيته ، ولذلك أعتقد أننا من دراسة أسلوبه وطريقته في قصيدة ما قدنستطيع أن نستشف منها ما كان عليه نفسياً ساعة إنشائه لها . وقد يبدأ في قصيدته وهو في حالة طبيعية ، ثم تعتريه مشاعر نفسية غير عادية ، فتظهر الحالتان في مثل هذه القصيدة .

ودراسة قصائده تبيّن أنه في أحواله العادية كانت قصيدته الطويلة تتضمن الحديث عن الأطلال ، والظعائن ، أو المغامرات ، ووصف المرأة ، وبعض مظاهر الطبيعة الحية أو الصامتة من مثل الناقة ، والبقر الوحشي ، وحُمُر الوحش ، والنعام ، والحصان ، ومظاهر الطرد والقنص ، والسحب ، والبرق والمطر ، والغيث ، والنبات ، والأزهار ، والأشجار ، والرياض ، والبساتين. وذلك واضح في قصيدته الأولى وهي المعلقة التي تبدأ بقوله [١] :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فَحَوْمَل

وقصيدته الثانية التي أولها [٢] :

ألَا عِمْ صَباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمَنْ مَنْ كان في العُصُرِ الخالي

وقصيدته الثالثة التي يبدؤها بقوله [٣] :

خليليّ مُرَّا بي على أم جُندب نُعَضِّ لُبانات الفؤاد المعذّب

والقصيدة السادسة التي أولها [٤] :

غَشِيتُ دِيارَ الحيّ بالبَكَرات فَعَارِمةٍ فَبُرقَةِ العِيرات

(١) الديوان ص ٨ .
(٢) ص ٢٧ .
(٣) ص ٤١ .
(٤) ص ٧٨ .

وفي القصيدة التاسعة التي يفتتحها بقوله [1] :

قفا نبكِ مِن ذكرى حبيبٍ وعِرفان
ورَسْمٍ عفتْ آياتُــه منذُ أَزمـان

والقصيدة الثلاثين التي أولها [2] :

أَلَا انعَم صَباحاً أيها الرَّبع وانطِق
وحدِّثْ حديثَ الرَّكْبِ إن شئتَ واصدُق

والحادية والثلاثين التي أولها [3] :

أَمِنْ ذكرِ سَلمى أَنْ نأَتك تَنُوص فَتَقصُر عنها خُطوةً أو تَبُوصُ

والثالثة والثلاثين التي أولها [4] :

عَيناكَ دَمعُهما سِجَال كأنَّ شأنَيْهما أوْشَال

فكل قصيدة من هذه القصائد تتضمن عرضاً وصوراً لبعض المظاهر التي ذكرناها آنفاً ويحس القارىء أن الشاعر في كل منها كان في حال نفسية طبيعية: قد ثارت عواطفه بسبب ظاهرة أو ظواهر معينة ، ففاضت شاعريته ، ونتج عنها هذا الشعر . وكان الشاعر يفتتح حديثه في مثل هذه الأحوال ، بالحديث عن الأطلال وما أثارته في نفسه، ثم يتبع ذلك بوصف رحلة الحبيبة والظعائن، أو مغامراته مع النساء ، وكثيراً ما كان ذلك يقوده إلى الحديث عن جمـــال

---

(١) ص ٨٩ .
(٢) ص ١٦٨ .
(٣) ص ١٢٧ .
(٤) ص ١٨٩ .

المرأة ، وكأنما كان الهم يعلوه لفراق الحبيبة ، فيصور نفسه مهموماً ، ثم يبحث عن وسيلة يسلّي بها الهم ، فتكون الناقة ، وكانت دائماً في شعره مسلية همومه ، وهو يعترف بذلك ، إذ يقول [1] :

فَدَعْ ذا وسَلِّ الهمَّ عنكَ بجسرةٍ
ذَمولٍ إذا صَامَ النهارُ وهَجَّرا

ويقول في قصيدة أخرى [2] :

فعزّيتُ نفسي حين باتوا بجَسْرةٍ   أُمونٍ كبنيان اليهودي خَيْفَقِ

ويقول عنها كذلك [3] :

وإنك لم تَقْطع لُبانةَ عاشق   بِمثْل غُدُوٍّ أو رَوَاح مُؤَوِّبِ
بأدماءَ حُرْجوج كأنَّ قُتُودها   على أبلقِ الكشحين ليس بمُغْرَبِ

وفي العادة كان يدخل في ثنايا الحديث عن الناقة صوراً عن الحمر الوحشية أو النعام للاستعانة بها في تصوير سرعة الناقة .

وأحياناً كان ينتقل من الحديث عن المرأة أو المغامرات إلى عرض مناظر الطرد والقنص كأنما كان يجمع في ذلك بين ملذاته ومتعه ، فيصف الحصان وسرعته ، وقوته ، ونشاطه ، ويعرض صوراً للبقر الوحشي ، والصيد ، والشواء ، والعودة في المساء .

وقد يعرض في أثناء ذلك للحديث عن بعض مظاهر الطبيعة الصامتة ، كأنما كان ذلك يسترعي انتباهه في غدوّه ورواحه أو في فترات راحته واستجمامه ،

---

(١) ص ٦٣ .
(٢) ص ١٦٩ .
(٣) ص ٤٤ - ٤٥ .

فيعرض صور الجمال فيها ، إذ كان يحس المتعة في ذلك أيضاً .

والحق أنه في تعبيره عن كل هذه المظاهر ، وهو في أحواله الطبيعية العادية قد أجاد في التعبير والعرض ، وكان يسير في ذلك سيراً منطقياً ، حتى إنه يمكن أن نقول إنه قد أوجد بطريقته هذه فن القصص الشعري ، وبجانب وجود هذا الفن في حديثه عن المغامرات الغرامية ، فإنه بدأ أيضاً فيه فن الحوار التمثيلي في الشعر .

أما القصائد الطوال التي يبدو أن الشاعر قالها وهو في حال غير طبيعية فكانت له في عرضها طريقة أخرى . وفي هذا النوع قد نجد قصيدة تبدأ بدءاً عادياً ويسير فيها على طبيعته، فإذا به يتحول عن سيره الطبيعي بسبب أحوال نفسية عرضت له ، فيشغل بها ، ويتحدث عنها ، وخير مثل ذلك القصيدة الرابعة [١] ، فقد بدأها بقوله :

سَمَا لكَ شوقٌ بعد ما كان أقصرا وحلّت سُلَيمى بطنَ قوٍّ فعرعَرا

ثم يتحدث عن رحلة الحبيبة والأظعان ، وبعد سبعة عشر بيتاً في هذه الحالة الطبيعية ، تتغير حاله فيصور ذلك بقوله [٢] :

أأسماءُ أمسى ودُّها قد تَغيَّرا سنُبْدِلُ إن أبدَلْتِ بالوُدِّ آخرا

تذكرت أهلي الصالحين وقد أتت علَى خَمَلَى خوصُ الركاب وأوجرا

وبعد الحديث عن همومه والتسلية عنها بالناقة ، واسترجاع بعض ذكرياته الغابرة ، يرى الضجر والملل في وجوه أصحابه ، ويتصور أهليهم فيقول [٣] :

أرى أمَّ عمرو دمعُها قد تحدَّرا بكاءً علَى عمرو وما كان أصبرا

---

(١) ص ٥٦ .
(٢) ص ٦١ .
(٣) ص ٦٩ .

فهنا نلمس بوضوح مظاهر التغيير النفسي غير الطبيعي واضحاً من خلال تعبيره وعرضه لهذه الموضوعات . وكأن الشاعر بحسه المرهف كان يشعر أنه كان كأنما يبدأ موضوعاً جديداً ، فكان يأتي بما يشبه بدءاً لقصيدة جديدة ، وذلك بالتصريع الذي كرره الشاعر في هذه القصيدة . وهكذا كانت تشغله هذه العوارض عن موضوعاته المحببة إليه .

وأما القصائد التي تبدأ وتنتهي بحالة نفسية غير طبيعية للشاعر ، فلا تبدأ بمقدمات في الأطلال أو نحوها ، بل كان الشاعر يدخل فيما يريد أن يعرضه مباشرة كالقصيدة الحادية عشرة التي تفيض بالحزن واليأس والحقائق المرة ، إذ بدأها بقوله [1] :

أَرانا مُوضِعين لأمـرٍ غيبٍ وَنُسحَر بالطعـام وبالشراب

وواضح أن الشاعر لم يبدأها حتى بالتصريع المعهود ، ثم شرع يعرض فيها نتائج تجاربه القاسية :

فبعض اللوم عـاذلتي فإني ستكفيني التجارب وانتسابي

ويندب حظه :

وقد طوَّفتُ في الآفاق حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب

ويصور ما انتهى إليه من اليأس :

أَبعدَ الحارثِ الملك بن عمرو وبَعدِ الخير حُجرٍ ذي القِباب

أُرجِّي من صُروف الدهر ليناً ولم تغفُل عن الصُّمِّ الهِضَاب

وأعلم أنني عمَّـا قليـلٍ سأنشب في شَبَا ظُفرٍ ونـاب

---

(١) ص ٩٧ .

وإذا بدأ إحدى هذه القصائد بالافتتاحية المألوفة ، وهي الحديث عن الأطلال فإنها تكون قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أبيات ، ثم يشرع في الحديث عما يشغل باله ، أو يقلق نفسه ، كالقصائد: التاسعة ، والثالثة عشرة ، والسادسة عشرة .

ومن ثم نجد أن أسلوبه في التعبير ، وطريقته في العرض ، مما يساعد على معرفة حالة الشاعر النفسية .

***

وبعد دراستنا للتعبير عند امرىء القيس يتضح أنه كانت لديه ثروة لغوية استطاع بها أن يتصرف في التعبير عما يوافق طبيعته ، وينسجم مع نفسه وحسه ، بكل الوجوه التي ترضي الفن الرفيع؛ وقد تبين لنا أن هذه الألفاظ التي اتخذها مادة لتعبيره - ومن بينها أسماء الأماكن ، وهذه القلة القليلة من المفردات التي لا يشيع استعمالها الآن - كلها من الكلمات الحلوة ، الخفيفة على اللسان ، والمحببة إلى الآذان .

وإذا أضيف إلى هذا ما وجدناه له من تنويع في الموسيقا والتنغيم والإيقاع والإخراج ، كان ذلك دليلاً على أن الشاعر كان واسع الأفق ، مرهف الحس، رقيق الشعور ، قويّ الشاعرية ، ماهراً في الصياغة والعرض . وقد رأينا أنه من السهل أن نعرف من أسلوبه وتعبيراته ميوله وطبيعته ، وأن نقف منها على مزاجه وجوانبه النفسية .

الخاتمة

قد ظهر لنا من البحث في هذا الجزء أن كندة كانت من القبائل العربية التي كان لها شأن عظيم قبل الإسلام ؛ فجميع المؤرخين يتفقون على أنها احتلت مركزاً ممتازاً بين العرب كلهم : القحطانيين منهم والعدنانيين ، فقامت مملكة كندة في العصر الجاهلي، وفرضت سلطانها على بعض القبائل العربية ، وحاولت في كثير من المناسبات أن توسع دائرة نفوذها ، وكانت لها صلات مختلفة بين ممالك اليمن والروم والفرس ، وإمارتي الحيرة وغسان ، وكان للجوار والتنافس في القوة والسيادة أثر كبير في تلوين هذه الصلات وتنويعها بين الصداقة أو العداوة ، أو المودة ، أو المعاونة ، أو الكراهية والمحاربة ، على النحو الذي مر بنا في الحديث عن تاريخ كندة ، ومثل هذه الصلات حدثت بين كندة وكثير من القبائل العربية ممن كانوا يحتكون بهم ، ويتعاملون معهم . وقد رأينا أن العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية، والرغبة في حب التعالي والتفاخر، والميل إلى الشهرة وبُعد الصيت ، - رأينا أن كل ذلك - كان له أثر كبير في حياة هذه المملكة ، وفيما كان لها من أحداث وأعمال ، وفي نهايتها ، وفي كتابة تاريخها وسرد أخبارها .

ومن الثابت تاريخياً أن قبيلة كندة ، مثل جميع القبائل العربية ، كان فيها شعراء ، وذواقون للأدب ، فقد ذكر التاريخ أسماء كثير من شعراء هذه القبيلة ، وبعض هؤلاء الشعراء كانوا من بيت الإمارة والمُلك ، وسجلت لكل

منهم بعض النصوص الأدبية ، ولكن معظمهم وردت له مقطوعات قصيرة بحيث لا يتمكن الدارسون بعد بحثها من الاهتداء عن طريقها إلى معرفة شخصيات أصحاب هذه النصوص من حيث الدرجة الأدبية والمقدرة الفنية .

ويُجمع المؤرخون والعلماء والنقاد والأدباء على أن الشاعر الفذ في كندة امرؤ القيس بن حجر . وأنه كان صاحب الحظوة الأولى من العناية والرعاية لدى ذوّاقي الأدب والمهتمين بالشعر وجميع الباحثين والدارسين .

وتبين لنا من دراسة هذا الشاعر أن حياته كانت شطرين ، والفاصل بينهما موت أبيه ، فقد قلب هذا الحادثُ حياة امريء القيس رأساً على عقب ، وجعلها بعده مناقضة لما كانت عليه قبله ، وبقدر ما أفاد الأدب والفن في شطر حياته الأول ، اكتسب امرؤ القيس خبرة بالحياة وبالناس في الشطر الثاني ، فقد تفتحت عينه وبصيرته في هذه الفترة على كثير من الحقائق ما كان يعرفها ، وما خطرت له من قبل على فكر أو خيال . وقد تعوّد على الانطلاق التام، وإلقاء الحبل على الغارب ، والبعد عن الصعاب والمشكلاتِ ، فكان غض الإهاب ، ليّن العود ، فلما ألقيت على كاهله الأعباء الثقال شعر أن الحمل فوق طاقته ، فحاول أن يقوي عوده ، ويشدد بنيانه ، فلم يجد العلاج ، وخرّ صريعاً تحت وطأة اليأس وفقدان الأمل.وهو أيضاً قد تسرب الخيال إلى تاريخه ، فلعب دوراً كبيراً في سرد قصة حياته . ولا عجب فهو شاعر ، ومن أسرة كلها ملوك وأمراء ، ولا يُستبعد فيمن حاله كذلك أن يتعرض تاريخه لمختلف الميول والأهواء ، وتختلط فيه الحقائق بالأساطير ، وكان من أهداف هذا البحث أن ينفذ في خلال هذا الخليط ، ويلقي الأضواء على جوانبه، ليتبين الحقائق ، وتظهر واضحة خالصة من الشوائب والأوهام، على أساس من العقل والمنطق والواقع .

أما فن الشاعر ، فقد رأينا أنه حلـّق في آفاق متعددة،وشدا على أغصان كثيرة ، وترنـّم على قيثارته بمجموعة حلوة من الألحان والأنغام ، فجذب القلوب ، وأثار الوجدان ، واستطاع أن يسترعي نحوه الأنظار ، حتى قال

عنه الرسول ﷺ وصاحباه عمر بن الخطاب وعلي رضي الله عنهما ما أوردناه في موضعه من هذا البحث .

وتبين لنا أن شعره قد بلغ الذروة الفنية ، تصويراً وتعبيراً ، في المرأة والطرد والطبيعة والشكوى والتحسر ، في حين أنه جاء ضعيفاً فاتراً في الفخر والحرب والمدح والذم والتهديد ، وقد عللنا ذلك بأسباب ترجع إلى طبيعته ونفسيته .

وبدراسة شعره الذي اعتمده الرواة الثقات استطعنا أن نلم بجوانبه الشخصية والفنية ، واتخذنا من ذلك معياراً استعملناه في دراسة الشعر المنسوب إليه الذي شغل حيزاً كبيراً من ديوانه ، وقد وجدنا في كثير منه ما ينم عن الصنعة والاختلاق ، فذكرنا عن كل قصيدة تثير الشك الأسباب التي تجعلها عرضة للطعن والاتهام . وانتهينا من ذلك إلى تلخيص أسباب الانتحال بالنسبة له ، ومظاهر ذلك في شعره .

ومن نقد شعره قديماً وحديثاً يتبين أنه كان موضع الاهتمام من العلماء والنقاد والباحثين ، فأقبلوا عليه بالدراسة والبحث ، واستنبطوا منه كثيراً من الأسس في اللغة والأدب والبلاغة والنقد الأدبي ، ومن ثم لا نعجب إذا استعان به كثير من العلماء في التفسير والحديث والعقائد والفقه والنحو والصرف واللغة والبلاغة والنقد والعروض والقافية .

وقد رأينا أن الإعجاب بلغ ببعض مريديه من النقاد وذواقي الأدب إلى حد التعصب له والدفاع عنه والرد على من يتلمس له عيباً ، لا في التصوير والتعبير فقط ، بل وفي الخُلُق والسلوك كذلك ، وقد جعله بعضهم أشعر الشعراء .

ووُجد أنه سبق غيره من الشعراء إلى كثير من المعاني وطرق التصوير والتعبير ، استحسنها واتبعوه فيها ، ومن أهم ما له في ذلك غير ما ذكره النقاد الأقدمون : القصص الغرامي ، والحوار التمثيلي ؛ كما وُجد في شعره

كثير من المحسنات البديعية : المعنوية واللفظية ، ولكن البحث في كيفية مجيئها واستعمالها في شعره يجعلنا نقول إنه لم يكن يسرف في استعمالها، وأنه ما كان يتكلفها أو يصنعها صنعاً ؛ وإنما يتبين منها أنه جاءت طبيعية وبدون مجهود .

وظهر لنا من البحث أن شعره كان شخصيا كله ، فليس فيه ما يتصل بالناحية القَبلية ، ولا ما يتصل بالناحية العامة للعرب كلهم ، بل كل شعره خاصاً به وبشعوره ، وإحساسه نحو شؤونه وعواطفه هو نفسه ، ومن ثم استطاع أن يجعل تعبيره في قصائده مصوراً لحالته النفسية خير تصوير. وبجانب إبداعه في التصوير الحسي ، وجدنا له ما يصور بعض جوانب النفس البشرية ، من خلال تجاربه ومشاعره الخاصة ، حتى يمكننا أن نقول إن شعره يصور شخصيته ، وطبيعته ، ونفسيته ، وميوله ، وإحساساته بوضوح .

واتضح أن شعره يصور كثيراً من مظاهر البيئة والحياة في العصر الجاهلي ، ففيه نرى الجبال والهضاب ، والصحارى والقفار ، والوديان والسهول ، والمروج والرياض ، والحدائق والبساتين ، والأشجار والأخشاب ، والنباتات والأزهار ، والعيون والآبار ، والجداول والغدران ، والسحب والبرق والمطر ، والسيل ، والبحر والسفن ، والحر والسراب ، والنجوم والكواكب ، والإبل والخيل ، والبقر ، والغنم والمعز ، والظباء والغزلان ، وبقر الوحش ، والحُمر والأُتُن : والعقاب والبازي ، والقطا والجراد ، والعصافير ، والحشرات ، والهوام .

كما نرى فيه مناظر الحل والترحال : والسفر على ظهور النوق ، والصيد على صهوات الجياد ، والخيام والحبال والأوتاد ، والدلاء والقدور ، والرحال ، والهوادج ، والقادمين ، والمسافرين ، والنازلين ، والراحلين ، والنيران والجمر ، والمنازل العامرة ، والأماكن الخاوية وما قد يكون بها من آثار .

وهناك السادة والعبيد ؛ المنعمون والمترفون ؛ والخدم والأجراء ؛ والملوك والأمراء ؛ وأقيال اليمن ؛ وأكاسرة الفُرس ؛ وقياصرة الروم ؛ والرهبان

والمتبتلون ؛ والخمر والشاربون ؛ والقصور المشيدة ؛ وبيوت اليهود ؛ وهياكل النصارى .

وفيه نرى الدراهم ، وأنواع الحرير ، وحوك العراق المنمق ، وثياب أنطاكية والوشاح المطرز ، والزعفران ، والزنبق ، والقرنفل ، والعود ، والألوي ، والرند ، والكِباء ، واللبنى ، والطيب ، والمسك ، والدر ، والياقوت ، واللؤلؤ ، ونحو ذلك مما يدل على الترف والنعيم .

إن دراسة امريء القيس تبين بوضوح أنه أول من يستحق أن يحمل — عن جدارة — لقب الإمارة في الشعر العربي ، وتؤكد أن شعره قد أرسى قواعد أصول فنية كان لها أكبر الأثر في الأدب العربي .

المـــراجع

أولاً : العربية

١ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي مصطفى الحلبي بالقاهرة ١٩٥١

٢- الأصمعيات دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٤

٣- إعجاز القرآن للباقلاني مصطفى الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٥١

٤ - الأعلام للزركلي القاهرة ١٩٢٨

٥ - الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني دار الكتب القاهرة

٦- امرؤ القيس للأستاذ سليم الجندي دمشق سنة ١٩٣٦

٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي دار الكتب ، القاهرة ١٩٥٠

٨ - أيام العرب للأساتذة: جماد المولى، وأبي الفضل، والبجاوي القاهرة ١٩٤٢

٩- بلوغ الأرب للألوسي القاهرة ١٩٤٢

١٠ - البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون: القاهرة ١٩٤٨

١١ - تاريخ ابن خلدون دار الكتاب اللبناني ؛ بيروت ١٩٥٦

١٢- تاريخ أبي الفداء دار الفكر ، بيروت ١٩٥٦

١٣- تاريخ آداب العرب للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ،نشر الاستاذ محمد سعيد العريان

١٤- تاريخ الآداب العربية لنالينو دار المعارف بالقاهرة ١٩٤٠

١٥- تاريخ آداب اللغة العربية للأستاذ جورجي زيدان: دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧

١٦- تاريخ الأدب الجاهلي (الجزء الأول) للدكتور علي الجندي : مكتبة الجامعة العربية : بيروت ١٩٦٦

١٧- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار : دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩

١٨- تاريخ الأدب العربي لبلاشير ، ترجمه الدكتور ابراهيم الكيلاني: دمشق ١٩٥٦

١٩- تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) للدكتور شوقي ضيف: دار المعارف ١٩٦٠

٢٠- تاريخ الطبري دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠

٢١- تاريخ العرب لفيليب حتي دار الكشاف، بيروت ١٩٦٥

٢٢- تاريخ العرب قبل الإسلام للأستاذ جواد علي : المجمع العلمي العراقي ببغداد

٢٣- تاريخ اليعقوبي دار صادر ، بيروت ١٩٦٠

٢٤- جمهرة أشعار العرب لأبي الخطاب القرشي : القاهرة ١٨٩١

٢٥- جمهره أنساب العرب لابن حزم : دار المعارف ١٩٦٢

٢٦- الحيوان للجاحظ تحقيق الأستاذ عبدالسلام هارون: الحلبي ، القاهرة ١٣٥٧هـ

٢٧- خزانة الأدب للبغدادي بولاق ١٩٣٠

٢٨- ديوان امرىء القيس نشر الأستاذ السندوبي القاهرة ١٩٣٠

٢٩- ديوان امرىء القيس نشر الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٥

٣٠ – ديوان الحماسة لأبي تمام ، شرح التبريزي القاهرة ١٩١٣
٣١ – ديوان الحماسة للبحتري بيروت ١٣١٠
٣٢ – ديوان عبيد بن الأبرص لندن ١٩١٣
٣٣ – ديوان عمر بن أبي ربيعة دار صادر ، بيروت ١٩٦١
٣٤ – رسالة الغفران مطبعة هندية ١٩٠٣
٣٥ – الروائع للبستاني بيروت ١٩٣٣
٣٦ – زهر الآداب تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين
المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٥٣
٣٧ – شرح شواهد المغني للسيوطي القاهرة ١٣٢٢
٣٨ – شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات دار المعارف ١٩٦٣
٣٩ – شرح نقائص جرير والفرزدق لأبي عبيدة ، نشر بيفان ليدن ١٩٠٥
٤٠ – شعر الحرب للدكتور علي الجندي
مكتبة الجامعة العربية ، بيروت ١٩٦٦
٤١ – الشعر والشعراء لابن قتيبة القاهرة ١٩٤٥
٤٢ – شعراء النصرانية للأب لويس شيخو بيروت ١٨٩٠
٤٣ – صفة جزيرة العرب للهمداني بريل ١٨٨٤
٤٤ – طبقات الشعراء لابن سلام ليدن ١٩١٣
٤٥ – العرب قبل الإسلام للأستاذ جورجي زيدان القاهرة ١٩٣٩
٤٦ – العقد الثمين في دواوين الستة الجاهليين ليدن ١٨٧٠
٤٧ – العقد الفريد لابن عبد ربه بولاق ١٢٩٣
٤٨ – العمدة لابن رشيق ، تحقيق الأستاذ محمد محيي الدين
المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٥٥
٤٩ – الغزل للدكتور سامي الدهان دار المعارف ١٩٥٤
٥٠ – فجر الإسلام للأستاذ الدكتور أحمد أمين
النهضة المصرية ، بالقاهرة ١٩٦٤

٥١ – الفهرست لابن النديم المكتبة التجارية ، بالقاهرة ١٩٢٩
٥٢ – في الأدب الجاهلي للأستاذ الدكتور طه حسين دار المعارف ١٩٦٢
٥٣ – القرآن الكريم .
٥٤ – قلب الجزيرة العربية للأستاذ فؤاد حمزة
المطبعة السلفية ، بالقاهرة ١٩٢٣
٥٥ – الكامل في التاريخ لابن الأثير القاهرة ١٣٠١
٥٦ – كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري القاهرة ١٩٥٢
٥٧ – لسان العرب لابن منظور .
٥٨ مجالس ثعلب، تحقيق الاستاذ عبدالسلام هارون: دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٠
٥٩ – مروج الذهب للمسعودي ... المكتبة التجارية القاهرة ١٩٥٨
٦٠ – المزهر للسيوطي دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة
٦١ – مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد :
دار المعارف ١٩٦٢
٦٢ – معجم البلدان لياقوت مطبعة السعادة ١٣٢٣
٦٣ – معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق الاستاذ عبدالستار فراج القاهرة ١٩٦٠
٦٤ – معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق كرنكو ، القدسي بالقاهرة ١٣٥٤
٦٥ – معجم ما استعجم للبكري لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥
٦٦ – المفضليات اكسفورد ١٩١٨ ودار المعارف بالقاهرة ١٩٦٤
٦٧ – الموازنة بين أبي تمام والبحتري دار المعارف ١٩٦١–١٩٦٥
٦٨ – المؤتلف والمختلف للآمدي « تحقيق كرنكو » القدسي ١٣٥٤
٦٩ – الموشح للمرزباني ، تحقيق الأستاذ البجاوي المطبعة السلفية ١٩٢٩
٧٠ – نقد الشعر لقدامة بن جعفر بيروت ١٩٥٨
٧١ – نهاية الأرب للنويري دار الكتب بالقاهرة
٧٢ – الوساطة بين المتنبي وخصومه الحلبي بالقاهرة ١٩٤٥

ثانيا — المراجع الإفرنجية

1 — Ancient Arabian Poetry, by Lyall, Edinburgh, 1885.

2 — Arabic Literature, by Gibb. Oxford; 1963.

3 — Encyclopaedia Britannica.

4 — Kings of Kinda, by G. Olinder, London, 1927.

5 — Literary History of the Arabs, by Nichleson, London, 1962.

6 — Poetic Emages, by D. Lewis, Lon. 1949.

7 — Translation of Diwan of Abid ibnAl-Abras, by Lyall,Lon.1913.

8 — Translation of Al-Mufaddalyyat, by Lyall, Oxford, 1918 - 1921.

الأعلام

ب

ت

ث

ج

ش

ط

ع

ن

هـ

و

ى

القبائل

الأماكن

فهرس الموضوعات

مطابع بيبلوس الحديثة

فرن الشباك - تلفون ٢٨٤٥٢٩

بيروت - لبنان